بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

سلسلة التربية الإسلامية

(٦)

التربية الإيمانية

مقالات

عبارة عن حلقات إذاعية

إعداد

الدكتور / حسن بن علي الحجاجي

مدير عام

فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

بمنطقة مكة المكرمة

٢١ جمادى الأولى ١٤٢٣هـ

المقدمة :

الحمد لله ولي الصالحين الهادي إلى سواء السبيل أحمده حمداً كثيراً وأصلي وأسلم على الهادي البشير والسراج المنير محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فإن التربية الإيمانية هي تلك الجهود التي تبذل في ترسيخ الإيمان في النفس وتعميق اليقين فيها والتي تصدر من المربين والمعلمين وفي مقدمتهم رسل رب العالمين عليهم أفضل الصلاة وأتم التسليم لإصلاح النفوس وتهذيب السلوك وترسيخ اليقين بالقول والممارسة العملية .

والتربية الإيمانية تسير في مسارات ثلاث التربية الإيمانية البنائية ، والتربية الإيمانية الوقائية ، والتربية الإيمانية العلاجية . ولكل نوع من هذه الأنواع من الوسائل والطرق ما يجعلها واقعاً يثمر ثماراً يانعة بتكوين فرد مؤمن وأسرة مؤمنة ومجتمع مؤمن وأمة مؤمنة ، أمة ذات رسالة مقدسة وحاملة دعوة تتمثلها في ذات نفسها وتحملها إلى العالمين ، قال تعالى : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) .

وهذا البحث عبارة عن مجموعة من الحلقات الإذاعية ألقيت في إذاعة القرآن الكريم في المملكة العربية السعودية تحت عنوان من معين التربية الإسلامية ، ورغبة مني في نشر الفائدة منها قمت بترتيبها وتبويبها لإخراجها

بشـــكل يفـــيد المطلـــع عليها ولم ألتزم فيها بالتوثيق العلمي ، لأني أعتبرها مقـــالات ليســـت مبحـــثاً علمياً أكاديمياً راجياً المولى العلي القدير أن يجعلها خالصة لوجهه وأن ينفع بها كل من يطلع عليها .

وفق الله الجميع لما يحب ويرضى .

المؤلف

من وسائل بناء الإيمان : -

الحمـــد لله والصـــلاة والســـــلام على رســـول الله وآله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

إن الوضوء الذي يعتبر شرطاً من شروط الصلاة هو في حد ذاته عبادة لله ، ولقد أمر الله عز وجل المؤمنين بالوضوء بقوله تعالى : (يا أيها الذين آمـــنوا إذا قمـــتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين) الآية .. ولقد وردت في الوضوء جملة من الأحاديـــث توضح أهميته وفضله وعظم الثواب فيه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يـــداه مـــع الماء أو مع آخر قطر الماء فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشيتها رجلاه مع الماء ، أو مع آخر قطر الماء حتى يخرج نقياً من الذنوب " رواه مسلم .

وعـــن عـــبدالله الصنابحي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إذا توضأ العبد ومضمض خرجت الخطايا من فيه ، فإذا استنثر خرجـــت الخطايـــا من أنفه وإذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى يخرج من تحت أجفار عينيه ، فإذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخـــرج من تحت أظفار يديه فإذا مسح رأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى

تخرج من أذنيه فإذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت إظفار رجليه ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة " رواه مسلم في حديث طويل عن عمر بن عتبة نحوه وزاد في آخره : " فإن هو قام فصلى فحمد الله وأثنى عليه ومجده بالذي هو أهله وفرغ قلبه لله تعالى إلا انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه " ، وخرج الإمام أحمد بإسناد حسن عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إيما رجل قام إلى وضوء يريد الصلاة ثم غسل كفيه نزلت كل خطيئة من كفيه مع أول قطرة ، فإذا مضمض واستنشق واستنثر نزلت خطيئته من لسانه وشفتيه مع أول قطرة ، فإذا غسل يديه إلى المرفقين ورجليه إلى الكعبين سلم من ذنب كهيئته يوم ولدته أمه " قال : " فإذا قام إلى الصلاة رفع الله درجته إن قعد قعد سالماً " وفي رواية له سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من توضأ وأسبغ الوضوء وغسل يديه ووجهه ومسح على رأسه وأذنيه وغسل رجليه ثم قام إلى صلاة مفروضة غفر له في ذلك اليوم ما مشت إليه رجلاه ، وقبضت عليه يداه وسمعت إليه أذناه ونظرت إليه عيناه وحدثت به نفسه من سوء " ، ثم قال : والله لقد سمعت من نبي الله ما لا أحصيه .

وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من توضأ وأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت إظفاره " ، وفي رواية أن عثمان رضي الله عنه توضأ ثم قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم توضأ مثل وضوئي هذا ، ثم قال : " من توضأ هكذا غفر له ما تقدم من ذنبه وكانت صلاته ومشيه إلى المسجد نافلة " رواه مسلم والنسائي ولفظه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه ثم يصلي الصلاة

إلى غفر له ما بينه وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها " وفي لفظ للنسائي : " من أتم الوضوء كما أمره الله عز وجل فالصلوات كفارات لما بينهن " ، وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يحدث أصحابه فقال : " من قام إذا استقلت الشمس فأحسن الوضوء ثم صلى ركعتين خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه " فقلت الحمد لله الذي رزقني أن أسمع هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكان تجاهي جالساً أتعجب من هذا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أعجب من هذا قبل أن تأتي " ، فقلت : وما ذلك بأبي أنت وأمي . فقال عمر : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع بصره إلى السماء أو قال نظره إلى السماء فقال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيهن شاء " رواه الدارمي .

إن هذه الأحاديث وغيرها قد أوضحت أن الوضوء يعتبر شرطاً من شروط الصلاة ومع كونه شرطاً فهو يعتبر عبادة في حد ذاته ، يمحو الله به الخطايا ويطهر به الأبدان وينمي به الإيمان ، وعند التدقيق في أمر الوضوء أنه يتعلق بالأطراف المباشرة للعالم الخارجي مثل اليدين والرجلين والوجه والأذنين وفيها الحواس جميعها التي تعتبر منافذ على العالم الخارجي وهذه الأطراف وتلك الحواس هي التي يكتسب بها العبد الآثام والذنوب والأجر والمثوبة ، وكذلك ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " استحيوا من الله حق الحياء " فقالوا : كيف نستحي من الله حق الحياء . قال : " أن تحفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وتذكر الموت

والـــبلى " فالـــرأس وما وحوى المقصود به الحواس التي قلنا أنها منافذ على العـــالم الخارجي ، فقد يحصل من المؤمن تفريط فيها وعدم حفظ لها فتكون وســـائل إلى الذنوب والمعاصي فمن رحمة الله بعبده أن جعل الوضوء ماحياً للذنـــوب التـــي اقترفتها ولا يتأتى ذلك إلا بالنية الحسنة والتوجه إلى الله بهذا العمل وأن يسبغ الوضوء ، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن فعـــل ذلك تحققت له طهارة الظاهر والباطن وكان وضوءه وسيلة من وسائل تقوية الإيمان وتنميته .

نســـأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعلنا هداة مهتدين وأن يوفقنا للأعمـــال الصالحة وأن يسدد على طريق الخير خطانا وأن يجعلنا من الذين يســـتمعون القـــول فيتـــبعون أحسنه ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

مفهوم التقوى وثمارها :-

الحمـــد لله خلق فسوى ، وقدر فهدى ، أحمده أن هدانا للإسلام وما كنا لنهـــتدي لـــولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على النبي الكريم رحمة الله للعالمين وعلى آله الطيبين وأصحابه أجمعين .. وبعد .

فالتربية الإسلامية تحرص أشد الحرص على تكوين الإنسان التقي ، لأن هذا الإنسان هو مصدر الخير والساعي إلى الإصلاح ولا يقع منه إجرام ولا تحصل منه مفاسد ، فهو متق لله في كل أحواله ، فالتقوى شأنها عظيم .. لذا اهـــتم بغرســـها النبـــي صلى الله عليه وسلم في نفوس من أشرف تربيتهم ، وذكرت التقوى في كثير من الآيات القرآنية ، وهي وصية الله لكل أمة بعث إليها رسول ، فنوح وموسى وهود وصالح وشعيب وإلياس ومحمد صلى الله عليهم كلهم دعا إلى التقوى قال تعالى : (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله) ، فالتقوى هدف عام بعث من أجله الرسل وجاءت من أجله التشريعات والأوامر والوصايا ، والتقوى إذا حلت في قلب إنسان لم يحتج بعدها إلى رقيب أو حسيب فهي حاجز له من كل شر ودافع له إلى كل خـــير ، لذلـــك نجد أن أوامر الرسل كلهم منصبة عليها وعلى طاعتهم إذ لا تعرف التقوى بدونهم . قال تعالى : (كذبت قوم نوح المرسلين ، إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون) ، (وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظالمين قوم فـــرعون إلا يتقون) ، (كذبت عاد المرســـلين إذ قـــال لهم أخوهم هود ألا تتقون) ، (كذبت قوم لوط المرسلين إذ قـــال لهم أخوهم لوط ألا تتقون) ، (كذب أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم شعيب ألا تتقون) .

والـــتقوى هـــي مقياس الكرم والفضل والقرب من الله عز وجل ، ولا تفاضل بالأحساب والأنساب والأموال والأولاد ، قال تعالى : (يا أيها الناس إنـــا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، وقد جعل الله سبحانه التقوى سبباً في معيته ومحبته لمن اتصف بها فنصرته وتأييده للمتقين : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) ، (واعلموا أن الله مع المتقين) ، (والعاقبة للمتقين) ، (والعاقبة للتقوى) ، (إن الله يحـــب المتقين) ، والرزق الحسن والخروج من كل ضيق قد وعد بهمـــا المـــتقـــون : (من يتق الله يجعـــل لـــه مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتســـب) ، وبالتقوى يميز العبد بين الحق والباطل وتتضح لـــه الأمور فلا تلتبس عليه فيضل : (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم) ، وصلاح الأعمال ومغفرة الذنوب تحصل بتقوى الله : (يـــا أيهـــا الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) .

أمـــا فـــي الآخرة فمنزلة المتقين فوق كل منزلة ، فهم آمنون يوم الفزع الأكبر مطمئنون من الخوف والحزن ، لأنهم قد اطمأنوا إلى روضة الإيمان فـــي الدنـــيا ، فلهـــم في الآخرة الجنة وما أعد الله فيها لعباده المتقين : (إن المتقـــيـــن فـــي جـــنات وعيون آخـــذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) ، قد أعد لهم في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر : (إن المتقين في مقام أمين) ، (إن المتقين في جنات ونهر فـــي مقعـــد صـــدق عند مليك مقتدر) ، (إن للمتقين مفازاً حدائق وأعناباً وكواعـــب أتراباً وكأساً دهاقاً لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً جزاءً من ربك

عطاءً حساباً) ، (إن المتقين في ظلال وعيون) ، وقد جعل الله سبحانه بين المتقيـــن وبين النار حجاباً لا تصل إليهم ، قال تعالى : (فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصـــلاها إلا الأشـــقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى) .

والمـــتقون في الدنيا صداقتهم باقية وموصولة حتى في الجنة يوم يتنكر الأخـــلاء لبعضـــهم ، قـــال تعالى : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) .

فالسؤال الذي يطرح نفسه : ما هي هذه التقوى التي ذكر فضلها وفائدتها وعظـــيم منزلـــتها ؟ .. التقوى هي أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية أي حاجـــزاً ودرعـــاً ، وهذا الحاجز وهذا الدرع هو ما تأتيه من الطاعات وما تزاوـــله مـــن العـــبادة كثمرة للتقوى التي خالجت القلب واستحوذت عليه ، فالتقوى ملكة ينبع عنها سلوك ، قال صلى الله عليه وسلم : " التقوى ههنا " ، وأشـــار إلى صدره ، ولا تكون هذه الملكة إلا بتحقيق معان معينة ، وتزداد هذه الملكة بوسائل معينة ، فللتقوى طريق تحصل به ، ولهـــا آثار ســـلوكية تتـــبع عـــنها : " ألا أن فـــي الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " ، فالطريق إلى التقوى يصلح القلب ، وبصـــلاح القلـــب تصـــلح الأعمال ، وكلما صلحت الأعمـــال ازداد القلب صلاحاً : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فوزاً عظيماً) .

ولقد وضع الله صفات للمتقين ميزهم بها عن غيرهم ، منها الإيمان بالغيب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالكتب المنزلة ، والإيمان بالبعث والجزاء ، قال تعالى : (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدىً للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ومما رزقناهم ينفقون ، والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) ، وأورد سبحانه في آيات أخر جملة من الصفات منها الصفات سالفة الذكر وغيرها كالوفاء بالعهود والصبر بكل صوره وأشكاله ، قال تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتي المال على حبه ذوي القربى واليتامى والماسكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ، أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) البقرة : ١٧٧ . والمتقون هم : (الذين يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار) ، وهم : (الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين القيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) ، وهم (الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من ساعة مشفقون) .

والتقوى مناط نجاة العبد عند ربه ولها طرق توصل إليها من هذه الطرق قراءة القرآن الكريم بتدبر وفهم ، قال تعالى : (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدىً ورحمة للمؤمنين) ، فالقرآن إذا وجد في القلب إيماناً رسخ فيه التقوى فأثمرت عملاً صالحاً

وسلوكاً سوياً ، وقال تعالى : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) ، (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) ، (كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) .

فتلاوة كتاب الله عز وجل مع التدبر والتأمل طريق يوصل إلى التقوى (لعلهم يتقون) مع الإيمان أولاً ، ومن آداب التلاوة الاجتهاد في التدبر والتفكر ، ومراعاة أحكام التجويد ، والقراءة بحزن ، عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فابكوا فإن لم تبكوا فتباكوا وتغنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا " رواه ابن ماجة . والمراد بالتغني هنا الحزن وإظهار الخشوع مع تجويد القراءة فقد جاء في حديث جابر قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله " ، وهناك طريق آخر إلى التقوى ، قال تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم) .

مقتضى شعيرة الحج :-

الحمد لله الخافض الرافع البر الرحيم ، خلق فسوى وقدر فهدى ، نحمده حمداً كثيراً وأصلي وأسلم على رحمة الله للعالمين محمد بن عبدالله ، صلوات ربي وسلامه عليه .. أما بعد :

فـــإن في الحج والعمرة فوائد جمة وأجر عظيم ، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " تابعوا بين الحج والعمـــرة فإنهمـــا ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة " رواه الترمذي وحسنه ، وابن خـــزيمة وابن حبان .. فنلحظ في هذا الحديث حث رسول الله صلى الله عليه وسلم على تتابع هذا النسك العظيم ، وبين فوائده الدينية والدنيوية وأكد ثواب هذه الشعيرة الجنة ، فأنعم به من ثواب ، قال صلى الله عليه وسلم في حديث جابر رضي الله عنه : " الحج المبرور ليس لـــه جزاء إلا الجنة " قيل : وما بـــره ؟ . قال : " إطعام الطعام وطيب الكلام " رواه أحمد والطبراني بإسناد حســـن ، وفـــي رواية لأحمد ، قال : " إطعام الطعام وإفشاء السلام " ، ولقد عرف السلف أهمية إطعام الطعام في الحج فكان بعضهم يجمع رفقة له يأخذ مـــنهم النفقة ، ويحج ويكرمهم فإذا أتموا نسكهم ورجعوا إلى بلادهم أرجع ما أخذ منهم إليهم ، يفعل ذلك رغبة في الأجر وطاعة لله وامتثالاً لتوجيه رسول الله صـــلى الله علـــيه وسلم فحري بالحاج أن يرفق بإخوانه المسلمين ويطيب كلامه لهم ويفشـــي الســـلام بينهم ويطعم الفقراء منهم إن كان مقتدراً ويكف أذاه عنهم .. ورسول الله صلى الله عليه وسلم يوضح لأصحابه الثواب العظيم فـــي الحج ويحثهم على أداء هذا النسك العظيم في أحايث كثيرة ويضرب لهم

الأمـــثال ليقرب لهم الفهم ويوضح لهم المطلوب ، لقد خرج الطبراني بإسناده عـــن عبدالله بن جراد رضي الله عنه قال : قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم : " حجوا فإن الحج يغسل الذنوب كما يغسل الماء الدرن " والدرن هو : الوســـخ . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما يرفع إبل الحاج رجلاً ولا يضع يداً إلا كتب الله له بها حسنة أو محا عنه سيئة أو رفعه بها درجة " رواه البيهقي .

وإذا كانت اليوم قد تغيرت وسائل النقل فإن الأجر ثابت باق لأن الله عز وجـــل هو الذي يسر ووفق وأعطى وتكرم فإن من أعطاه الله وسائل مريحة وخيراً وفيراً فاستعملها في طاعة الله فإن الله لن يضيع أجر من أحسن عملاً ، ومـــن شدة حرص الصحابة على التسابق في الخيرات إن الفقراء منهم جاءوا إليه فقالوا : يا رسول الله ذهب أهل الدثور منا بالأجور ، يصلون كما نصلي ويصـــومون كـــما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم . فقال صلى الله عليه وسلم : " ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه سبقتم غيركم إلا أن يفعل كفعلكم أو كمـــا قال صلى الله عليه وسلم : " تسبحون الله عقب كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وتحمدونـــه ثلاثاً وثلاثين وتكبرونه ثلاثاً وثلاثين ، وتقولون تمام المائة لا إله إلا الله وحـــده لا شريك له لـــه الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير " ، فعـــندما فعلـــوا ذلك رآهم الأغنياء ففعلوا كفعلهم فجاءوا فأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صلى الله عليه وسلم : " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء " . واستنتج من ذلك أن الغني الشاكر أفضل من الفقير الصابر لأن عند الغني من الغنى والثروة ما يجعله منغمساً في الشهوات والأمور المحرمة لكنه كـــبح زمـــــام نفســـه وثناها عن ارتكاب كل ما هو محرم ، فهذا هو العقل والكيس . ولقد ورد أن هذا هو العاقل حقاً ، فقـــال صلى الله عليه وســـلم :

" الكـــيس من دان نفسه ، أي حاسبها ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني " .

والحمـــد لله على نعمة الهداية والتوفيق والحمد لله على الصحة والعافية والحمد لله على السلامة والأمن والحمد لله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ونسأله سبحانه أن يجعل ما أعطانا قوة على طاعته وبلاغاً إلى حين .

أخي الحاج : إن الله عز وجل قد تفضل عليك بأن جعلك من زوار بيته والوافدين إليه فدعوتك مستجابة واستغفارك مقبول بإذن الله . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " الحجاج والعمار وفـــد الله إن دعوه أجابهم وان استغفروه غفر لهم " رواه النسائي وابن ماجة وابـــن خزيمة وابن حبان ، وعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صـــلى الله علـــيه وســـلم : " الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطـــاهم " رواه البزار بإسناد جيد فدعوته لهم إشارة إلى قول الله عز وجل لإبراهـــيم الخلـــيل : (وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتيـــن مـــن كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله) ، ولقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه بأن يغفر للحاج ولمن استغفر لـــه ، فقال صـــلى الله عليه وسلم : " اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر لـــه الحاج " ، قال الحاكم : صحيح على شرط مسلم ، وخرج البزار بإسناد فيه راوٍ لم يسم عن أبي موسى رضي الله عنه رفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الحاج يشـــفع في أربعمائة من أهل بيت أو قال : من أهل بيته ، ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه " .

أرأيــت أخي الحاج هذا الفضل العظيم الذي هيأه الله لك وأكرمك به إنه فضــل يستحق منك الشكر واللجوء إلى الله بأن يجعلك معاناً وموفقاً .. اللهم إنــا نسألك التوفيق إلى الخيرات والإعانة على الطاعات والسداد في الأقوال والأعمال ، اللهم إنا نسألك حجاً مبروراً وسعياً مشكوراً وذنباً مغفوراً وعملاً صالحاً متقبلاً مبروراً ، اللهم آمين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصــلاة والسلام على الهادي البشير والسراج المنير سيد الأولين والآخرين وعلى آله الطيبين وأصحابه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

التورع عن كل ما يسخط الله عز وجل :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

فإن النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم قد أرشد إلى الخير وحذر من الشـــر . فعـــن أبي محمد الحسن بن علي رضي الله عنهما سبط رسول الله صـــلى الله عليه وسلم وريحانته قال : حفظت من رسول الله صلى الله عليه وســـلم : " دع مـــا يريبك إلى ما لا يريبك " رواه النسائي والترمذي وقالا : حســـن صـــحيح . وقـــد جاء من بعض طرق الحديث زيادة : " فإن الصدق طمأنيـــنة والكـــذب ريبة " ، ولفـــظ ابن حبان : " فإن الخير طمأنينة الشـــر ريبة " .

إن مـــبدأ تكـــافؤ الفرص وحق الجميع في التعلم مبدأ من مبادئ التربية الإسلامية فالحسن بن علي رضي الله عنهما شاب من شباب الإسلام تربى في مدرسة محمد بن الله صلى الله عليه وسلم ونهل من معين التربية الإسلامية قد حفظ هذا الدرس من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن فهمه ووعاه وهو درس يفـــيد فـــي توجيه المسلم إلى فعل الخير ويحذره من الشر وبإمكانه أن يســـتفتي قلبه ويعلم مدى طمأنينته لهذا الفعل أو اضطرابه وريبته فإن اطمأن إلـــيه وسكن عرف أنه خير وإن تردد واضطرب عرف أنه الشر . عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل : " دع ما يريـــبك إلـــى ما لا يريبك " قال : وكيف لي بالعلم بذلك ؟ قال : " إذا أردت أمـــراً فضـــع يدك على صدرك فإن القلب يضطرب للحرام ويسكن للحلال ،

وإن المسلم الورع يدع الصغيرة مخافة الكبيرة " . فالنفوس البشرية مجبولة على حب الخير وكراهية الشر وفعل الخير يريح النفس ويطمئن به القلب أما فعل الشر فتتألم به النفس السوية ويضطرب من أجله القلب السليم ، وإن المؤمن الحق يتقي الشبهات ويبتعد عنها فإن الحلال المحض كما يقول ابن رجب لا يحصل لمؤمن في قلبه منه ريب والريب بمعنى القلق والاضطراب بل تسكن إليه النفس ويطمئن به القلب وأما المشتبهات فيحصل بها للقلوب القلق والاضطراب الموجب للشك ، ثم أورد رحمه الله أقوالاً لبعض السلف تفيد ارتباط الورع بترك الشبهات ، قال أبو عبدالرحمن العمري الزاهد : إذا كان العبد ورعاً ترك ما يريبه إلى ما لا يريبه . وقال حسان بن أبي سنان : ما شيء أهون من الورع إذا رابك شيء فدعه . وهذا إنما يسهل على مثل حسان رحمه الله .

إن التورع عن الشبهات والكف عنها لا يحصل إلا لمن استقامت سريرته وصلح ظاهره وباطنه وكان متق لله مراقباً له في السر والعلن ، يرجو ثواب الله ، ويخاف من مقته وغضبه وإليم عقابه ، يقول ابن رجب رحمه الله : [وها هنا أمر ينبغي التفطن له وهو أن التدقيق في التوقف عن الشبهات إنما يصلح لمن استقامت أحواله كلها وتشابهت أعماله في التقوى والورع فأما من يقع في انتهاك المحرمات الظاهرة ثم ثم يريد أن يتورع عن شيء من دقائق الشبهة ، فإنه لا يحصل له ذلك] . كما قال ابن عمر لمن سأله عن دم البعوض من أهل العراق : يسألونني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين رضي الله عنه ، وقد سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول هما ريحانتايا من الدنيا . وسأل رجل بشر بن الحارث عن رجل له زوجة وأمه تأمره بطلاقها فقال : إن كان بر أمه في كل شيء ولم يبق من برها إلا طلاق

زوجـــته فلـــيفعل ، فـــإن كان يبرها بطلاق زوجته ثم يقوم بعد ذلك إلى أمه فيضربها فلا يفعل .

في حديث الحسن بن علي رضي الله عنهما الذي ذكرناه آنفاً درس عظيم فـــي التربـــية الإيمانية . والإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والمؤمن مطالـــب بفعل المأمورات وترك المحرمات وقد أوضح الحق سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين الحلال والحرام وبين المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله : " الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمـــن اتقـــى الشـــبهات استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحـــرام كالراعـــي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه " ، وقد بين عليه الصـــلاة والســـلام أن عـــدم الـــتورع عـــن الشبهات يجر الإنسان إلى فعل المحـــرمات فيقع بذلك فيما يسخط الله عز وجل ، وقول النبي صلى الله عليه وســـلم : " فإن الخير طمأنينة والشر ريبة " يعني أن الخير تطمئن به القلوب والشر ترتاب به ولا تطمئن إليه وفي هذا إشارة إلى الرجوع إلى القلوب عند الاشتباه .

وخرج ابن جرير بإسناده عن قتادة عن بشر بن كعب أن قرأ هذه الآية : (فامشوا في مناكبها) ثم قال لجاريته ، إن دريتي ما مناكبها فأنت حرة لوجه الله ، قالت : مناكبها : جبالها فكأنما سفع في وجهه ورغب في جاريته فسألهم فمـــنهم مـــن أمره ومنهم من نهاه ، فسأل أبا الدرداء ، فقال : الخير طمأنينة والشـــر ريـــبة فذر ما يريبك إلى ما لا يريبك . وقول النـــبي صلى الله عليه وسلم : " الصدق طمأنينة والكذب ريبة " يشير إلى أنه لا ينبغي الاعتماد على قول كل قائل كما في حديث وابصة : " وإن أفتاك الناس وأفتوك " وإنما على

قول من يقول الصدق وعلامة الصدق أن تطمئن به القلوب وعلامة الكذب أن تحصـــل به الريبة فلا تسكن القلوب إليه بل تنفر منه . ومن هذا كان العقلاء علـــى عهد النبي صلى الله عليه وسلم إذا سمعوا كلامه وما يدعو إليه عرفوا أنه صادق وأنه جاء بالحق ، وإذا سمعوا كلام مسيلمة عرفوا أنه كاذب وأنه جـــاء بالباطل . وقد روي أن عمرو بن العاص سمعه قبل إسلامه يدعي أنه أنـــزل علـــيه : يا وبر يا وبر لك أذنان وصدر وإنك لتعلم يا عمرو . فقال : والله إنـــي لأعلم أنك تكذب . وقال بعض المتقدمين صور ما شئت في قلبك وتفكـــر فيه ثم قسه إلى ضده فإنك إذا ميزت بينهما عرفت الحق من الباطل والصـــدق مـــن الكذب . قال : كأنك نتصور محمداً صلى الله عليه وسلم ثم تـــتفكروا فـــيما أنـــي به من القرآن فتقرأ : (إن في خلق السموات والأرض واخـــتلاف اللـــيل والـــنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس) ثم نتصـــور ضـــد محمد صلى الله عليه وسلم فتجده مسيلمة وتتفكر فيما جاء به فـــتقرأ : ألا يـــا ربة المخضع قد هيئ لك المضجع . يعني قول السجاح حين تـــزوج بها قال : [فترى هذا يعني القرآن رصيناً عجيباً يلوط بالقلب ويحسن فـــي الســـمع وترى ذا ، يعني قول مسيلمة بارداً غثاً فاحشاً فتعلم أن محمداً صلى الله عليه وسلم صادق حقاً أتى بوحي وأن مسيلمة كذاب أتى بباطل .

فلـــنأخذ مـــن هـــذا الحديـــث الذي ذكرناه آنفاً درساً في معرفة الموقف الصحيح من الأمور التي نفعلها أو ندعها فأما أن تكون من الحلال المبين أو الحـــرام المبين الذي أوضحه الكتاب والسنة أو من الأمور المشتبهة فكل منا يســـتفتي قلـــبه من هذه الأمور فإن اطمأن إليها وسكن كانت من الخير الذي ينبغي له فعله وإن ارتاب واضطرب عرف أنها من الشر الذي ينبغي الابتعاد عنه فصلوات ربي وسلامه على معلم البشرية رسول رب العالمين .

الإخلاص شرط في قبول العمل :-

الحمـــد لله والصـــــلاة والســـلام على رسول الله وآله وصحـــبه ومن والاه .. أما بعد :

إن أهـــم الشروط الأساسية في قبول العمل الصالح الإخلاص لله فيه فقد قـــال ســـبحانه وتعالى في حديث قدسي : " أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمـــل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه " . وهو سبحانه وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لـــه سبحانه وتعالى . وقال عز من قائل : (قـــل أمر ربي بالقسط فأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون) ، وقال أيضاً : (فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كـــره الكافرون) ، وقال سبحانه : (هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين لـــه الديـــن الحمد لله رب العالمين) ، وقال عز من قائل : (وما أمروا إلا ليعـــبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) .

إن إخلاص العمل لله هو شيء حث عليه المصطفى صلى الله عليه وسلم وأخـــذ نفســـه بـــه وربى أصحابه عليه هذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يروي لنا ما سمعه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا الأمر فيقول : ســـمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكـــل امـــرئ ما نوى ... الحديث " بل إن مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم جميعها تعمق في نفوس أصحابه الإخلاص لله عز وجل ، فأحياناً يسأل ويجيب أو يحدث بحديث ويستفسر أصحابه وآل بيته عن بعض معانيه ، فعن

أم المؤمنيـــن عائشـــة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم : " يغـــزو جـــيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخـــرهم " قالـــت : قلت : يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أســـوافهم ومـــن ليس منهم ؟ قال : " يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نـــياتهم " متفق عليه . وهذا يدل على أن نية المرء إن كانت صالحة متوجهاً فـــيها إلى الله انجته من عذاب الله ، فنية المرء خير من عمله والعمل لا يقبل بدون النية الصالحة لله . عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن يـــنظر إلى قلوبكم " ، لأن النية محلها القلب والقلب متى ما كان سليماً معافى اســـتقامت الجوارح بالأعمال الصالحة وشعر العبد بالسعادة والصحة النفسية بجانب ما لـــه من جزيل الثواب وعظيم الأجر ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونـــية ... الحديث " متفق عليه . وقد سئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن بعـــض الدوافـــع التـــي تدفع بعض الناس إلى العمل والتي تجعل العمل أما مقبـــولاً وإما مرفوضاً عن أبي موسى الأشعري قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أي ذلك في ســـبيل الله ؟ فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قاتل لتكون كلمة الله هـــي العلـــيا فهو في سبيل الله " متفق عليه . وهذه التربية النبوية والتي كانت غايتها تعبيد هذا الإنسان لله عز وجل قد حققت أهدافها وظهرت ثمارها على أعمال الصحابة وسلوكياتهم وكان بعضهم يوصي بعضاً بإخلاص النية لله فـــي جمـــيع الأعمـــال ، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي تلقى تربيـــته فـــي مدرسة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم وينهل من معين التربـــية يكتـــب إلـــى أبي موسى الأشعري رضي عنه كتاباً فيقول : [من

خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه وبين الناس] نعم من كان عمله لله فإن الله سيكون معه وإذا كان الله معه كفاه ووقاه : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) ، (من يتق الله يجعل له من أمره يسرى) .

ولقـد عـرف السلف رحمة الله عليهم ماذا يعني الإخلاص ؟ ومن هو المخلص ؟ . قال يعقوب المكفوف رحمه الله : المخلص من يكتم حسناته كما كتم سيئاته .

وعلـى المسـلم أن يبتعد عن الرياء والسمعة ، لأن من راء راء الله به ومـن سمع سمع الله به ، وحب التباهي والحرص على الظهور والرغبة في ثناء الناس ابتلي بها كثير من الناس ، وتعتبر من محبطات الأعمال . والنجاة كـل النجاة في إخلاص الأعمال لله . قال حكيم في إخلاص ساعة نجاة الأبد لكـن الإخلاص عزيز . ولقد تربى السلف على الإخلاص وكراهية السمعة ، وفي إحدى المعارك الإسلامية حاصر الجيش المسلم بقيادة مسلمة مدينة ذات سـور منيع شهوراً طويلة وفي ليلة جاء إلى القائد أحد الجنود يقول لـه لقد نقبـت فـي السور نقباً يمكننا أن ندخل منه لداخل المدينة ونفتح باب السور وأرسل معي من يدخل النقب معي فإذا فتحنا الباب ادخل الجيش فأرسل معه رجالاً دخلوا النقب وفتحوا الباب فدخله القائد واستولى على المدينة ليلاً وفي اليوم الثاني نادى المنادي صاحب النقب ليجيزه على عمله وطلبه فلم يأت أحد وفـي اليوم الثاني والثالث نادي المنادي بدون جدوى ، وفي اليوم الرابع أتى جـندي إلى القائد يقول أنا أدلك على صاحب النقب شرط ثلاثة شروط ليدلك علـى نفسه فقال : وافقنا على شروطه . قال : يشترط أن لا تكافئه ، وأن لا تدل أحداً عليه ، ولا أن تطلبه ثانية . فقال : وافقنا على ذلك . فقال الجندي :

أنـــا صاحب النقب نقبته ابتغاء رضوان الله . ثم ذهب . فدهش القائد ، وكان كلما صلى دعا أن يجعله مع صاحب النقب .

هـــذا الـــنموذج الفريد في عالم البشر لم يوجد هكذا بل هو نتاج التربية الســـليمة التي جعلت منه إنساناً يتوجه إلى الله بكليته بتصوره باعتقاده بعمله بعواطفـــه وأحاسيسه غايته رضوان الله وحرصه شديد على طاعة الله ، جعل بينه وبين الرياء والسمعة حواجز منيعة ومسافات شاسعة فما أحوجنا إلى أن نتوجه إلى الله بجميع أعمالنا حتى نحظى برضوانه ومحبته ورعايته في الدنيا والآخرة وابتغاء الجنة وما فيها من نعيم دائم في يوم الميعاد .

اللهم إنا نسألك التوفيق والسداد ، والإخلاص في القول والعمل .. وآخر دعوانـــا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين .

أعداء المؤمن النفس والهوى والشيطان :-

الحمـــد لله خلـــق فسوى وقدر فهدى ، أحمده حمداً كثيراً وأصلي وأسلم علـــى الهـــادي البشـــير والسراج المنير محمد بن عبدالله وعلى آله الطيبين وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

إن المسلم يواجه أعداء استحكمت عداوتهم واشتدت عليه وهو في طريقه إلى الله وهؤلاء هم الهوى والشيطان والنفس الأمارة بالسوء وأن الله عز وجل إذا تركه وشأنه انفردوا به وأضلوه عن الطريق السوي ، فأردوه إلى الهلاك وسوء الخاتمة والضنك في الحياة أما إذا كان الله معه ، فإنه لن يضروه وإن كانـــت الحرب بينه وبينهم سجال ، يقول الشيطان : أهلكت بني آدم بالذنوب وأهلكونـــي بالاســـتغفار ولا إله إلا الله . وإن هذه النفس الأمارة بالسوء إذا أحســـن المسلم محاسبتها وترويضها فإنها ستتحول بإذن الله وتوفيقه إلى نفس لوامـــة تلـــوم صاحبها على ارتكاب المعصية وعدم الاستزادة من الطاعة . ولمحاسبة هذه النفس طريقة فذة ، وسياسة ناجحة إن أخذ بها العبد أفلح ونجح فـــي تربيتها وترويضها وقد عرف السلف هذا اللون من الرياضة فأوضحوه للـــناس وحملـــوا أنفسهم عليه فوصلوا بذلك إلى تربية للنفوس إفاد منها الفرد والمجـــتمع ، وفـــي مجـــال محاسبة النفس وترويضها جاء في كتاب الأدب الصـــغير لابـــن المقفع ما نصه : [وعلى العاقل مخاصمة نفسه ومحاسبتها والقضـــاء عليها والإثابة والتنكيل بها] ثم أخذ يوضح هذا الكلام المجمل بما يجعله واضحاً جلياً يفهمه القاضي والداني بأسلوب فذ وعبارات بليغة فقـــال : [.. أما المحاسبة فيحاسبها بمالها فإنه لا مال لها إلا أيامها المعدودة التي ما

ذهـــب مـــنها لم يستخلف كما تستخلف النفقة ، وما جعل منها في الباطل لم يرجع إلى الحق ، فينتبه لهذه المحاسبة عند الحول إذا حال والشهر إذا انقضى والـــيوم إذا ولى فينظر فيما أفنى من ذلك وما كسب لنفسه وما اكتسب عليها فـــي أمـــر الديـــن وأمر الدنيا فيجمع ذلك في كتاب فيه إحصاء وجد وتذكير للأمـــور وتبكيت للنفس وتذليل لها حتى تعترف وتذعن ..] فما أحوج المسلم إلى هذه المحاسبة الدقيقة لنفسه حتى يعرفها ما لها وما عليها وحري بالعاقل أن يكـــون ذلك في حال خلوة له ولو للحظات في آخر اليوم ليصفي الحساب معها ويبين رصيدها من الخير والشر في آخر كل شهر ليذكرها ما قامت به مـــن أعمـــال صالحة ويطلب منها المزيد وما وقعت فيه من أخطاء ويطالبها بالإقلاع والكف ويحدو لها ما يحثها إلى بلاد الأفراح ورضوان الله والجنة ، إنـــه إن فعل ذلك أدى رسالة التربية تجاهها على خير وجه وأكمله وإن فرط فويل للمفرطين .

ثـــم استمر ابن المقفع في بيان الخصومة لهذه النفس : [وأما الخصومة فـــإن من طباع النفس الأمارة بالسوء أن تدعي المعاذير فيما مضى والأماني فيما بقي فيرد عليها معاذيرها وعللها وشبهاتها ..] فكثيراً ما نسمع المعاذير مـــن هـــذه النفس والمبررات الواهية التي لا تعتمد على دليل ولا تقوم على الهـــدى فـــتؤذي الإنسان وتدفعه لفعل أمر ما وتتحجج عليه بأنه مباح وجائز وغير ذلك فالعاقل يقف أمام ذلك حتى يعرف حكم الله فيه فيرى مواقع قدميه على الطريق الصحيح ويبتعد عن الشبهات فضلاً عن المحرمات لأن رسول الله صـــلى الله علـــيه وســـلم قد بين لنا الحلال والحرام وما بينهما من أمور مشـــتبهة وما الموقف الصحيح الذي يتوجب على المسلم فعله فقال صلى الله علـــيه وســـلم : " الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن

كثـــير مـــن الناس فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشـــبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكـــل ملـــك حمـــى ، ألا وإن حمى الله محارمه " ، وأما قوله تدعي المعاذير فيما مضى والأماني فيما بقي ، فبعض الناس إذا نصح لترك معصية أجابـــت نفســـه عنه بأنني إذا بلغت سن كذا سأترك هذا وأعود إلى الطريق الســـوي لأني لازلت في سن الشباب ولكل شاب صبوة وما علم هذا المسكين أن الأعمـــار بيد الله وأنه هو سبحانه الذي يعلم وحده أن هذا سيموت وما بلغ ســـن الكهولة أو الشيخوخة فالعمر من الأمور المغيبة التي لا يعلمها إلا الله ، فالإنســـان وهو في بطن أمه إذا بلغت به أربعة أشهر أوكل الله به ملكاً يكتب أربـــع كلمات عمره وأجله ورزقه وشقي أم سعيد ، وإننا في عالم الواقع كم رأيـــنا وســـمعنا عـــن أشخاص وافاهم الأجل ووافتهم المنية وهم في ريحانة شبابهم فاستطقوا حوادث السيارات والأمراض الخطيرة والمستعصية لتعلموا صـــدق مـــا قلـــناه فحـــري بك أخي المسلم في محاسبة نفسك أن ترد عليها معاذيرها وتبين لها بطلان أمانيها .

وفـــي محاسبة النفس يقول ابن المقفع : [وأما القضاء عليها فإنه يحكم فـــيما أرادت مـــن ذلك على السيئة بأنها فاضحة مردية موبقة وللحسنة بأنها زائنة منحية مريحة . إنها القضاء العدل لهذه النفس حيث يوضح لها عواقب الســـيئات الوخيمة ونتائج الطاعات والحسنات السارة فالمؤمن الحق هو الذي تســـره الحســـنة وتسوؤه المعصية لأن الله عز وجل خلقه لطاعته ونهاه عن معصيته ، فحري بالمسلم أن يحرص حرصاً شديداً على طاعة مولاه ويبتعد عن معاصيه وهذا هو من بيان الإثابة والتنكيل حيث قال ابن المقفع رحمه الله وأمـــا الإثابـــة والتنكـــيل فإنه يسر نفسه يتذكر تلك الحسنات ورجاء عواقبها

وتأمـــيل فضلها ، ويحزن نفسه بالتذكر للسيئات والتشبع منها والاقشعرار من ذكـــرها والحزن لها .. ثم ذيل هذا الكلام الطيب فأفضل ذوي الألباب أشدهم لنفسه بها أخذ وأقلهم عنها فيه فترة] .

إن محاســـبة الـــنفس بهذه الكيفية نحن في أمس الحاجة إليه حتى تهذب النفوس وتستقيم الأخلاق وتصلح الأعمال فيصلح الفرد بذلك ويسعد المجتمع بهذا .. وفقنا الله وإياك أخي المسلم لما يحب ويرضى وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

مقتضى أداء الشعائر التعبدية :-

الحمـــــد لله رب العالميـــن والصـــــلاة والســـلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين .. وبعد .

قال الله تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً) ، وقـــال صلى الله عليه وسلم : " بني الإسلام على خمس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحـــج البيت من استطاع إليه سبيلاً " ، وحج البيت ركن من أركان الإسلام وثوابـــه عظيم وأجره كبير ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رســـول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج مـــن ذنوبـــه كيوم ولدته أمه " رواه البخاري ومسلم ، ففي هذا الحديث فوائد جمـــة ومـــن أهمها عظم الأجر لمن حج والتزم في حجه بآداب الإسلام فهو كفـــارة للذنـــوب بحيـــث يفيض الحاج من عرفات وقد محيت ذنوبه وغسلت خطايـــاه ورجع ولا ذنب عليه لكن هذا الفضل وهذا الأجر العظيم مشروط له الابـــتعاد عـــن الرفـــث والفسوق وهذا مقتضى هذا الركن العظيم من أركان الإســـلام وكـــل شعيرة من شعائر الإسلام لها مقتضى تظهر آثاره في العمل والســـلوك ، فالصـــلاة إذا أديت بهيئتها الصحيحة وكانت مستكملة لأركانها وشـــروطها تنهـــي العـــبد عن ارتكاب الفحشاء والمنكر . قال تعالى : (إن الصـــلاة تـــنهى عـــن الفحشاء والمنكر) ومن لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمـــنكر لم يزدد بها عن الله إلا بعداً ، ومقتضى الصوم تحقق التقوى ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم

لعلكم تتقون) وهكذا جميع شعائر هذا الدين لها مقتضى ينبغي أن يتحقق في سلوك المسلم لكن متى ما أصبحت هذا الشعائر تؤدى شكلاً فإنها ستصبح كالجسد بدون روح وبدراسة التاريخ الإسلامي نجد أن جيل الصحابة قد استقام سلوكهم وصلحت أحوالهم بأداء هذه الشعائر الدينية ، فكان للقرآن تأثير في حياتهم وكان للصلاة والزكاة والصوم والحج تأثير ظاهر في سلوكهم وأعمالهم فكانوا خير أمة وخير جيل في تاريخ البشرية ووصفهم الحق : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) ولكن عندما ضُيعت هذه الشعائر وفرط غالبية المسلمين في أدائها ، بل إن البعض قد أعرض عن الامتثال لها ، أصبح وقع الأمة لا تحسد عليه ، ولا يمكن أن يصلح حال أمة محمد صلى الله عليه وسلم إلا بأداء دين الله أداءً تظهر آثاره في سلوك الفرد والمجتمع " لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها " كما يقول عمر رضي الله عنه : نحن أمة عزنا الله بالإسلام فمتى ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله ، وأبى عز وجل إلا أن يعز من أطاعه ويذل من عصاه " لقد كان الفرد من جيل الصحابة يحرص كل الحرص على الأعمال الصالحة ، بل ويسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أي الأعمال أفضل كل ذلك إيماناً منهم بأن السعادة وصلاح الحال والمآل والأمن والطمأنينة في طاعة الله عز وجل ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : أي العمل أفضل ؟ قال : " إيمان بالله ورسوله " ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : " الجهاد في سبيل الله " ، قيل : ثم ماذا ؟ قال : " الحج المبرور " رواه البخاري ومسلم . فإذا كان هذا الجيل قد اختصهم وأكرمهم بصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن الأجيال التي ما أدركت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد حباهم الله أجر الإيمان بالغيب وأجر محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي خالجت قلوبهم واستنارت بها

أرواحهم محبة دعتهم إلى اقتفاء أثره والتزام سنته لهذا كان أجر الواحد كأجر خمسين . قال صلى الله عليه وسلم : " وددت أن لو رأينا إخواننا " قالوا : يا رسول الله ألسنا إخوانك ؟ قال : " أنتم أصحابي ، إخواننا الذين يأتون من بعدنا أجر الواحد منهم كأجر خمسين " قالوا : منا أم منهم ؟ قال : " بل منكم ، إنكم تجدون على الخير عون ولا يجدون " .

إن الحج المبرور الذي لا يخالطه شيء من الآثام والذي يؤدى على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم القائل : " خذوا عني مناسككم لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا " هذا الحج ليس له جزاء إلا الجنة وهو مكفر للذنوب ماح للآثام ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة " ، وهذا الحج يهدم ما كان قبله من الآثام والذنوب ، لقد ورد ذلك في حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه الطويل الذي ساقه عندما مرض ، فبكى طويلاً وقال فيما قال : فلما جعل الله الإسلام في قلبي أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وقلت يا رسول الله ابسط يمينك لأبايعك فبسط يده فقبضت يدي ، فقال : " مالك يا عمرو ؟ " قال : أردت أن اشترط ، قال : " تشترط ماذا ؟ قال : أن يغفر لي ، قال : " أما علمت يا عمرو أن الإسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله " رواه ابن خزيمة ، وفي مسلم بأطول منه .

سبحان الله ما أرحمه وألطفه بعباده ، إن من رحمته أن فتح باب التوبة ليتوب العبد إليه من أكبر الذنوب وأعظمها فتمحوا هذه التوبة ما سبقها وتصبح صحائف العبد بيضاء نقية ، وهو سبحانه الغني عن عباده لا تنفعه

طاعـــة المطـــيع ولا تضـــره معصية العاصي فليعلم هذا الشاردون عن الله المنغمســـون في الذنوب والمعاصي إن رباً يغفر الذنب ويقبل التوب هو شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير .

اللهـــم اهدنا سبل السلام وجنبنا الشرور والآثام واجعلنا من الراشدين ، اللهـــم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه إنك ولـــي ذلك والقادر عليه .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أيام التشريق عيدنا أهل الإسلام :-

الحمد لله جعل لأمة محمد مواسم يتسابق فيها المؤمنون لفعل الطاعات ، أحمـــده حمـــداً كثيراً وأصلي وأسلم على رحمة الله للعالمين محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه .. أما بعد :

فإن أيام عشر ذي الحجة من أفضل أيام الله عز وجل وهي من الأشهر الحـــرم ومـــن أيام الحج ، والأعمال الصالحة يضاعفها الله عز وجل لعباده المؤمنيـــن وبالذات في الأماكن المقدسة والزمان الفاضل ولقد ورد في فضل هـــذه الأيام جملة من الأحاديث النبوية منها حديث ابن عمر رضي الله عنهما المرفوع حيث قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من أيام أعظم عـــند الله ولا أحـــب إليه العمل فيهن من هذه الأيام العشر " وفي صحيح ابن حبان عن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما مـــن أيـــام أفضل عند الله من أيام عشر ذي الحجة " قيل : يا رسول الله هي أفضل من عدتهن جهاداً في سبيل الله ؟ قال : " هي أفضل من عدتهن جهاداً في سبيل الله إلا من عفر وجهه تعفيراً ، وما من يوم أفضل من يوم عرفة ، وعـــن جابر أيضاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " أفضل أيام الدنيا أيام العشر " قالوا : يا رسول اله ولا مثلهن في سبيل الله ؟ قال : " ولا مثلهن في ســـبيل الله إلا مـــن عفر وجهه بالتراب " وقال سهيل ابن أبي صالح عن أبيه عـــن كعـــب قال : اختار الله الزمان وأحب الزمان ، وأحب الزمان إلى الله الأشـــهر الحرم وأحب الأشهر الحرم إلى الله ذي الحجة ، وأحب ذي الحجة إلـــى الله العشر الأولى . وقال مسروق في قوله تعالى : (وليال عشر) هي

أفضـــل أيام السنة . خرجه عبدالرزاق وغيره . فأيام هذه العشر تشتمل على يوم عرفة ، وقد ورد أنه أفضل أيام الدنيا ، وفيها يوم النحر وروي عن النبي صـــلى الله علـــيه وسلم أنه قال : " يوم النحر ، ثم يوم النفر " خرجه الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما بقول ابن رجب : وهذا كله يدل على أن عشر ذي الحجة أفضل من غيرها من الأيام من غير استثناء .

أخـــي الحـــاج لقد هيأ الله لك أن جعلك من زوار بيته الحرام فهذه منة عظـــيمة وفضل من الله عليك كبير فأنت في البلد الحرام وفي الشهر الحرام فاغتـــنم الفرصة في التزود بالطاعات والابتعاد عن المعاصي والسيئات لأن الحسنة كما أنها تضاعف حسب حرمة الزمان والمكان فإن السيئة كذلك . بل إن الهم بالسيئة يحاسب العبد عليه كما قال الله تعالى : (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) فعليك بالذكر والدعاء فإنه يشرع الإكثار من الذكر والدعاء في الأيام العشر ، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً " فأكثروا فيهـــن مـــن التهليل والتكبير والتحميد " واستحب طائفة من أهل العلم الجهر بالتكبـــير فـــي الأسواق في هذه العشر ومنهم أحمد والشافعي ، لكن الشافعي خصـــه مجال رؤية بهيمة الأنعام وأحمد يستحبه مطلقاً وقد ذكر البخاري في صحيحه عن ابن عمر رضي الله عنهما وأبو هريرة رضي الله عنه أنهما كانا يخرجان إلى السوق في العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما ، وعن مجاهد قـــال : كـــان أبو هريرة وابن عمر يأتيان السوق أيام العشر فيكبران ويكبر الـــناس معهمـــا ولا يأتيان لشيء إلا لذلك .. وصيغة التكبير [الله أكبر ، الله أكـــبر ، الله أكـــبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد] أخي الحاج إحذر المعاصي فإنها توجب الغفلة وتحرم العبد المغفرة في هذا الموسم العظيم موسم الرحمة والرضوان .

أخـــي المسلم لقد ورد في فضل يوم عرفة جملة من الأحاديث فهو يوم عظـــيم يباهـــي الله بعـــباده المؤمنين ملائكته المقربين فيقول : " انظروا إلى عـــبادي أتونـــي شعثاً غبراً من كل فج عميق ، أشهدكم أني قد غفرت لهم " فيفـــيض الحاج من هذا الموقف العظيم وقد محيت ذنوبه وحطت خطاياه ولم يُر الشيطان في يوم أحقر ولا أدحر منه في هذا اليوم إلا يوم بدر عندما رأى تنزل الملائكة لنصرة المؤمنين ، في الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضي الله عـــنه أن رجلاً من اليهود قال : يا أمير المؤمنين آية في كتابكم لو نزلت عليـــنا معشـــر يهود لنتخذن ذلك اليوم عيداً . فقال : أي آية ؟ قال : (اليوم أكملـــت لكـــم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) . فقال عمـــر : إنـــي لأعلـــم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه ، نزلت ورســـول الله صـــلى الله عليه وسلم قائم بعرفة يوم جمعة . ويوم عرفة يوم العتق من النار ، يقول ابن رجب فيعتق الله من النار من وقف بعرفة ومن لم يقـــف مـــن أهل الأمصار من المسلمين فلذلك صار اليوم الذي يليه عيداً في جمـــيع أمصـــارهم من شهد الموسم منهم ومن لم يشهده لاشتراكهم في العتق والمغفرة يوم عرفة . وشرع سبحانه لعباده جميعاً التقرب بالنسك وهو إراقة دمـــاء القرابيـــن ، فـــأهل الموســـم يرمون الجمرة فيشرعون في التحلل من إحرامهم بالحج ويقضون تفثهم ويوفون نذورهم ويقربون قرابينهم من الهدايا ثـــم يطوفـــون بالبيت العتيق وأهل الأمصار يجتمعون على ذكر الله والتكبير والصـــلاة ، ثـــم ينســـكون عقـــب ذلك نسكهم ويقربون قرابينهم بإراقة دماء ضـــحاياهم فيكون ذلك شكراً منهم لهذه النعم فالصلاة والنحر الذي يجتمع في عيد النحر أفضل من الصلاة والصدقة الذي في عيد الفطر ولهذا أمر رسول الله صـــلى الله عليه وسلم أن يجعل شكره لربه على إعطاء الكوثر أن يصلي

لربه وينحر ، وقيل لـــه : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) .

والأضاحي سنة إبراهيم الخليل عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فـــإن الله شرعها لإبراهيم حين فدى ولده الذي أمره بذبحه بذبح عظيم ، وفي حديـــث زيـــد بن أرقم : قيل : يا رسول الله ما هذه الأضاحي ؟ قال : " سنة إبراهيم " قيل له : فما لنا بها ؟ قال : " بكل شعرة حسنة ، قيل فالصوف بكل شعرة من الصوف حسنة " خرجه ابن ماجة .

اللهـــم إنا نسألك التوفيق للأعمال الصالحة في هذه الأيام الفاضلة ، اللهم اجعـــل حجنا مبروراً وسعينا مشكوراً وذنبنا مغفوراً .. اللهم آمين .. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فضائل شهر رمضان :-

الحمـــد لله مصـــرف الأحوال ومقلب الليل والنهار ، أحمده حمداً كثيراً وأصـــلي وأسلم على الرحمة المهداة محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه .. أما بعد :

من مواسم القرب والطاعات هذا الموسم العظيم الذي تزودت فيه القلوب بـــزاد الإيمان والتقى شهر رمضان فقد فاز من وافق الليالي المباركة فصام وقـــام إيمانـــاً واحتساباً ، فهنيئاً لمن حظي بالقبول ، ويا خسارة من فرط في أيامه ولياليه .. إن شهر رمضان بحق هو مدرسة الإيمان تتقوى فيه النفوس علـــى طاعة الله وتتعرف على معنى الصبر بجميع أشكاله وصوره ، فيه ليلة العـــبادة فيها خير من ألف شهر فيما سواها ، ليلة القدر ، الليلة التي أنزل الله فيها القرآن ، إن هذا الموسم العظيم هو منة من الله على عباده تفضل عليهم بهـــا لـــتكون مضماراً إلى التسابق في الخيرات بالقرب والطاعات .. وهذه المواســـم يوالـــيها الله ويتابعها لعباده المتقين ، فإذا انتهى شهر الصوم شهر الخـــيرات والـــبركات تلته أشهر الحج وهي شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجـــة ، أيام فاضلات شرع الله فيها أنواعاً من الطاعات كل ذلك فضل منه ومـــنة حتى يتقرب إليه عباده المتقون ويتسابق في طاعته المتسابقون ، خرج مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وســـلم قـــال : " من صام رمضان ثم اتبعه ستاً من شوال ... " ، يقول ابن رجـــب رحمـــه الله في شرح هذا الحديث الذين استحبوا صيامها اختلفوا في صيامها على ثلاثة أقوال أحدها : أنه يستحب صيامها من أول الشهر متتابعة

وهو قول الشافعي وابن المبارك ، وقد روي في حديث أبي هريرة مرفوعاً : " مـــن صام ستة أيام بعد الفطر متتابعة فكأنما صام السنة " خرجه الطبراني وغـــيره من طرق ضعيفة ، وروي مرفوعاً عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله بمعناه بإسناد ضعيف أيضاً . والثاني : أنه لا فرق بين أن يتابعها أو يفرقها من الشهر كله وهما سواء ، وهو قول وكيع وأحمد . والثالث : أنها لا تصـــام عقب يوم الفطر فإنها أيام أكل وشرب ولكن يصام ثلاثة أيام قبل أيام البـــيض وهـــذا قول معمر وعبدالرزاق . وروي عن عطاء .. وأكثر العلماء على أنه لا يكره صيام ثاني الفطر فقد دل عليه حديث عمران بن حصين عن النبي صـــلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل : " إذا أفطرت فصم " .

وفي صيام الست من شوال بعد رمضان حكم وفوائد ذكرها ابن رجب ، فقال : إن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كلـــه .. ومـــنها أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضـــة وبعدهـــا فيكمل بذلك ما حصل في الفرض من خلل ونقص فإن الفرائض تجبر أو تكمل بالنوافل يوم القيامة كما ورد ذلك عن النبي صلى الله علـــيه وسلم من وجوه متعددة ، وأكثر الناس في صيامه للفرض نقص وخلل فيحـــتاج إلـــى ما يجبره ويكمله من الأعمال ، لهذا نهى النبي صلى الله عليه وســـلم أن يقـــول الرجل صمت رمضان كله أو قمته كله ، قال الصحابي فلا أدري أكره التزكية أم لابد من الغفلة ، وكان عمر بن عبدالعزيز يقول من لم يجـــد مـــالاً يتصـــدق به فليصم ، يعني أن من لا يجد صدقة الفطر في آخر رمضان فليصم بعد الفطر فإن الصيام يقوم مقام الإطعام في التكفير للسيئات كمـــا يقـــوم مقامه في كفارات الأيمان وغيرها من الكفارات في مثل كفارات القتل والوطء في نهار رمضان والظهار .. كما يسترسل ابن رجب رحمه الله

فـــي ذكر فوائد صيام الست من شوال ويقول : ومنها أن معاودة الصيام بعد صـــيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان فإن الله إذا تقبل عمل عبد وفقـــه لعمل صالح بعده كما قال بعضهم : ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، فمن عمـــل حسنة ثم اتبعها بحسنة كان ذلك علامة قبول الحسنة الأولى ، كما أن مـــن عمـــل حسنة ثم اتبعها بسيئة كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها ، ومـــنها أن صيام رمضان يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب ، وأن الصائمين لرمضـــان يوفـــون أجورهـــم في يوم الفطر وهو يوم الجوائز فيكون معاودة الصـــيام بعـــد الفطر شكراً لهذه النعمة ، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تتورم قدماه ، فيقال له : أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك ؟ فيقول : " أفلا أكون عبداً شكوراً " ، وقد أمر الله سبحانه عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره وغير ذلك من أنـــواع شـــكره ، فقال : (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشـــكرون) .. فمـــن جملة شكر العبد لربه على توفيقه على صيام رمضان وإعانته عليه ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شكراً عقب ذلك ، كان بعض السلف إذا وفـــق لقـــيام ليلة من الليالي أصبح في نهاره صائماً ويجعل صيامه شكراً للتوفـــيق للقـــيام ، وكـــان وهب بن الورد يُسأل عن ثواب شيء من الأعمال كـــالطواف ونحوه فيقول : لا تسألوا عن ثوابه ولكن اسألوا ما الذي على من وفق لهذا العمل من الشكر للتوفيق والإعانة عليه .

كـــل نعمـــة من الله في دين أو دنيا تحتاج إلى شكر عليها ، ثم للتوفيق للشكر عليها نعمة أخرى تحتاج إلى شكر ثان ، ثم التوفيق للشكر الثاني نعمة أخرى تحتاج إلى شكر آخر وهكذا أبداً ، فلا يقدر العبد على القيام بشكر النعم وحقيقة الشكر الاعتراف بالعجز عن الشكر .

إن نعـــم الله علـــى العـــبد عظـــيمة ومتعددة : (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ، وبالشـــكر تدوم النعم وتكثر وفي الكفر زوالها ومحق بركتها : (وإذ تـــأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد) ، والله عـــز وجـــل غنـــي عن العالمين لا تنفعه طـــاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي : (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها) .

نســـأل الله الكـــريم رب العرش العظيم أن يوفقنا لذكره وشكره وحسن عبادته وأن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه .

أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة :-

الحمـــد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فالله عز وجل قد بين لعباده المؤمنين الحلال والحرام وأباح لهم الطيبات وحـــرم عليهم الخبائث ، فالحلال هو المباح ، الذي أذن الله في فعله والحرام هـــو الأمـــر الذي نهى الشارع عنه نهياً جازماً ، بحيث يتعرض من يخالف النهـــي لعقوبـــة الله في الآخرة وقد يتعرض لعقوبة شرعـــية في الدنيا ، قال تعالى : (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلال طيباً ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين) ، وقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيـــبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حـــلالاً طيباً واتقوا الله الذي أنتم به مؤمنون) ، وقال سبحانه : (ومالكم ألا تـــأكلوا ممـــا ذكـــر اســـم الله علـــيه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضـــطررتم إلـــيه وإن كثـــيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين) ، وقال عز من قائل : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيـــبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون ، قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً ، وأن تقولـــوا على الله ما لا تعلمون) ، ولقد ذم سبحانه وتعالى الذين يحللون ويحرمون بحسب أهوائهم وما تمليه رغباتهم فقال عز من قائل : (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من زرق فجعـــلتم منه حراماً وحلالاً أءالله أذن لـــكم أم على

الله تفـــترون) ، ولقد أوضح المصطفى صلى الله عليه وسلم ما أحله الله وما حرمه عليهم ، كل ذلك حتى تستقيم النفوس وتصلح الأحوال ، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يقول : " إن الحـــلال بيـــن والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمهن كثير من الـــناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقـــع فـــي الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ، ألا وإن لكـــل ملك حمى ، ألا وإن حمى الله محارمه ، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صـــلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " متفق علـــيه ، وهذا توضيح وبيان للحرام والحلال وما هو مشتبه بينهما ، فقد وجه النبـــي صلى الله عليه وسلم بترك الحرام طاعة لله وابتغاء مرضاته والابتعاد عن الشـــبهات تورعاً وتنزهاً حتى لا يكون الوقوع فيـــها ومن ثم الوقوع في الحـــرام ، كمـــا أوضح عليه الصلاة والسلام أن صلاح الأعمال في صلاح القلـــوب ، وأن صـــلاح القلوب في الإيمان والتقوى ، وأن فساد الأعمال في فســـاد القلـــوب ، وفساد القلوب في الكفر والنفاق والقسوة والعصيان وهناك ارتباط بين أكل الحرام وقبول الدعاء أو عدم قبوله ، لأن النبي صلى الله عليه وســـلم أوصـــى أحد أصحابه فقال : " أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة " فالابـــتعاد عـــن أكـــل الحرام وتحري أكل الحلال يجعل العبد مقبول الدعاء مســـتجاب الدعـــوة ، وهـــذا أمـــر يغفل عنه الكثير من الناس ، ولقد أوضح المصـــطفى صلى الله عليه وسلم أنه يأتي على الناس زمان لا يتحرى الواحد مـــنهم طيب مأكله ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " يأتي على النـــاس زمان لا يبالي المرء ما أخذ أمن الحلال أم من الحرام " رواه البخاري ، والله عز وجل طيب لا يقبل إلا طيباً وقد أمر عـــباده المؤمنين بما أمر به رسله المقربين ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه

قـــال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً " ، وإن الله أمـــر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال : (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً إني بما تعملون عليم) ، وقال : (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) .

ثـــم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حال الرجل وهو يأكل الحرام فترد دعوته ولا يستجاب له ، فجاء في الحديث ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك " رواه مسلم .

وهـــذه الدروس رعاها الصحابة وأدركوا معناها وطبقوا مقتضاها فكان الواحـــد منهم لا يأكل الحرام ولا يستسيغه ويتورعون أشد الورع منه وقصة أبـــي بكر التي روتها عائشة توضح ذلك ، قالت رضي الله عنها : كان لأبي بكـــر الصديق رضي الله عنه غلام يخرج له الخراج وكان أبو بكر يأكل من خـــراجه فجاء يوماً بشيء فأكل منه أبو بكر فقال له الغلام : أتدري ما هذا ؟ فقـــال أبـــو بكـــر رضي الله عنه : وما هو ؟ قال : كنت تكهنت لإنسان في الجاهلية وما أحسن الكهانة إلا أن خدعته فلقيني فأعطاني لذلك هذا الذي أكلت منه . فأدخل أبو بكر رضي الله عنه يده فقاء كل شيء في بطنه .. ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يوضحون للناس ارتباط قبول العمل بأكل الحلال والابتعاد عن الحرام ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صـــلى علـــيه وسلم : " لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام " ، بل إنهم رضـــوان الله علـــيهم يؤكـــدون للـــناس أن الحلال يحاسب الله عباده عليه ، والحـــرام يعذبهـــم علـــيه قـــال على رضى الله عنه إن الدنيا حلالها حساب

وحرامها عذاب بل إن علماء السلف من التابعين كانوا ينفرون الناس من أكل الحـــرام ويوضـــحون لهـــم أن هذا الحـــرام لا يقبل منهم حتى وإن فعل به الطاعات ، قال سفيان النوري : ما أنفق من الحرام في طاعة الله ، كان كمن طهـــر الـــثوب النجس بالبول ، والثوب النجس لا يطهره إلا الماء والذنب لا يكفـــره إلا الحلال . قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله : ما أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل جوفه . رحمهم الله ورضي عنهم فقد كانوا حريصين كـــل الحرص على تحري الحلال والبعد عن الحرام من أجل ذلك كانوا هداة خير ومشعل هداية للبشرية وكانت لهم الخيرية على غيرهم فاستحقوا وصف الله : (كنـــتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) وكانوا بحق جيلاً فريداً في تاريخ البشرية .

نســـأل الله الكـــريم رب العـــرش العظيم أن يلحقنا بهم في جناته جنات الخلـــود ، ونســـأله أن يوفقنا للسير على نهجهم واقتفاء آثارهم إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر :-

الحمـــد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وآله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

فإن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام ولأهميتها فرضت على رســـول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة الإسراء والمعراج خمسين صلاة ثم خفضـــها الله علـــى عباده رحمة بهم ومنة منه إلى خمس صلوات في اليوم والليلة وأبقى سبحانه بفضله ومنه وعطائه أجرها خمسين ، لأن الحسنة بعشر أمثالها والصلاة من أهم شعائر الإسلام وهي عمود هذا الدين والأجر فيها إن أديت بأركانها وسننها وواجباتها عظيم أيضاً ، قال تعالى : (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) ، فينبغي للمؤمن أن يحسن أداءها ويحافظ على أوقاتها لأن الله عز وجل قد حدد لكل فرض وقتاً : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) أي مؤقت وقته عليهم ، وقد ورد في أوقاتها أحاديث نبوية منها مـــا رواه البخاري ، قال : حدثنا عبدالله بن مسلمة ، قال : قرأت على مالك عن ابن شهاب أن عمر بن عبدالعزيز أخر الصلاة يوماً فدخل عليه عروة بن الزبير فأخبره أن المغيرة بن شعبة آخر الصلاة يوماً وهو بالعراق فدخل عليه أبـــو مسعود الأنصاري فقال : ما هذا يا مغيرة ؟ أليس قد علمت أن جبريل صـــلوات الله وســـلامه عليه نزل فصلى ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صلى ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صلى ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم صلى ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وســـلم ، ثـــم صلى ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بهذا

أمـــرت " فقال عمر لعروة : أعلم ما تحدث به جبريل أو إن جبريل هو أقام لرســـول الله صـــلى الله عليه وسلم وقت الصلاة ؟ قال عروة : كذلك . كان بشير بن مسعود يحدث عن أبيه ... ثم أورد البخاري رحمه الله بسنده حديث بشير بن مسعود هذا فقال : حدثنا قتيبة حدثنا ليث عن ابن شهاب أن عمر بن عـــبدالعزيز أخـــر العصر شيئاً فقال له عروة : أما إن جبريل قد نزل فصلى أمـــام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عمر : أعلم ما تقول يا عروة . قال : سمعت بشير ابن أبي مسعود يقول : سمعت أبا مسعود يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " نزل جبريل فأمني فصليت معه ، ثم صـــليت معـــه ،ثـــم صليت معه ، ثم صليت معه ، ثم صليت معه ، يحسب بأصابعه خمس صلوات .

وقـــد حـــدد صلى الله عليه وسلم أوقات هذه الصلوات الخمس ، فوقت صـــلاة الفجـــر ذكر في حديث رواه البخـــاري بسنده فقال : حدثنا عمر بن عاصـــم ، قـــال : حدثنا همام عن قتادة عن أنس أن زيد بن ثابت حدثه أنهم تســـحروا مـــع النبـــي صلى الله عليه وسلم ثم قاموا إلى الصلاة ، قلت : كم بينـــهما ؟ قال : قدر خمسين أو ستين ، يعني آية . وفي رواية أخرى حدثنا هشام حدثنا قتادة عن زيد بن ثابت رضي الله عنه ، قال : تسحرنا مع النبي ثم قام إلى الصلاة ، قلت : كم كان بين الأذان والسحور ، قال : قدر خمسين آيـــة . وتحديد الوقت بالقراءة يدل على أنه كان للقراءة زمن معروف لديهم وأن قراءتهم في الغالب تتقيد بهذا الزمن الذي أصبح كالعرف المجمع عليه .

أما وقت الظهر فكان عند الزوال قال جابر رضي الله عنه كان الرسول صـــلى الله علـــيه وســـلم يصلي بالهاجرة وعن أنس بن مالك أنه خرج حين

زاغت الشمس فصلى الظهر ... إلا أنه في شدة الحر يبرد بالصلاة روى البخاري بسنده قال : حدثنا أيوب بن سليمان ، قال : حدثنا أبو بكر عن سليمان بن بلال ، قال : صالح بن كيسان حدثنا الأعرج بن عبدالرحمن وغيره عن أبي هريرة ونافع مولى عبدالله بن عمر عن عبدالله بن عمر أنهما حدثاه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا اشتد الحر فابردوا بالصلاة فإن شدة الحر من فيح جهنم " .

أما وقت صلاة العصر فقد أورد رحمه الله حديثاً عن عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي العصر والشمس لم تخرج من حجرتي ، وقال عروة : ولقد حدثتني عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي العصر والشمس في حجرتها .

أما وقت صلاة المغرب فقد ورد حديث رافع بن خديج : كنا نصلي المغرب مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فينصرف أحدنا وأنه ليبصر موقع نبله .

أما وقت العشاء فقد أورد بسنده حديثاً قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : حدثنا شعبة عن سعد بن إبراهيم عن محمد بن عمر هو ابن الحسن بن علي قال : سألنا جابر بن عبدالله عن صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة والعصر والشمس حية والمغرب إذا وجبت ، والعشاء إذا كثر الناس عجل وإذا قلوا أخر ، والصبح بغلس . وأورد رحمه الله في المعنى نفسه حديثاً آخر قال : حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر قال : حدثنا شعبة عن سعد بن

محمد بن عمر بن الحسن بن علي قال : قدم الحجاج فسألنا جابر بن عبدالله ، فقـــال : كـــان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي الظهر بالهاجرة ، والعصر والشـــمس نقية ، والمغرب ، إذا وجبت أي غربت ، والعشاء أحياناً وأحياناً ، إذا رآهم اجتمعوا عجل وإذا رآهم ابطأوا أخر ، والصبح كان النبي صلى الله عليه وسلم يصليها بغلس .

فنلحظ هنا أن جميع فروض الصلاة قد جعل لها وقت محدد ولكن ينبغي مراعاة حال المأمومين من باب الرفق بهم وعدم المشقة عليهم لكن في حدود وقـــت الصلاة ، لأن الله عز وجل يقول : (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) .

والمؤمن إذا حافظ على هذه الصلوات الخمس جماعة واستوفى أركانها وواجـــباتها وسننها أثمرت له نوراً في القلب وراحة في الضمير واستقامة في السلوك ، لأن الصلاة بهذه الصفة تنهى عن الفحشاء والمنكر لقوله تعـــالى : (إن الصـــلاة تـــنهى عـــن الفحشاء والمنكر) ، وإذا لم يتحقق مقتضى هذه الصلاة فعلى العاقل محاسبة نفسه ومراجعتها بخصوص هذه الشعيرة العظيمة من شعائر الإسلام ولأنه ورد : " من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزد بها من الله إلا بعداً " .

ولعل قائل يقول ما علاقة التحدث عن الصلاة بالتربية الإسلامية ، نقول إن الحديـــث عـــن التربية الإسلامية هو حديث عن الإســـلام بكل ما تعنـــيه الكلمـــة .. فالحديـــث عن أركان الإسلام وأركان الإيمان والإحسان والشعائر والعبادات والمعاملات والآداب والأخلاق كل ذلك يأتي في التربية الإسلامية

التـــي كـــان مؤصل أصولها وواضع أسسها النبي المصطفى صلى الله عليه وســـلم : فـــالحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على خير البرية محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .

الإخلاص شرط لقبول الأعمال :-

الحمـــــد لله رب العالمين جعل الفوز والفلاح لعباده المخلصين وأثابهم علـــى الإخلاص أجراً عظـــيماً ، أحمده حمداً كثيراً وأصلي وأسلم على خير خلقـــــه محـــــمد بن عبدالله الذي كان في أعلى درجـــات الإخلاص لله عز وجل .. أما بعد :

فـــإن الإخـــلاص مطلب عزيز وهدف للمؤمن سام ورد الحث عليه في كـــتاب الله ، فقال عز من قائل : (إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصـــوا ديـــنهم لله فألئك مع المؤمنين ، وسوف يؤتي الله المؤمنين أجراً عظـــيماً) ، وجعـــل الـــنجاة من المآزق والخلاص من الكروبات في طاعته وإخـــلاص العمل له ، قال تعالى : (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه مـــن عبادنا المخلصين) ، وجعل الإخلاص من صفات أنبيائه ورسله ، قال تعالى : (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً) ، كما أمـــر عـــباده عامة بعبادته وإخلاص الدين لـــه : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) .

ولقـــد أوضـــح المصـــطفى صلى الله عليه وسلم قيمة الإخلاص وقيمة الـــثواب وارتباط رضى الرب به سبحانه وتعالى ، فعن أنس رضي الله عنه عـــن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحـــده لا شريك له وأقام الصلاة وآتى الزكاة ، فارقها والله عنه راض " رواه ابـــن حـــبان والحاكم وقال : صحيح على شرط البخاري ومسلم . وهذا

يبين منزلة الإخلاص في العمل وأن العمل إذا بني على الإخلاص كان القليل منه مباركاً ، عن عبدالله بن زحل عن أبي عمران عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال حين بعث إلى اليمن : يا رسول الله أوصني . قال : " أخلص دينك يكفيك العمل القليل " رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد . فهذه وصية عظيمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم مختصرة وبليغة ، وقد أوتي عليه الصلاة والسلام جوامع الكلم ، إن الإخلاص لله في العبادة والتوجه إليه بالعمل يجعل القلب مطمئناً بالإيمان ويبارك الله في الأعمال بل إن الأمور المباحة بالإخلاص فيها لله تنقلب إلى طاعات : " وفي بضع أحدكم صدقة " ، وقد حظي المخلصون في أعمالهم بدعوة مباركة من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

خرج البيهقي بإسناده عن ثوبان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : طوبى للمخلصين أولئك مصابيح الهدى تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء " ، إن الإخلاص مطلب عزيز لذلك كان السلف رحمهم الله من شدة حرصهم عليه وخوفهم من الرياء والسمعة يجدون صعوبة في إخلاص النية لله ويحملون النفوس على ذلك لأنهم يعلمون أن الحق سبحانه غني عن العالمين ، لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي ، ولقد أخبرهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بقول الله عز وجل : " أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه " وخرج البزار بإسناد لا بأس به عن الضحاك بن قيس وهو ممن اختلف في صحبته قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله تبارك وتعالى يقول : أنا خير شريك فمن أشرك معي شريكاً فهو إلى شريكه " ، يا أيها الناس اخلصوا أعمالكم فإن الله تبارك وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما

خلـــص له ، كما أوضح عليه الصلاة والسلام قيمة الدنيا وقدرها عند الله وأن كل ما فيها ملعون إلا ما ابتغي به وجه الله .

خـــرج الطبراني بإسناد لا بأس به عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما ابتغي به وجـــه الله " ، فليعلم أصحاب الدنيا المولعون بها الحريصون عليها اللاهثون وراءهـــا هـــذه المكانة لمطلبهم " تعس عبدالدينار ، تعس عبدالدرهم ، تعس عبدالخميلة ، تعس عبدالخميصة ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش " سبحان الله ما أحقر هذه الدنيا وما أقل قدرها عند الله وما أشد تمسك بعض الناس بها وتعلقهم بحطامها إنها تسحر قلوب الأخيار من الناس : " اتقوا السحارة فإنها تســـحر قلـــوب العلمـــاء " ، ولقد وردت قصة لرجل عابد من بني إسرائيل وضـــحت حـــال الدنيا ، فيروى أن عابداً من بني إسرائيل كان منصرفاً إلى العـــبادة مـــتوجهاً إلى الله بها لا يلتفت إلى غيرها وكانت تأتيه امرأة ومعها صـــنوف الأطعمة والأغذية فتضعها بين يديه ثم تنصرف عنه ، استمر على هـــذا المـــنوال فـــترة طويلة من الزمن والمرأة هذه على حالها تأتيه كل يوم بصنوف من الأطعمة تضعها بين يديه وتنصرف ، وفي يوم من الأيام حدثته نفســـه أن يتعرف على هذه المرأة التي أجهدت نفسها في خدمته وعزم على الـــتعرف علـــيها وتظاهر بأنه في صلاته على هيئته السابقة فجاءت بالطعام فوضـــعته بين يديه فترك الصلاة فأقبل عليها فولت عنه وأخذ يجري وراءها كلمـــا مشى خطوة ابتعدت عنه خطوات ثم قالت لـــه في سخرية واستهزاء : مســـكين أنت ، أما عرفتني ؟ قال : لا . قالت : أنا الدنيا ، عندما كنت أنت مدبر عني كنت مقبلة عليك وعندما أقبلت علي لن تدركني .

نعم إن أهل الدنيا الذين يلهثون وراءها ازداد طلبهم لها ، ازداد حرصهم علـــيها ، فليعلم هؤلاء أن الدنيا مهما جمعوا فيها فإنهم لن يخلدون لها ، فكم شـــيع الـــناس مـــن أغنياء وتجار جمعوا الأموال وكدسوها ، وبنوا العمائر وشـــيدوها ثم رحلوا وتركوها . فما أحسن التوسط في كل شيء ، وما أحسن الاقتصاد في الحب والكراهية وفي الحرص والطلب ، إن التوسط من صفات هـــذه الأمـــة : (فلا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) ، فالعاقل هو الذي يتوجه إلى الله في هذه الدنيا بقلب مفعم بالإيمان ونية خالصة إلى الله ، يعرف قدر الدنيا ويستغلها في طاعة الله ، يمشي في مناكب الأرض ويـــأكل مـــن رزق الله ويعلم أنه إليه عائد : (وامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور) ، ويعلم بأن النية إن لم تكن لله فعمله مردود عليه .

جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أرأيت رجلاً غزى يلـــتمس الآخرة والذكر ما لـــه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا شيء له " ، فأعادها ثلاث مرات يقول صلى الله عليه وسلم : " لا شيء له " ثـــم قال : " إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه " رواه أبو داود والنسائي .

اللهـــم إنا نسألك الإخلاص في القول والعمل ، اللهم اهد نفوسنا واصلح سرائرنا ونق قلوبنا من الرياء والسمعة واجعلنا من عبادك المخلصين وحزبك المفلحين .. اللهم آمين .

أجر الصائمين :-

الحمـــد لله جعـــل للعبادات مواسم يتسابق فيها عباد الله المتقون ، أحمده حمـــداً كثيراً ، وأصلي وأسلم على رحمة الله للعالمين ورسول رب العالمين محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه .. أما بعد :

إن شـــهر رمضـــان هـــو شـــهر الخيرات والطاعات شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، ولقد ورد في أفضلية هذا الشهر جملة مـــن الأحاديـــث النبوية وضح فيها النبي صلى الله عليه وسلم أجر الصائمين وعظيم الثواب لهم منها حديث سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله علـــيه وسلم قال : " إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يـــوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد " رواه البخاري . وفي هذا الحديث بيان لتميز الصائمين يوم القيامة وإعطائهم هذه الخصوصية من بين الخلق جميعاً وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء . ومن هـــذه الأحاديث حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله علـــيه وســـلم : " قال الله : كل عمل ابن آدم لـــه إلا الصوم فإنه لي وأنا أجـــزي به ، والصيام جنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فـــإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم ، والذي نفسي محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح وإذا لقي ربه فرح بصومه " رواه البخـــاري ولفظه في إحدى رواياته : " كـــل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله تعـــالى : إلا الصـــوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعـــامه من

أجلـــي ، للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك " وفي رواية للترمذي قال : قال رسول الله صـــلى الله علـــيه وســـلم : " إن ربكم يقول كل حسنة بعشر أمثالها إلى ســـبعمائة ضعف والصوم لي وأنا أجزي به ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وإن جهل على أحدكم جاهل وهو صائم فليقل إني صائم إنـــي صائم " وفي رواية لابن خزيمة : " كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمـــثالها إلى سبعمائة ضعف ، قال الله إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به يدع الطعـــام من أجلي ويدع الشراب من أجلي ويدع لذته من أجلي ، ولخلوف فم الصـــائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وللصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفـــرحة حيـــن يلقى ربه " .. في هذا الحديث بجميع طرقه جملة من الفوائد ومـــن أهمها فضل أجر الصوم وعظم ما أعد الله للصائمين ، وفي هذا حافز ودافع على المحافظة على الصيام من كل ما يؤثر عليه وينقص أجره .

والصيام كما أنه يفيد في تقوية الإيمان وسمو الروح وعلو الدرجات هو أيضاً صحة للبدن وسلامة للأعضاء وهو أيضاً يقوي الإرادة ويشحذ العزيمة ويعمـــق الصبر ، فشهر الصيام هو شهر الصبر ، والصبر ثلاثة أنواع صبر علـــى الطاعة وصبر عن المعصية وصبر على أقدار الله المؤلمة وجميع هذه الأنواع في هذا الشهر والصبر ثوابه الجنة .. ولقد وردت بعض الكلمات في روايـــات هذا الحديث مثل الرفث والمراد به الفحش ورديء الكلام . والجنة وهو ما يجن الإنسان أي يستره والمعنى أن الصوم يستر صاحبه من ارتكاب المعاصـــي والوقوع في المآثم الموجبة لدخول النار ، وبهذا فإن الحديث يرد في التربية الإيمانية البنائية والتربية الإيمانية الوقائية ، والخلوف تغير رائحة الفـــم من الصوم وهذه الرائحة المستقذرة عند الناس أطيب عند الله من ريح

المســـك ، لأنهـــا أثر لعباده ، محبوبة عند الله وهكذا جميع آثار الطاعة طيبة مرضـــية تعود فوائدها على المطيع الملتزم بعبادة ربه ، وإذا كانت الأعمال تتضاعف الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف فإن الصيام يتضاعف بما لا يحصيه العد عند الله عز وجل وهذا يدل على عظيم الأجر للصائمين لكن هذا الأجر لا يتأتى إلا لمن حفظ لسانه من الغيبة والنميمة وقول الزور وكبح جمـــاح نفســـه من ارتكاب المعاصي والمنكرات بجانب تركه للمباحات حال الصيام وغالب نفسه وكبحها عن الانتقام حال المشاجرة .

ولقـــد قـــال صلى الله عليه وسلم : " من لم يدع قول الزور والعمل به والجهـــل فلـــيس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " ، وهذا الصيام الذي يحـــافظ علـــيه صـــاحبه ويحفظ به نفسه هو كما قلنا أعظم القربات وأفضل الطاعـــات ، ولقد كان عليه الصلاة والسلام يأمر به ويحث عليه . فعن أبي أمامـــة رضي الله عنه قال : قلت : يا رسول الله مرني بعمل . قال : " عليك بالصـــوم فإنه لا عدل له " ، قلت : يا رسول الله مرني بعمل . قال : " عليك بالصـــوم فإنه لا عدل له " ، قلت : يا رسول الله مرني بعمل . قال : " عليك بالصـــوم فإنه لا عدل له " رواه النسائي وابن خزيمة والحاكم وقال : صحيح الإســـناد . وفـــي رواية للنسائي قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلـــت : يا رسول الله مرني بأمر ينفعني الله به . قال : " عليك بالصوم فإنه لا مثل له " رواه ابن حبان . في حديث قال : قلت : يا رسول الله تدلني على عمل أدخل به الجنة . قال : " عليك بالصوم فإنه لا مثل له " قال : فكان أبو أمامـــة لا يُـــرى في بيته الدخان نهاراً إلا إذا نزل به ضيف ففي حديث أبي أمامـــة جملـــة فوائـــد فمن أهمها حرص الصحابة رضي الله عنهم على فعل الخـــيرات والسؤال عن الطرق الموصلة إلى رضوان الله والجنة ، فقد كانوا

يســـألون حبيـــبهم ومعلمهم عن كل ما أشكل عليهم حيث كانوا يجدون عنده الجـــواب الكافي والبلسم الشافي ، وكان من أساليبه أن يكرر أحياناً المعلومة علـــيهم لتفهم عنه وترسخ في الأذهان ، وثمار العلم العمل ، فكانوا رضوان الله عليهم يعملون بما يعلمون وينقلونه سلوكاً وواقعاً ، فأبوا أمامة عندما علم أفضـــلية الصيام كان لا يُرى في بيته الدخان نهاراً وهذا دليل على أنه لازم الصوم لكنه ليس صيام الدهر لأن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام الدهر وحث على صيام يوم وإفطار يوم صلوات ربي وسلامه عليه .

اللهـــم وفقـــنا لصيام هذا الشهر وقيامه واجعلنا فيه من عتقائك من النار برحمتك يا أرحم الراحمين .

حقيقة التوكل على الله :-

الحمد لله أمر بالتوكل عليه فقال عز من قائل : (فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين) ، أحمده حمداً كثيراً وأصلي وأسلم على الهادي البشير الذي علم أمته كيف يكون التوكل على الله والاعتماد عليه .. أما بعد :

فالتوكل هو تفويض الأمر إلى الله والثقة بحسن النظر فيما أمر به وهو من صفات المؤمنين الحقيقيين ، قال تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) ، ولقد وجه الحق سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم بالتوكل عليه والتسبيح بحمده ، فقال : (وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً) ، ووعد سبحانه من توكل عليه أنه سيكون عوينه ونصيره ويرزقه من حيث لا يحتسب ، قال تعالى : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً) ، ولقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم المتوكلين على الله بالجنة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب هم الذين لا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون " متفق عليه . والمراد بالاسترقاء هنا الرقية غير الشرعية أما الرقية الشرعية بالآيات والأحاديث النبوية فهي مشروعة أوضحتها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يربي أصحابه رضوان عليهم بقوله وفعله ويغرس فيهم مبادئ التربية الإسلامية عن طريق التربية من خلال المواقف والأحداث ، فعن جابر رضي الله عنه قال : غزونا

مـــع رســـول الله صلى الله عليه وسلم قبل نجد ، فلما أدركته القائلة أي وقت الظهيرة وهو في واد كثير العضاة وهو شجر كبير له ظل فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلق سيفه فتفرق الناس في الشجر يستظلون وبينما نحن كذلك إذ دعانـــا رســـول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا فإذا أعرابي قاعد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عليه الصلاة والسلام : " إن هذا أتاني وأنا نائم فاخترط سيفي فاستيقظت وهو قائم على رأسي مخترطاً سيفي ، قال : مـــن يمنعك مني ؟ قلت : الله . فشامه ثم قعد . فهو هذا ، قال : ولم يعاقبه رســـول الله صـــلى الله علـــيه وسلم " متفق عليه ، ففي هذا الحديث بيان أن التوكل على الله والاعتماد عليه سبب في السلامة والنجاة والطمأنينة والراحة فالمتوكل على لا يحزن ولا يخيب ولا يخذل ولا يعتدى عليه ، لأن الله معه ، فحـــري بالمؤمـــن أن يردد قول حسبنا الله ونعم الوكيل لأنها قولة عظيمة إن قيلـــت باعـــتقاد قلب وثقة بالله أثمرت ثماراً يانعة وخلصت قائلها من مواقف الشدة قالها أبراهيم عليه السلام عنما ألقي في النار فتحولت بقدرة الله إلى برد وسلام . وقالها محمد صلى الله عليه وسلم عندما تكالب الأعداء وجمعوا لـــه الجموع وأعدوا له العدة التي لا قبل له بها ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قـــال : حســـبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم : (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) " رواه البخاري . ولقد كان صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه على الأخذ بالأسباب مع التوكل علـــى الله والاعتماد عليه ، لأن ترك الأخذ بالأسباب يعتبر قصوراً في العمل وتواكـــلاً علـــى الله ففي هجرته عليه الصلاة والسلام جهز الرفيق في السفر والدلـــيل للطـــريق والزاد والراحلة واختبأ في غار ثور من باب التعمية على الأعـــداء وجهز من يأتي له بالطعام ومن يأتي له بالأخبار وخرج من طريق

غـــير معهـــود كل ذلك من باب الحيطة والحذر ، وأخذ بالأسباب المشروعة التـــي تؤدي بعد توفيق الله إلى السلامة والأمن وهو قبل وبعد معتمد على الله ومتوكل عليه : (إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذا هما في الغار إذ يقول لصـــاحبه لا تحـــزن إن الله معـــنا) فهـــذا تعليم لأمته بلسان الحال على أن الأســـباب والوسائل والأخذ بها لا يتنافى مع التوكل على الله والاعتماد عليه كما أنه عليه الصلاة والسلام كان يؤكد هذا المعنى بأقواله وتوجيهاته للأمة ، فعـــن عمـــر رضـــي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقـــول : " لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصـــاً وتـــروح بطانـــاً " رواه الترمذي . هذا التوجيه النبوي حث بجانب الـــتوكل علـــى الله علـــى الأخذ بالوسائل المشروعة ، فالطير هنا لم تبق في أوكارهـــا بل خرجت تبحث عن رزقها فتغدو وقت الصباح وهي جياع تبحث عـــن رزق الله لهـــا لأنه (ما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مســـتقرها ومستودعها كل في كتاب مبين) تبحث عن الرزق هنا وهناك بين ثنايا الأشجار وحبات الرمل فتجد ما كتب الله لها من رزق فتعود وقت المساء بطانـــاً فهي جمعت بين التوكل على الله والبحث عن رزقها ، فما أعظم هذا التوجـــيه ومـــا أبلغ هذا الدرس الذي نتلقاه من مشكاة النبوة ونستفيد منه بأن عقـــيدة السلف هي التوكل على الله حق التوكل والاعتماد عليه اعتماداً صادقاً بجانـــب الأخذ بالأسباب المشروعة في السير والعمل ، ولقد أكد هذا المعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما جاء رجل ومعه ناقته وتركها عند باب المســـجد دون قـــيد ولا عقال ، وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم بإحكام عقالها ، فعن أنس رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله أعقلها وأتوكل أو أطلقها وأتوكل . قال : " اعقلها وتوكل " رواه الترمذي .. فهنا توجيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذا الرجل بأن يشرع في الوسيلة المشروعة

وهـــي عقل الناقة بحبل في يدها ثم بعد ذلك يتوكل على الله ويعتمد عليه في حفظها .

ولقـــد أفاد السلف رضوان الله عليهم من هذا التوجيه النبوي .. وفقنا الله عز وجل إلى ما يحب ويرضى .

كيف تكون الدنيا مزرعة للآخرة :-

الحمد لله الهادي إلى سواء السبيل ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر الميامين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) ، في هذه الآية وما بعدها تحذير من الاغترار بالدنيا والركون إليها ، والدنيا فيها من المغريات والملهيات الشيء الكثير ، ولقد انخدع بها كثير من الناس وزينت لهم الشهوات وانجرفوا خلف الملذات ، فأهلكتهم الدنيا ووافتهم المنية وهم على أسوأ حال مع أن الله عز وجل يقول : (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) ، والمطلوب من العاقل أن يعرف قدرها وأنها لا تساوي عند الله جناح بعوضة . قال صلى الله عليه وسلم : " لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء " ، كما ينبغي معرفة أنها مزرعة الآخرة ومضماراً يتسابق فيه المتسابقون في فعل الخيرات والقرب والطاعات ، فحري بالعاقل أن يتذكر النقلة منها إلى الآخرة على جسر الموت وأن يكثر من ذكر الموت وسكراته والقبر وضيقه والحشر وكربته ، لأن في هذا التذكر محاسبة للنفس ورجعة إلى الله وتبصرة وذكرى ، قال صلى الله عليه وسلم : " اكثروا من ذكر هادم اللذات " – الموت – فكم من شاب

اخترمـــته المنـــية وهـــو في عنفوان شبابه وكم من إنسان وافاه الأجل ولديه المشـــــاريع العريضة والطموحات الكبيرة التي لم يستطع تحقيقها ولا شيء منها .

لقـــد أوصـــى المصطفى صلى الله عليه وسلم المسلم بأن يستعد للموت ويجهز وصيته ويتوقع الفراق في أي ساعة من ليل أو نهار ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما حـــق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده " وفي رواية لمسلم : " يبيت ثلاث ليال " ، قال ابن عمر رضي الله عنهما : ما مـــرت علـــي لـــيلة منذ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك إلا وعندي وصيتي .

فلقـــد عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قيمة الدنيا وقدرها عند الله عـــز وجـــل وعرف ذلك لأصحابه رضوان الله عليهم فعرفوها حق المعرفة واستفادوا من توجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم التربوية في حاضرهم ومستقبلهم وعاقبة أمرهم فترجموا هذه التوجيهات وهذه النصائح والإرشادات إلـــى واقع وعمل ، فهذا ابن عمر رضي الله عنهما لا ينام إلا ووصيته تحت رأســـه يقول ذلك . ولقد كان صلى الله عليه وسلم يتحين الفرص في التوجيه والنصـــح . ففـــي صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي وقال : " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعد نفسك من أصحاب القبور " ، أي لا تركن إليها ولا تتخذها وطـــناً ولا تحدث نفسك بطول البقاء فيها ولا بالاعتناء بها ولا تتعلق فيها إلا بمـــا يـــتعلق به الغريب النائي عن وطنه ، ولا تشتغل فيها إلا بما يشتغل به الغريب الذي يريد الذهاب إلى أهله والعودة إلى بلده .

وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول : " إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك ... " هـذا التوجيه الذي تلقاه ابن عمر من مدرسة محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه وترجمه إلى عمل وسلوك لكنه مع هذا كان رضي الله عنه يعلـم علم اليقين إن هذا لا يعني الانقطاع عن الدنيا والرهبانية فيها بل يكون الـتعامل معهـا على أنها مرحلة في مشوار هذا الإنسان وسيره إلى الله عز وجـل ، ولأنـه بجانب هذا النص من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقى قول الله عز وجل : (قل من حرم زينة الله ...) ، وقوله تعالى : (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ...) ، وقوله تعالى : (يا بني آدم خـذوا زينتكم عند كل مسجد) ، وقوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كلوا واشـربوا ولا تسـرفوا إن الله لا يحب المسرفين) ، وقوله صـلى الله عليه وسلم : " إن الله جميل يحب الجمال ... " .

يا أيها الناس أصلحوا ثيابكم أصلحوا رواحلكم لتكونوا كالشامة بين الناس ولقـد كـان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل الحلوى ، وله جبة يلبسها لمقابلـة الوفود ويسرح شعره ويلاعب أهله ويسعى في مصالحهم ، كل هذا وغـيره يعطيـنا الدلـيل القـاطع أن توجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه وأمته بشأن الدنيا يعني عدم الركون إليها وعدم التفكر فيها .

لـذا عـرف السلف هذا التوجيه النبوي ، فابن القيم رحمه الله يقول عن الدنـيا : إنهـا لا تـذم مطلقاً ولا تمدح مطلقاً ، فهي خير مطية لمن سخرها لطاعة الله ، فما عملت الطاعات ولا تُقرب إلى الله بأنواع القربات إلا فيها ،

كمـــا أنهـــا تكـــون بئـــس الحال لمن استرحلته وجعلته عبداً لها " تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ... " ، فكم في هذه الدنيا من أناس مخدوعون بها راكنون إليها قد اتخذتهم عبيداً لها لا يفكرون إلا فيها ولا يحرصون إلا عليها ولا يحـــبون إلا فـــيها ولا يكرهون إلا من أجلها هؤلاء هم أهل الدنيا غرتهم بغـــرورها وألهتهم بملذاتها واستعبدتهم بشهواتها .. اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همـــنا ولا مبلغ علمنا ولا إلى النار مصيرنا واجعل الجنة هي دارنا .. وفي مقـــابل هـــذا الصنف من الناس هناك أولياء لله جعلوا مخافته نصب عيونهم وطاعته وعبادته غاية همهم ومبلغ مرادهم ، جندوا أنفسهم ونصبوا أجسامهم لعـــبادة ربهـــم قـــد عرفوا غايتهم في الحياة : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعـــبدون) ، وعـــرفوا طـــريقهم إلـــى الله فتوجهوا إليه : (اهدنا الصراط المســـتقيم) ، فنالوا السعادة بذلك وشعروا بالطمأنينة والأمن النفسي والراحة تمـــلأ علـــيهم جوانحهم : (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكـــة ألا تخـــافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلاً من غفور رحيم) .

اللهـــم اجعلـــنا مـــن أوليائك المتقين وحزبك المفلحين اللهم استعملنا في طاعتك وخذ بنواصينا إليك وألهمنا رشدنا وقنا شر نفوسنا .

من وفق إلى الطاعة فليحمد الله :-

الحمد لله صاحب الفضل والإحسان أنعم على عباده وتفضل عليهم بنعم لا تعد ولا تحصى أحمده سبحانه وأسأله أن يوفقنا لشكر نعمه لا تحصى ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم إمام المتقين وقدوة الشاكرين ورسول رب العالمين صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان على يوم الدين .. أما بعد :

فينبغي للمسلم أن يعلم أن النعم كلها من الله وحده لا شريك لـــه . وهذه الـــنعم تســـتوجب الذكـــر والشكر وإن السلف الصالح قد عرفوا كيفية ذكرها وشـــكرها ، فهذا ابن القيم رحمه الله يقول في كتاب الفوائد : [قد فكرت في هذا الأمر فإذا أصله أن تعلم أن النعم كلها من الله وحده ، نعم الطاعات ونعم اللـــذات ، فترغب إليه أن يلهمك ذكرها ويوزعك شكرها ، قال تعالى : (فما بكـــم من نعمة فمن الله ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون) وقال : (فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون) ، وقال : (واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون) وكمـــا أن تلـــك الـــنعم منه ومن مجرد فضله ، فذكرها وشكرها لا ينال إلا بتوفـــيقه . والذنوب من خذلانه وتخليه عن عبده وتخليته بينه وبين نفسه وإن لم يكشف ذلك عن عبده فلا سبيل له إلى كشفه عن نفسه فإذا هو مضطر إلى

التضرع والابتهال إليه أن يدفع عنه أسبابها حتى لا تصدر منه ، وإذا وقعت بحكـــم المقادير ومقتضى البشرية فهو مضطر إلى التضرع والدعاء أن يدفع عـــنه موجـــباتها وعقوباتها فلا ينفعك العبد عن ضرورته إلى هذه الأصول الثلاثة ولا فلاح له إلا بها الشكر ، وطلب العافية والتوبة النصوح ... الشكر علـــى النعم ، وطلب العافية والسلامة من الذنوب ، والتوبة النصوح إذا واقع شـــيئاً مـــنها . ثم إضافة رحمه الله قائلاً وهو يوضح مرد هذه الأصول : ثم فكـــرت فـــإذا مـــدار ذلك على الرغبة والرهبة وليس بيد العبد بل بيد مقلب القلـــوب ومصـــرفها كيف يشاء ، فإن وفق عبده أقبل بقلبه إليه وملأه رغبة ورهبة ، وإن خذله تركه ونفسه ولم يأخذ بقلبه إليه ولم يسأله ذلك .. ما شاء الله كـــان ومـــا لم يشأ لم يكن ... وهذا كلام في صميم التربية الإسلامية فإذا كان العبد يرغب فيما عند الله من الأجر والمثوبة والرضوان ويخشى ويخاف مـــن عقابـــه فإنه سيتوجه إليه بشكر نعمه ويسأله العافية من معصيته ويتوب توبـــة نصوحا فيما يقع فيه من ذنوب والتوبة النصوح شروطها الإقلاع عن الذنـــب ، والندم على فعله ، والعزم على عدم العود لمثله ، وعلى المؤمن أن يديم الاستغفار والتوبة فقد كان سيد الخلق عليه أفضل الصلاة والسلام يستغفر الله ويتوب إليه وهو المعصوم من الخطأ ، كان يقول : " أيها الناس توبوا إلى الله واســـتغفروه فإني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة " .

وعلينا أن نعلم أن الموفق من وفقه الله والمخذول من خذله الله ، فالأمر كلـــه إليه ولكن علينا أن نسلك طرق التوفيق بالشكر ، فبالشكر تدوم النعم ، ومن أعظم النعم الإيمان بالله والتوجه إليه بالطاعات : (وقل اعملوا فسيرى الله عملكـــم ورسوله المؤمنون) ، فالمطلوب منا العمل : " وقل اعملوا وكل

ميســـر لمـــا خلـــق لـــه " ، ولقد أطال النظر ابن القيم رحمه الله في التوفيق والخذلان فقال : [ثم فكرت هل للتوفيق والخذلان سبب أم هما مجرد المشيئة لا ســـبب لهما ، فإذا سببهما أهلية المحل وعدمهما فهو سبحانه خالق المحال مـــتفاوتة فـــي الاســـتعداد والقبول أعظم تفاوت ، فالجمادات لا تقبل ما يقبل الحـــيوان ، وكذلك النوعان كل منهما متفاوت في القبول ، والحيوان الناطق يقبل ما لا يقبله البهيم وهو متفاوت في القبول أعظم تفاوت ، وكذلك الحيوان البهـــيم مـــتفاوت في القبول لكن ليس بين النوع الواحد من التفاوت كما بين الـــنوع الإنساني ، فإذا كان المحل قابلاً للنعمة بحيث يعرفها ويعرف قدرها وخطـــرها ويشـــكر المنعم بها ويثني عليه بها ويعظمه عليها ويعلم أنها من محض الجود وعين المنة من غير أن يكون هو مستحقاً لها ولا هي له ولا به وإنما هي لله ووحده وبه وحده ، فوحده بنعمته إخلاصاً ، وصرفها في محبته شكراً ، وشهدها من محض جوده منة ، وعرف قصوره وتقصيره في شكرها عجـــزاً وضعفاً وتفريطاً وعلم أنه إن أدامها عليه فذلك محض صدقته وفضله وإحســـانه وإن سلبه إياها فهو أهل لذلك مستحق لـــه ، وكلما زاده من نعمه أزداد ذلاً له وانكساراً وخضوعاً بين يديه وقياماً بشكره وخشيته له سبحانه أن يسلبه إياها لعدم توفيته شكرها كما سلب نعمته عمن لم يعرفها ولم يرعها حق رعايـــتها ، فـــإن لم يشكر نعمته وقابلها بضد ما يليق أن يقابل به سلبه إياها ولابد ، قال تعالى : (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم مـــن بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) ، وهم الذين عرفوا قدر النعمة وقبلوها وأحـــبوها وأثنوا على المنعم بها وأحبوه وقاموا بشكره ، وقال تعالى : (وإذا جـــاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتي مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعـــل رســـالته) وسبب الخذلان عدم صلاحية المحل وأهليته وقبوله للنعمة بحيث لو وافته النعم فقال هذا لي وإنما أوتيته لأني أهله ومستحقه . كما قال

تعالى : (إنما أوتيته على علم عندي) أي على علم علمه الله إياي استحق به ذلك واستوجبه واستأهله ، قال تعالى : (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي) أي أنا أهله وحقيق به فاختصاصي به كاختصاص المالك بملكه ، والمؤمن يرى ذلك ملكاً لربه وفضلاً منه من به على عبده من غير استحقاق له . بل صدقة تصدق بها على عبده وله أن لا يتصدق بها فلو منعه إياها لم يكن قد منعه شيئاً هو له يستحقه عليه ، فقد قال سبحانه وتعالى عن سليمان بن داود فيما أوتي من الملك : (هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر) ولم يقل هذا من كرامتي .

إن نعم الله علينا عظيمة تستوجب منا ذكرها وشكر المنعم علينا والثناء عليه ومن شكرها أن نصرفها في طاعته ولا نسخرها في معصيته : (وأما بنعمة ربك فحدث) ومن قام بذلك فهو الموفق والتوفيق منه نعمة تستوجب شكراً ، كما أن الخذلان من الله لعبده لأنه أهل لأن ينال هذا الخذلان فقد كرمه الله وأعزه وأبا إلا أن يهين نفسه بالمعاصي فوقع في الخذلان وفي عدم شكر النعم وقد نراه يتنقل بين نعم الله التي أولاه إياها ابتلاء منه واستدراجاً .

اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا لطاعتك ، اللهم ألهمنا ذكرك وشكرك واجعلنا من عبادك الذاكرين الشاكرين واعصمنا من القواصم ولا تذلنا بها ، أنت ولينا ومولانا ، اللهم اهدنا سبل السلام وجنبنا الفواحش والآثام واجعلنا هداة مهتدين برحمتك يا أرحم الراحمين .

ثواب الأعمال الصالحة :-

الحمـــد لله المنعم المتفضل والصلاة والسلام على خير البرية وسيد ولد آدم محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم .. أما بعد :

إن شهر رمضان المبارك هذا الشهر الكريم مهما تحدث عنه المحدثون وذكره الذاكرون فلن يصلوا إلى بيان فضله وعظيم أجره ، نعم لقد وردت فيه أحاديـــث كثـــيرة وكل حديث منها يحتاج منا إلى وقفات تأمل لأخذ الدروس والعظات والعبر ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله علـــيه وسلم : " الأعمال عند الله عز وجل سبع عملان موجبان وعملان بأمـــثالهما وعمل بعشرة أمثاله وعمل بسبعمائة وعمل لا يعلم ثواب عامله إلا الله عـــز وجـــل ، فأما الموجبان فمن لقي الله بعيده مخلصاً لا يشرك به شيئاً وجبت له الجنة ، ومن لقي الله قد أشرك به وجبت له النار ، ومن عمل سيئة جـــزي بهـــا ، ومن أراد أن يعمل حسنة فلم يعملها جزي مثلها ، ومن عمل حســـنة جـــزي عشراً ، ومن أنفق ماله في سبيل الله ضعفت له نفقته الدرهم بسبعمائة والدينار بسبعمائة ، والصيام لله عز وجل لا يعلم ثواب عامله إلا الله عـــز وجل " ، في هذا الحديث حث على الأعمال الصالحة ودليل إلى التربية الدينـــية وبيان لأهمية العقيدة وأنها الأساس والقاعدة التي تبنى عليها الأعمال الصـــالحة كأساس البيت الذي يبنى فإن كان أساسه متيناً قوياً كان بناؤه قوياً

متماسكاً وإلا فإنه سينهار ويتداعى على أصحابه بل إن الذي يلقى الله مخلصاً موحـــداً لا يشـــرك بـــه شـــيئاً وجاء بقراب الأرض خطايا أعطاه الله ملؤها مغفـــــرة . وهذا بيان لأهمية التوحيد وأهمية العقيدة كما أن الذي يفعل جميع الحســـــنات ويشرك بالله معه أحد ردت إليه تلك الأعمال واستوجب بشركه الـــنار ، قال تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشـــاء) ، والله ســـبحانه وتعـــالى من عدله لا يجازي بالسيئة إلا مثلها فلا تضـــاعف علـــى العبد السيئات لكن ينبغي أن يلحظ حرمة الزمان والمكان ، فالذنب الذي في البلد الحرام ليس كالذنب في غيره ، قال تعالى : (ومن يرد فـــيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) ، والذنب في الأشهر الحرم وفي شهر رمضـــان ليس كالذنب في غيرها . ومن فضل الله عز وجل أن العبد إذا هم بحســـنة ولم يعملها كتبت له حسنة وإن عملها كتبت له عشر حسنات ، والله يضـــاعف لمـــن يشاء . ومن أنفق ماله في سبيل الله فإن أجره يضاعف إلى ســـبعمائة ضعف أما الصيام فقد أخفى الله عز وجل عظيم أجر عامله ، وهذا فضـــل عظيم ومنزلة كبرى للصوم ، ولكن هذا الصيام الذي لـــه هذا الأجر العظـــيم هـــو الذي يراعى فيه آدابه الشرعية فهو صوم عن الأكل والشرب وجمـــيع المـــباحات كما أنه صوم عن المحرمات من الكذب والغيبة والنميمة والرفـــث والفسوق والعصيان وقول الزور أما الصوم عن الأكل والشرب مع عـــدم التورع عن أكل الحرام وارتكاب المحرمات فهذا صوم لا يفيد صاحبه والله تعالى ليس بحاجة إلى ذلك . وقد أوضح ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامـــه وشـــرابه " ، وهذا فيه بيان لأهمية المحافظة على هذه الشعيرة من شـــعائر الإسلام حيث وصفت أنها جُنة من النار ووقاية للمسلم من المعاصي والآثـــام وهذه الجنة يخرقها الكذب وتمزقها االغيبة والنميمة والكذب والبهتان

وإذا كـــان أكل الحرام محرم في كل حال لأن كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به فإن هذه الحرمة تزداد إذا فطر الصائم على محرم فدعوة أكل الحرام مردودة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغـــبر يمد يديه إلى السماء يا رب ، يا رب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك .

إن الله غنـــي عن عبادة العباد لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي لكن العباد محتاجون إلى رحمته إلى منه وعطائه إلى لطفه وإحسانه إلـــى مغفـــرته وعفوه والله الغني وأنتم الفقراء . إذا علم ذلك فعلى المسلم أن يعبد الله على بصيرة وعلى هدى من رسول الله صلى الله عليه وسلم مخلصاً عـــبادته لربه متوجهاً بها إليه محافظاً عليها بعيداً عن محبطات الأعمال وفي مقدمتها الشرك بالله عز وجل وقول الزور عامة .

نســـأل الله الكـــريم رب العرش العظيم أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأن يجعلنا هداة مهتدين وأن يشملنا بعفوه ومغفرته وإحسانه في هذا الشهر الذي أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا .. اللهم آمين .

الصوم جُنة :-

الحمـــد لله مصرف الأزمان ومقلب الليل على النهار الباقي على الدوام جعـــل لعـــباده المؤمنيـــن مواســـم عظيمة للطاعات يتسابقون فيها إلى البر والخيرات ، أحمده سبحانه أن بلغنا شهر رمضان وأسأله أن يتقبله منا ويوفقنا فيه للصيام والقيام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأصلي وأسلم علـــى من صلى وصام واجتهد في عبادة ربه الذي ما من خير إلا دل الأمة علـــيه ومـــا من شر إلا وحذرها منه ، فصلاة ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين وأصحابه أجمعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

شـــهر رمضان ، هذا الشهر الكريم الذي كان يبشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فيقول : " أيها الناس لقد أظلكم شهر كريم مبارك جعل الله صيامه فريضة وقيام ليله تطوعاً من تقرب فيه بخصلة من خصال الخير كـــان كمـــن أدى فريضـــة فيما سواه " ، إن أجر الصيام أجر عظيم وشهر رمضان تضاعف فيه الحسنات وتهذب فيه النفوس وتصفد فيه مردة الجان ، عـــن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن فـــي الجـــنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحـــد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد " رواه البخاري ومسلم وابن خزيمة إلا أنه قال : " فإذا دخل آخرهم أغلق ، من دخل شرب ومن شرب لم

يظمـــأ أبداً " ، في هذا الحديث خصوصية للصوام وتميز لهم عن بقية الناس وهذه بذاتها مكرمة لهم وإنعام من الله عليهم وتفضل منه سبحانه ، واستحقوا ذلك بفضـــل الله ورحمته ومنه وعطائه فهو الذي وفقهم لهذه العبادة العظيمة (ومـــا توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب) فأعانهم على الصيام وتبعاته وهـــو الـــذي تفضل عليهم بالأجر ، فهو الذي وفق وأعان وهو الذي تفضل وأكـــرم فسبحانه ما أعظم عطاؤه وما أجزل كريم نواله فالحمد لله والشكر له والثناء .

ومـــن عظـــيم فضـــله سبحانه وتعالى أنه يضاعف الأعمال الصالحة ، وجعـــل الصـــوم من أعظمها وجعل أجره مختصاً به وهو الكريم ذو الفضل العظـــيم فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وســـلم : " قال الله عز وجل : كل عمل ابن آدم لـــه إلا الصوم فإنه لي وأنا أجـــزي بـــه ، والصيام جُنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فـــإن ســـابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم ، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصـــائم أطيب عند الله من ريح المسك ، للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فـــرح وإذا لقي ربه فرح بصومه " رواه البخاري ومسلم وفي رواية : " كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله تعالى إلا الصـــوم فإنـــه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي ، للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك " وفي رواية للترمذي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن ربكم يقول كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والصوم لـــي وأنا أجزي به والصوم جُنة من النار ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله مـــن ريح المسك ، وإن جهل على أحدكم جاهل وهو صائم فليقل إني صائم "

وفـــي روايـــة لابن خزيمة : " كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها إلى ســـبعمائة ضعف ، قال الله إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به يدع الطعام من أجلـــي ويدع الشراب من أجلي ويدع لذته من أجلي ويدع زوجته من أجلي ، ولخلـــوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وللصائم فرحتان فرحة حين يفطر وفرحة حين يلقى ربه " .

في هذه الروايات لهذا الحديث الكريم جملة فوائد تربوية ومن أهمها أن الله عـــز وجل الذي خلق الخلق لعبادته ودلهم إلى الطرق الموصلة لمرضاته ومـــن أعظمها الصوم الذي نسب الله أجره إليه ولم يجعل الأجر محدداً بنسبة معينة " وأنا أجزي به " ، كما أن الصيام جُنة ووقاية تقي الصائم من الجري وراء الشـــهوات والملـــذات ويهذب النفس ويرفق القلب وينشط البدن ويقوي الإرادة ويجعـــل العـــبد قريـــباً مـــن الله بعيداً عن الشيطان ويقوي الروابط الاجتماعـــية وينمـــي التكافل الاجتماعي ، لكن ينبغي أن يحافظ الصائم على صيامه وعلى هذه الوقاية فلا يخرقها بكذب ولا بهتان ولا غيبة ولا نميمة ولا رفـــث : وهـــو فحش الكلام ورديئه ولا صخب وهو اللجاج والخصام ، وقد وجه النبي صلى الله عليه وسلم الصائم إلى الموقف الصحيح الذي يقفه عندما يسبه أحد أو يهم بقتاله " فليقل إني صائم " فهو بهذا يذكر نفسه التي تريد منه الانـــتقام وتحرص على رد العدوان بالمثل بأنه قد ارتبط بشعيرة عظيمة من شـــعائر الإسلام ينبغي المحافظة عليها وعدم النيل منها بطاعة الجاهل الذي جهل عليه ورد جهله بجهل ، إنه بذلك قد أعطى هذه النفس درساً في الصبر وتقويـــة الإرادة وتحمـــل الأذى ، وشهر رمضان هو شهر الصبر ، والصبر جزاؤه الجنة ، ففيه الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية والصبر على أقدار المؤلمة .

ومـــن الفوائد التربوية التي يستفيدها الصائم من مدرسة الصيام تشجيعه علـــى هـــذه الطاعة ورفع معنويته أن جعل الله خلوف فمه وهو تغير رائحته أطيب عنده من ريح المسك ، فهنيئاً لك أخي الصائم بهذا الأجر العظيم وهذه المـــنزلة الرفيعة ، وهنيئاً لك بتلك الفرحتين فرحتك عند الفطر وفرحتك عند لقـــاء الرب الكريم .. اللهم كما سلمت لنا رمضان فتسلمه منا متقبلاً مبروراً واجعلنا من الفائزين فيه بجائزتك يا كريم .

أسباب المغفرة :-

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم خلق عباده من العدم وتكرم عليهم بالـــنعم وشرع لهم الشرائع التي فيها سعادتهم وأرسل لهم رسله وأنزل عليهم كتـــبه ليعيدوه وحده دون سواه ويحققوا الغاية من خلقهم : (وما خلقت الجن والأنـــس إلا ليعبدون أحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وأصلي وأسلم على الـــرحمة المهـــداة والنعمة المسداة الهادي البشير محمد بن عبدالله وعلى آله الطيبين وأصحابه الميامين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. أما بعد :

إن من نعمة الله على عباده أن فتح لهم باب الرجاء وتكرم على من دعاه بالإجابة والمغفرة من الذنوب مهما عظمت وكثرت وجعل باب التوبة مفتوحاً ليـــتوب التائـــب ويأوب إليه الشارد فسبحانه ما أوسع رحمته وما أعظم نعمه علـــى عبده وهو الغني عن العالمين والكل محتاج إليه سبحانه لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي ، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يدل أمـــته على أبواب الخير وأسباب المغفرة ويحثهم على الدعاء ويرغبهم فيه ، عـــن أنـــس بن مالك رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وســـلم يقول : " قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لـــك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم اســـتغفرتني غفـــرت لك ، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم

لقيتنـــي لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة " رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح .

ألا ما أوسع رحمة الله وما أعظم رحمته لعباده يتكرم عليهم بالنعم ويقبل مـــنهم اليسير من العمل ويعطيهم العظيم من الأجر وهذا الحديث القدسي من أحاديـــث الـــرجاء وينبغي للمسلم أن يسير بين الخوف والرجاء ولا يقنط من رحمة الله ولقد تناول علماؤنا هذا الحديث بالشرح والتوضيح ومنهم ابن رجب رحمه الله عنون لشرحه بعنوان [أسباب المغفرة] وهو عبارة عن كتاب قيم جدير بالاقتناء والقراءة والتدبر والعمل بما جاء فيه وهو كتاب صغير الحجم عظـــيم الفـــائدة جليل القدر ذكر في شرحه أهم أسباب المغفرة وحصرها في ثلاثـــة أسباب : السبب الأول : كما يقول رحمه الله الدعاء مع الرجاء : فإن الدعـــاء مـــأمور بـــه وموعود عليه بالإجابة كما قال تعالى : (وقال ربكم ادعونـــي استجب لكم) وفي السنن الأربعة عن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الدعاء هو العبادة " ثم تلى هذه الآية . وفي حديث آخر خرجه الطبراني مرفوعاً : " من أعطي الدعاء أعطي الإجابـــة ، لأن الله تعـــالى يقول : (ادعوني أســـتجب لكم) " وفي حديـــث آخـــر : " ما كان الله ليفتح على عبد باب الدعاء ويغلق عنه باب الإجابة " ، لكـــن الدعاء سبب مقتضي للإجابة مع استكمال شرائطه وانتفاء موانعه وقد تـــتخلف الإجابة لانتفاء بعض شروطه أو وجود بعض موانعه ، ولقد استوفى رحمـــه الله ذكـــر شروط الدعاء وموانعه في كتابه القيم جامع العلوم والحكم وأشار إليها بطريقة مختصرة في أسباب المغفرة فذكر رحمه الله أن من أعظم شروط الدعاء ، حضور القلب ورجاء الإجابة من الله تعالى ، كما في حديث أبـــي هريـــرة عـــن النبي صلى الله علـــيه وسلم : " ادعو الله وأنتم موقنون

بالإجابـــة " وإن الله تعالى لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه ، وفي المسند عن عـــبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن هـــذه القلـــوب أوعية فبعضها أوعى من بعض ، فإذا سألتم الله فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة فإن الله لا يستجيب لعبد دعاء بقلب غافل " ، ولهذا نهي العبد أن يقـــول فـــي دعائه اللهم أغفر لي أن شئت ولكن ليعزم المسألة فإن الله لا مكـــره لـــه ، ونُهي أن يستعجل ويترك الدعاء لاستبطاء الإجابة وجعل ذلك من موانع الإجابة حتى لا يقطع العبد رجاءه من إجابة دعائه .. انتهى كلامه رحمه الله .

وإذا دعـــا العبد فإما أن يستجيب الله دعاءه وإما أن يصرف الله عنه من الســـوء ما هو أعظم أو يدخر له الأجر في الآخرة . وهنا ما يزيد الرغبة في الدعاء وأن من يدعو الله عز وجل فإنه سيكون رابحاً ولا شك كما أن الإلحاح فـــي الدعـــاء أمر مرغب فيه فالله عز وجل يحب الملحين في الدعاء . ولو طالـــت المـــدة قـــال تعالى : (وادعوه خوفاً وطمعاً إن رحمة الله قريب من المحسنين) فما دام العبد يلح في الدعاء ويطمع في الإجابة غير قاطع الرجاء وهـــو قريب من الإجابة فمن أدمن قرع الباب يوشك أن يفتح له وفي صحيح الحـــاكم عن أنس مرفوعاً : " لا تعجزوا عن الدعاء فإنه لم يهلك مع الدعاء أحد " .

ومـــن أهم ما يسأل العبد ربه مغفرة ذنوبه وما يستلزم ذلك كالنجاة من الـــنار ودخوـــله الجنة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " حولها ندندن " يعنـــي حـــول سؤال الجنة والنجاة من النار .. وقال أبو مسلم الخولاني : ما عرضـــت لي دعوة فذكرت النار إلا صفتها إلى الاستعاذة منها .. ولقد ذكر

رحمه الله الأسباب الصارفة عن إجابة الدعاء في كتابه آنف الذكر الذي يؤكد أن قـــراءته ســـتفيد في هذا الباب كثيراً فأسأل الله عز وجل أن يكسبنا العلم النافع والعمل الصالح وأن يجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه .

المداومة على الاستغفار :-

الحمـــد لله غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول أحمده حمداً يلـــيق بجلال قدره وعظيم سلطانه وأشكره على نعمه الجزيلة وآلائه العظيمة ومن أعظمها أن حث عباده على الدعاء ووعدهم بالإجابة وأمرهم بالاستغفار ووعدهم المغفرة وأصلي وأسلم على النبي العظيم ومعلم البشرية وهاديها إلى إلى الصراط المستقيم .. أما بعد :

فـــإن مـــن الأسباب التي تحصل بها المغفرة كما ذكر ابن رجب فقال : السبب الثاني الاستغفار ولو عظمت الذنوب وبلغت عنان السماء وهو السحاب وقيل ما انتهى إليه البصر منها . وفي الرواية الأخرى لو أخطأتم حتى بلغت خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله لغفر لكم . والاستغفار : هو طلـــب المغفـــرة ، والمغفرة هي وقاية شر الذنوب مع سترها ، وقد ورد في القرآن الكريم ذكر الاستغفار ، فتارة يؤمر به كقوله تعالى : (فاستغفروا الله إن الله غفور رحيم) ، وقوله : (وإن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) ، وتارة يمدح أهله كقولـــه تعـــالى : (والمستغفرين بالأسحار) ، وقولـــه تعـــالى : (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله) وتارة يذكر أن الله يغفر لمن يستغفره ، كقوله تعالى : (ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) .. ثم يذكـــر رحمه الله أيضاً أن الاستغفار يقرن بذكر التوبة ثم يوضح الفرق بين الـــتوبة والاســـتغفار : الاستغفار عبارة عن طلب المغفرة باللسان ، والتوبة عـــبارة عـــن الإقـــلاع عـــن الذنوب بالقلوب والجوارح .. ثم يذكر صيغة

الاســـتغفار ، فـــيقول ومجـــرد قـــول القائل اللهم اغفر لي طلب منه للمغفرة ودعائهـــا فـــيكون حكمه حكم سائر الدعاء فإن شاء الله استجاب لـــه وغفر لصـــاحبه لاســـيما إذا خـــرج عن قلب منكسر بالذنوب أو صادف ساعة من ساعات الإجابة كالأسحار وأدبار الصلوات .

ويروى عن لقمان أنه قال لابنه يا بني عود لسانك [اللهم اغفر لي] فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً . وقال الحسن : أكثروا من الاستغفار في بيوتكم وعلى موائدكم وفي طرقكم وفي أسواقكم وفي مجالسكم وأين ما كنتم فإنكم لا تـــدرون أين تنزل المغفرة " ، وخرج ابن أبي الدنيا في كتابه [حسن الظن] مـــن حديث أبي هريرة رضي الله عنه بينما رجل مستلق إذ نظر إلى السماء وإلـــى النجوم فقال : إني لأعلم أن لك رباً خالقاً " اللهم اغفر لي فغفر له " .. وفـــي الصـــحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وســـلم قال : " إن عبداً أذنب ذنباً فقال : رب أذنبت ذنباً فاغفر لي . فقال الله تعالى : علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به ، غفرت لعبدي . ثم مكث مـــا شاء الله ثم أذنب ذنباً آخر فذكر مثل الأول مرتين أخريين " وفي رواية لمســـلم أنه قال في الثالثة : " قد غفرت لعبدي فليفعل ما شاء " والمعنى : ما دام علـــى هـــذا الحال كلما أذنب استغفر ، والظاهر أن مراده الاستغفار بعدم الإصـــرار .. ثم ذكر رحمه الله السبب الثالث من أسباب المغفرة وهو توحيد الله وهـــو الســـبب الأعظم فمن فقده فقد المغفرة ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة قال تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمـــن يشـــاء) فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض وهو ملؤها أو ما يقارب ملؤهـــا خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة ، لكن هذا مع مشيئة الله عز وجل فإن شـــاء غفر لـــه وإن شاء أخذه بذنوبه ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل

يخـــرج منها ثم يدخل الجنة ، قال بعضهم الموحد لا يلقى في النار كما يلقى الكافر ، ولا يبقى فيها كما يبقى الكافر ، فمن كمل توحيده وإخلاصه لله وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه أو بقلبه ولسانه عند الموت أوجب ذلك مغفـــرة مـــا سلف من الذنوب كلها ومنعه من دخول النار بالكلية فمن تحقق بكلمـــة التوحـــيد قلـــبه أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيماً وإجلالاً ومهابـــة وخشية ورجاءً وتوكلاً وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر وربما قلبتها حسنات .

فإن هذا التوحيد هو الأكسير الأعظم ، فلو وضع ذرة على جبال الذنوب والخطايا لقلبتها حسنات ، كما في المسند وغيره عن أم هاني عن النبي صلى الله علـــيه وسلم : " لا إله إلا الله لا تترك ذنباً ولا يسبقها عمل " .. اللهم إنا نستغفرك ونتوب إليك ونتوكل عليك ونؤمن بك اللهم اجعلنا من عبادك المتقين وحـــزبك المفلحيـــن الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اللهم اجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه .

فوائد الاستغفار :-

الحمـــد لله العزيز الغفار يقبل العمل القليل ويعطي عليه الأجر الوفير ، وأصلي وأسلم على الهادي البشير والسراج المنير .. أما بعد :

فإن الاستغفار يعني طلب المغفرة من الله سبحانه وتعالى باللسان والقلب معاً . ومن شروطه حضور القلب ، والإخلاص لله فيه ، والإقلاع عن الذنب لأن الله لا يقبل دعاءً من قلب لاه ، ولقد أمر الحق سبحانه وتعالى بالاستغفار من الذنوب : (واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) ، ولقد امتدح الله سبحانه المســـتغفرين فقال : (الذين يقولون ربنا إننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب الـــنار) وقـــال : (والذيـــن إذا فعلـــوا فاحشـــة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاســـتغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهو يعلمـــون أولـــئك جـــزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالديـــن فيها ونعم أجر العاملين) ، ووعد سبحانه من يظلم نفسه بالمعاصي ويقترف المنكرات ثم يستغفره بالمغفرة والعفو والإحـــسان ، فقال ســـبحانه : (ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً) ، وقد أمر سبحانه نبيه بالتسبيح والاستغفار والصبر على طاعته ، فقال : (فاصبر إن وعد الله حق واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار) ، ونوح علـــيه الســـلام أمـــر قومه بالاستغفار وبين لهم أن للاستغفار فوائد في الدنيا والآخـــرة فالخـــيرات تكثر والبركات تنزل بالاستغفار والله عز وجل يجزي على الاستغفار أجراً عظـــيماً لأنه هو العفو الغفـــار فقال الله على لســـانه :

(فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ، يرسل السماء عليكم مدراراً ... الآية) .

ولقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يكثر من قول : " سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب إليه " ، روت عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأبو هريرة رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " والله إني لاستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة " رواه البخاري . فالرسول عليه الصلاة والسلام الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه يكثر الاستغفار والتوبة إلى الله فما حالنا نحن ، والذي في الغالب لا يوجد بصحائف أعمالنا إلا الذنوب والآثام فما أحوجنا إلى التوبة والاستغفار في كل حين . ومما يزيد في رجائنا وأملنا أن الله بنا رحيم ولطفه لا حد له ، ورحمته وسعت كل شيء وهو سبحانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ولقد روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً يبشرنا بهذه البشارة العظيمة ، فقال رضي الله عنه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " والذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم " رواه مسلم .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قال [استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه] غفرت ذنوبه وإن كان قد فر من الزحف " رواه أبو داود والترمذي .. إن الفرار من الزحف كبيرة من كبائر الذنوب وهذه الصيغة الواردة في الحديث توضح أن قائلها تغفر ذنوبه وإن كانت من الكبائر لكن تستلزم التوبة منها والإقلاع . وفي حديث أنس الآتي بيان أن الدعوة مع الرجاء وأن الاستغفار مع عدم الشرك لا يبقى بجانبها إلا العفو والمغفرة من الله . فقال أنس رضي

الله عـــنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " قال الله تعالى : يا ابـــن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ، يا ابن آدم لو أتيتنـــي بقـــراب الأرض خطـــايا ثم أتيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفـــرة] " رواه الترمذي . وهذه المنزلة للاستغفار علمها الرسول صلى الله عليه وسلم اصحابه بقوله وفعله ، ولقد استفادوا من توجيهه ونصحه وإرشاده وســـاروا على منهجه وترسموا خطاه ، فهذا علي رضي الله عنه يستعجب لم يـــترك الاســـتغفار والأوزار تثقله ويذكر هذا التعجب على ملأ من أصحابه لـــيدلهم على طريق الخير والنجاة ، فقال رضي الله عنه : العجب ممن يهلك ومعـــه الـــنجاة !! قيل : وما هي ؟ قال : الاستغفار . وإذا كانت الذنوب هي أدواء القلـــوب وأمراضها وفسادها وهلاكها فالدواء هو القرآن الكريم بما فيه من وعد ووعيد وذكر ودعاء وآداب وأخلاق وتوجيهات وتشريع ولقد عرف ســـلف الأمة ذلك ، قال قتادة رحمه الله : القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم أما داؤكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار .

لكـــن نؤكـــد مـــا ذكرناه آنفاً أن التوبة والاستغفار يقضيان الإقلاع عن الذنـــوب والـــتوبة منها وعدم الإصرار عليها ، قال الفضيل : الاستغفار بلا إقـــلاع توبـــة الكذابين . وإن استغفارنا ينتابه قصور فهو يحتاج إلى استغفار أيضـــاً ، قالت رابعة العدوية : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير . فالمؤمن يتقلـــب بين نعم الله التي لا تعد ولا تحصى ولفرط جهله منغمس في الذنوب والآثـــام فأمـــام ذلـــك نحن بحاجة إلى الحمد والاستغفار هذا ما قرره بعض علمائـــنا رحمهم الله حيث قالوا : العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحها إلا الحمد والاستغفار .

ومن صيغ الاستغفار : [اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت] .

أستغفر الله .. سبحان الله وبحمده .. استغفر الله وأتوب إليه .

فضل الذكر وفوائده :-

الحمـــد لله والصـــلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحـــبه ومن والاه .. أما بعد :

فقـــد كان لنا بعض الوقفات التربوية مع حديث أبي ذر الذي ورد فيه أن ناســـاً قـــالوا : يـــا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصـــومون كمـــا نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم ، قال : " أوليس الله قد جعـــل لكم ما تصدقون به ؟ إن بكل تسبيحة صدقة وكل تكبيرة صدقة وكل تحمـــيدة صـــدقة وكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صـــدقة وفي بضع أحدكم صدقة " قالوا : يا رسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ويكـــون له فيها أجر ؟ قال : " أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ كذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر " رواه مسلم .

نقـــول وبـــالله التوفيق لقد تعددت طرق الخير ومجالات البر والإحسان وهـــذا مـــن فضل الله ورحمته بهذه الأمة حتى يكون للجميع حظ من العمل الصـــالح والقرب والطاعات ، ومن هذه الطرق ذكر الله عز وجل ، فالمؤمن ينبغـــي أن يكون لسانه رطباً بذكر الله عز وجل فهناك أوراد من الذكر عقب الصـــلوات فمن سبح الله ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثيـــن وقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، حطت خطاياه وذنوبه كما تحط الشجرة ورقها .. وورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الإكثار من قول لا إله إلا الله وحده لا شريك

له له الملك وله الحمد يحي ويميت وهو على كل شيء قدير في يوم عرفة ، فقال صلى الله عليه وسلم : " خير ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحـــده لا شريك له ... إلخ " كما ورد استحباب الدعاء في السفر ، فعن أبي هريـــرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ثلاث دعـــوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده " رواه أبو داود .

كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بيان لدعاء السفر فيكبر الله ثلاثاً ويقول عند ركوب دابته : " سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنـــا إلـــى ربنا لمنقلبون ، اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى ومن العمـــل مـــا ترضى ، اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده ، اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل ، اللهم إنا نعوذ بك وعثاء السفر وكآبة المـــنظر وســـوء المنقلـــب في المال والأهل ... " إلى غير ذلك من الأدعية المـــأثورة فهـــناك أدعية يدعو بها المسلم إذا خاف من النـــاس أو خاف من غـــيرهم ، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا خاف من أناس قال : " اللهم إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم " رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح . وهناك دعاء يقوله المســـلم إذا نزل منزلاً : عن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قالت : سمعت رســـول الله صـــلى الله علـــيه وسلم يقول : " من نزل منزلاً ثم قال : أعوذ بكلمـــات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلـــك " رواه مســـلم . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل ، قال : " يا أرض رب وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ومن شر ما فيك وشر ما خلق فيك وشر ما يدب عليك ، أعوذ

بـــالله من شر أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد " رواه أبو داود ، والأسود : الشخص ، وساكن البلد : هم الجن الذين هم سكان الأرض والبلد من الأرض ما كان مأوى الحيوان وإن لم يكن فيه بناء ومنازل قال : ويحتمل أن المراد بالوالد إبليس وما ولد الشياطين إن في ذكر الله خير كثير وأجر عظيم فحري بك أن تذكر الله عند قيامك وقعودك وإثناء سيرك بسيارتك ، روض نفسك على الذكر حتى تعتاد ذلك وتحبه وتنال بذلك معية الله لك ويذكرك الله في الملأ المقربين وحزبه المفلحين وفقني الله وإياك إلى كل خير وجعلنا ممن يستمع القول ويتبع أحسنه اللهم آمين .

أخـــي القـــارئ لـــنا وقفة تتعلق بما أباحه الله للمسلم من المتعة بالحلال الطيب المبارك فالإسلام دين عظيم ما حرم شيئاً إلا وأوجد البديل الأمثل عنه فقـــد حـــرم الزنا لما فيه من المفاسد والمضار وأباح النكاح وجعل في إتيان الرجل زوجته أجراً ومثوبة " وفي بضع أحدكم صدقة " ، وليس هذا فقط بل إن كل أمر مباح يصبح فعله طاعة بالنية الصالحة كما قرر ذلك سلفنا الصالح يـــرحمهم الله حيث بينوا أن المباحات بالنية الصالحة تنقلب إلى طاعات نسأل الله العظـــيم رب العـــرش الكريم أن يخلص لنا النية في العمل والصواب فيه والإحســـان فـــي القول والعمل وأن يجعلنا هداة مهتدين ويأخذ بنواصينا إلى الخير إنه ولي ذلك والقادر عليه .

قراءة القرآن ومدارسته والعمل فيها كل السعادة :-

الحمـــد لله والصـــلاة والســـلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فـــإن شهر رمضان هو شهر القرآن وشهر الصيام والقيام فيه ليلة القدر العـــبادة فـــيها خـــير من العبادة في ألف شهر سواها ، قال تعالى : (شهر رمضـــان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) ، وقال تعالى : (إنا أنزلناه في ليلة القدر ، وما أدراك ما ليلة القدر ، ليلة القدر خير من ألف شهر ، تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هـــي حتى مطلع الفجر) ، ففيه يتسابق المتسابقون ، فينبغي للمسلم أن يكثر مـــن تلاوة القرآن الكريم والذكر فيكون له ورد من ليل أو نهار ، ويجتهد في الليالـــي بالقيام ويصون لسانه عن الكذب والبهتان وقول الزور والعمل به فقد كـــان صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في رمضان وفي كل ليلة يتدارس القـــرآن ، عـــن ابن عباس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله صلى الله علـــيه وسلم أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه فـــي كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم حيـــن يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة . متفق عليه .. بأبي أنت وأمـــي يـــا رسول الله نعم إنك أكرم الناس والكرم من شيمك وصفاتك . إن رســـول الله صـــلى الله علـــيه وسلم هو قدوتنا فيجب أن نقتدي به في كرمه وجـــوده والكـــرم والجود من الأخلاق التي حث عليها الدين وأمر بها النبي الأميـــن : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه " وفقراء المسلمين

هم بحاجة إليكم أيها المؤمنون واسوهم في هذا الشهر المبارك وسدوا حاجتهم وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ، وتدارسوا القرآن فهو كتابكم الكريم ودستوركم العظيم واجتمعوا لدراسته وتعلموه من أهله تنزل عليكم الرحمات وتحف بكم الملائكة ، فإن فعلتم ذلك اقتديتم برسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما جلس قوم مجلساً يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده " فاحرصوا رحمكم الله على قراءته وتدبره ودراسته والعمل به فأنتم في موسم عظيم وشهر مبارك طيب أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار ، فشمروا في هذا الشهر عن ساعد الجد فما أحوجنا جميعاً إلى ذلك ، فقد كان صلى الله عليه وسلم كما روت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها : " إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد المئزر "متفق عليه . ومعنى شد المئزر أي اعتزل النساء ، وذلك اجتهاد منه في الطاعة والعبادة هذا هو حال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اغتناماً لهذه الأوقات الفاضلة وشكراً لله عز وجل وتوجه إليه . كان يقوم الليل حتى تتفطر قدماه فتقول له عائشة رضي الله عنها : لم تفعل ذلك يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ، فيقول صلى الله عليه وسلم : " ألا أكون عبداً شكوراً " ، فإذا كان هذا هو حال رسول الله صلى الله عليه وسلم توجه إلى الله واجتهاد في الطاعة والعبادة وشكر لله عز وجل على فضله ومنه وعطائه ، فما هو حال غيره ممن هو متلبس بالنقص والقصور والخطأ فحري بنا أن نجتهد في طاعة الله ونغتنم أيام هذا الشهر ولياليه ونسأل الله القبول والتوفيق ونحفظ ألسنتنا عن قول الفحش والكلام الباطل والكذب والغيبة والنميمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني صائم " متفق عليه .

والصـــخب هـــو رفع الصوت بالمخاصمة والرفث هو عمل كل خبيث وورد عـــنه قولـــه : " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامـــه وشرابه " رواه البخاري . وفي قصة المرأتين اللتين صامتا في عهد رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم وكادتا أن تموتا من شدة العطش وأمرهما رســـول الله صلى الله عليه وسلم أن يتقيآن فقاءتا قيحاً وصديداً ولحماً عبيطاً وقال صلى الله عليه وسلم : " لقد صامتا عما أحل الله أي من الأكل والشرب وأفطـــرتا على ما حرم الله من الغيبة والنميمة " .. أقول إن في قصة هاتين المرأتيـــن عظـــة لمن كان لـــه قلب أو ألقى السمع وهو شهيد . فعلى الذين ينهشـــون لحوم الناس ويغتابونهم أن يتذكروا هذا التهديد والوعيد ويكفوا عن هـــذا الإثم العظيم وهذا الزور والبهتان وبالذات في شهر رمضان وليحفظوا صيامهم ويمتثلوا أمر ربهم ويكفوا أذاهم عن المسلمين ويستفيدوا من أوقاتهم في طاعة الله فشهر الصيام هو مدرسة تربوية بكل ما تعنيه هذه الكلمة ، ففيه صحة للأبدان ومعالجة للأمراض وتربية للنفس وترويض لها وتقوية للإرادة وتقويـــة للعلاقـــات الاجتماعية وترسيخ للأخلاق الفاضلة مثل الصبر والحلم والكـــرم والجود والمحبة والإخاء وغير ذلك . إنه بحق مدرسة الثلاثين يوماً كما يقول الرفاعي يرحمه الله فلنستفد من هذه المدرسة التربوية ونلتزم هدي رسول الله في صيامنا وقيامنا .

اللهـــم وفقـــنا لصيام هذا الشهر وقيامه واجعلنا من عتقائك فيه يا أرحم الراحميـــن مـــن الـــنار واجعلنا من عبادك المتقين وحزبك المفلحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وسائل بناء الإيمان :-

الحمـــد لله يســـر لعباده طرق الخيرات وهيأ لهم مواسم العبادات وحثهم على الاستزادة من الخيرات ، أحمده حمداً كثيراً وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة والنعمة المسداة محمد بن عبدالله الذي دل أمته على كل خير وحذرهم مـــن كل شر فصلاة ربي وسلامه عليه وعلى آله الأطهار وأصحابه الأبرار والتابعين الأخيار .. أما بعد :

لقد كنا بالأمس القريب في أيام العشر الفاضلة عشر ذي الحجة وهي من أيام الله الخالدة وفي شهر من الشهور المحرمة ، وها نحن في شهر آخر من هذه الشهور وهو شهر الله المحرم الذي كان يحث رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيامه فصام عليه الصلاة والسلام عاشوراء فعندما وصل المدينة رأى اليهود يصومون هذا اليوم فسأل عن سبب صيامهم لـــه فقالوا : هذا يوم نجى الله فيه موسى وقومه وأهلك فرعون وقومه ، فنحن نصومه شكراً لله ، فقـــال علـــيه الصـــلاة والســـلام : " نحن أحق بموسى منهم " فصامه وأمر بصـــيامه .. ثـــم في آخر الأمر رأى أهمية مخالفة اليهود في هذا اللون من العـــبادة فقـــال علـــيه الصـــلاة والسلام لئن عشت من قابل لأصومن التاسع والعاشـــر ليكون بذلك محققاً لهذه العبادة وموضحاً لأمته أهمية مخالفة اليهود المغضوب عليهم بنص كتاب الله عز وجل .

لقـــد وردت أحاديـــث كثيرة فيها حث على صيام شهر الله المحرم منها حديـــث أبي هريرة رضي الله عنه الذي رواه مسلم في صحيحه حيث قال : قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله

المحرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل " ، ففي هذا الحديث بيان لحـــرص رســـول الله صلى الله عليه وسلم على إرشاد أمته إلى طرق الخير والبر والطاعة فقد أوضح لهم الفرائض وبين لهم الأركان من صيام رمضان وإقـــام الصـــلاة فهي بلا شك أفضل ما يتقرب به العبد إلى ربه فقد ورد في حديـــث قدسي قول الله عز وجل : " وما تقرب إلى عبد بشيء أحب إلي مما افترضته عليه " ثم أوضح عليه الصلاة والسلام أنواعاً من العبادات تأتي في المرتـــبة الثانية بعد الفرائض ، فصيام شهر الله المحرم بعد صيام رمضان ، لأن شـــهر رمضان هو الشهر الذي أنزل فيه القرآن ، وفيه ليلة القدر ، وفيه تضـــاعف الأعمال ويكفي لأفضليته أنه ركن من أركان الإسلام الخمسة أما شـــهر المحـــرم فهـــو مـــن الأشهر الحرم وهي : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحـــرم ، وهـــذه ثلاثـــة أشهر متتاليات ، ورجب مضر وهو الفرد تكملة الشـــهور الأربعة وفي شهر الله المحرم يوم عاشوراء الذي صامه رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما علم أنه يوم فاضل أنجى الله موسى وقومه وأهلك فرعون وقومه .

أمـــا الصـــلاة فهـــي الركـــن الثاني من أركان الإسلام وهي من أفضل العـــبادات وأفضـــل القرب والطاعات فلقدرها ومكانتها فرضها الله عز وجل علـــى أمـــة محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج من فوق سبع ســـماوات وهي صلة بين العبد وبين ربه وقد قسمها الله عز وجل بينه وبين عبده فقال سبحانه : " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين... إلخ الحديث " ثم يأتي بعدها في الأفضلية صلاة الليل وما أدراك ما صلاة الليل ولاسيما إذا نامـــت العـــيون وهـــدأت الأصوات وأطبق الظلام فقام العبد في هذه الساعة يصلي لله تاركاً وراءه الفراش الوثير والغطـــاء الدافـــئ والنومة المريحـــة :

(كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون) ما أعظمها من طاعـــة وما ألذها من عبادة إنها في ساعات الإجابة لذا ينبغي الحرص عليها ففي أدائها زاد التقوى ونور للقلب وجمال في الوجه وصحة للبدن .

هـــذا هـــو التوجيه النبوي فيه الخير والسعادة وفيه الهدى والنور ، ومن الأحاديـــث بـــيان لثواب يوم عاشوراء عن أبي قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام يوم عاشوراء فقال : " يكفر السنة الماضية " رواه مسلم ففي هذا الحديث بيان لثواب من صام يوم عاشوراء ومن توجيه رسول الله صـــلى الله عليه وسلم في هذه العبادة صيام يوم قبله أو يوم بعده : " لئن عشت من قابل لأصومن التاسع والعاشر " فصوموا يوماً قبله أو يوماً بعده ، ففـــي هذا حث من رسول الله صلى الله عليه وسلم على صيام هذا اليوم الذي أوضـــح لنا فضله ومكانته وحث على مخالفة المسلم في عبادته لليهود ، فأمة محمـــد صـــلى الله علـــيه وسلم هي أفضـــل الأمم على الإطلاق وهي الأمة الوســـــط : (وكذلـــك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرســـول عليكم شهيداً) لقد أعطيت هذه الأمة صفة الخيرية بشروط أساسية حددها قول الله عز وجل : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) فإذا حققت الأمة هذه المواصفات استحقت هذا الفضل فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل فرد بحسب استطاعته وقدرته : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فـــإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " ، أما الأمر بالمعروف والنهي عـــن المنكر فإن تركه هلاك للأمة عامة : " لتأمرون بالمعروف وتنهونّ عن المـــنكر ولـــتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطراً أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ويلعنكم كما لعنهم " أي اليهود والنصارى .

فـــي حديث قتادة حث على صيام يوم عاشوراء وبيان لعظم الثواب فيه كما أن بيان لأهمية السؤال عن أمور الدين ، وقد حث الله عز وجل في كتابه علـــى سؤال أهل الذكر : (فسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعملون) ، فأوضح الرســـول صـــلى الله عليه وسلم أهمية السؤال في طلب العلم لأن السؤال هو مفتاح التعلم .

اللهـــم إنـــا نســـألك علماً نافعاً وعملاً صالحاً متقبلاً ، اللهم اجعلنا هداة مهتديـــن غـــير ضالين ولا مضلين ، واجعلنا من أتباع سيد المرسلين وإمام المتقيـــن وقائد الغر المحجلين محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه ، والحمد لله أولاً وأخيراً .

اغتنام الأوقات في طاعة الله :-

الحمد لله مصرف الأحوال ومقلب الليل والنهار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد له الخلق والأمر وهو على كل شيء قدير والصلاة والسلام على الهادي البشير والسراج المنير أشهد أنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وأزال الله به الغمة فصلاة ربي وسلامه عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأزواجه أمهات المؤمنين وأصحابه الغر الميامين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

قال الله تعالى : (الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج) ، إننا في موسم من مواسم الطاعات ينبغي اغتنامه والإكثار فيه من أعمال البر والخير ، ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه رضي الله عنهم على اغتنام مثل هذه المواسم ويبين لهم حرمتها ومكانتها وثواب العمل فيها .. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام يعني أيام العشر " قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : " ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء " رواه البخاري والبيهقي ولفظه في إحدى رواياته ، قال : " ما عمل أزكى عند الله ولا أعظم أجراً من خير يعمله في عشر الأضحى " ... الحديث .

إن المتأمل لهذا التوجيه النبوي يلحظ مدى الحرص عند رسول الله صلى الله عليه وسلم على تربية أصحابه واغتنام الفرص والأوقات في توجيههم إلى فعل الخيرات والاستزادة من الطاعات في الأيام الفاضلة إنه بهذا يربي نفوسهم ويعمق الإيمان في قلوبهم ويقوم سلوكهم ويوجه أخلاقهم حتى يشعروا بالسعادة في دنياهم وأخراهم ، ما أنجح هذا اللون من التربية التي يغتنم فيها المناسبات ويربي من خلال المواقف والأحداث .

وهذا التوجيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإكثار من العمل الصالح في هذا العشر من ذي الحجة يأتي بصفة العموم دون تقيده بعمل معين وأنواع العمل الصالح كثيرة منها الدعاء والذكر والصوم والصلاة وقراءة القرآن والصدقة والإحسان كل هذا وغيره من أعمال البر والخير يضاعف في هذه الأيام لأن مضاعفة الأعمال الصالحة لها ارتباط بحرمة الزمان والمكان هذا ما تعلمناه من منهج التربية الإسلامية فعمل صالح في مكة المكرمة ليس كعمل في غيرها ، وعمل في الأشهر الحرم وشهر رمضان المبارك ليس كعمل في أيام أخر .

لذا فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يحث أصحابه وأمته على الإكثار من الذكر والدعاء والصيام في أيام العشر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إلى الله العمل فيهن من أيام العشر فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير " رواه الطبراني باسناد جيد ، والبيهقي بإسناد لا بأس به إلا أنه قال : " فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير وذكر الله ، وإن صيام يوم منها يعدل بصيام سنة والعمل فيهن يضاعف بسبعمائة ضعف "

وخرج الترمذي وابن ماجه والبيهقي بإسنادهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عـــن النبي صلى الله عليه وسلم : " ما من أيام أحب إلى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة يعدل صيام كل يوم منها بصيام سنة وقيام كل ليلة منها بقـــيام ليلة القدر " وخرج البيهقي بإسناد لا بأس به عن أنس بن مالك رضي الله عـــنه قال : كان يقال في أيام العشر بكل يوم ألف يوم ويوم عرفة عشرة آلاف يوم . قال يعني في الفضل ، وفي هذه الأحاديث بيان لفضل هذه الأيام وأن الأعمـــال الصـــــالحة تضـــــاعف فيها بفضل الله ومنه ورحمته بعباده المؤمنيـــن ، يضـــاعف الأعمـــال لهم ويقبل القليل من العمل ويجزي الكثير فحـــري بـــك أخي المؤمن أن نغتنم هذه الأيام فأنت بحاجة إلى زيادة الأجر والمثوبة والله غني عنا وعن العالمين ونحن المحتاجون إليه .

أخي المسلم : اغتنم هذه الأوقات فهي من الأشهر الحرم لاسيما وأنك في الـــبلد الحرام ابتعد عن المعاصي والمنكرات فالمعصية إثمها يضاعف بحسب حرمة الزمان والمكان ، فالذنب في مكة المكرمة البلد الحرام ليس كالذنب في غـــيرها ، قال تعالى : (ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم) ، لذا فليحرص الحاج وهو في هذه البقاع الطاهرة على حسن الأدب والبعد عن كل إثم ومعصية والابتعاد عن كل ما يضر به وبإخوانه المسلمين وليحرص على الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم في أداء نسكه وليحذر من أن يخرج بمناسكه إلى أمور بعيدة كل البعد عن هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلـــى الذين يريدون أن يجعلوا من هذا الموسم العظيم فرصة لرفع شعارات ودعايات أو للالتفات لأغراض شخصية أو حزبية أو طائفية عليهم أن يعلموا أن أداء هـــذه الشـــــعيرة شعيرة الحج الركن الخامس من أركان الإسلام قد أوضـــحته ســـنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجلت تعاليمه وتوجيهاته

ووصـــاياه فـــي الحج على صفحات القلوب وسطرها المحدثون والفقهاء من علمـــاء هـــذه الأمـــة بأسطر من نور وأخذ العلماء يتناقلونها جيلاً بعد جيل ويـــنقلونها للأمـــة في أعقاب الزمن حتى وصلت إلينا واضحة كالشمس في رابعـــة النهار وحديث جابر رضي الله عنه قد أوضح كيفية حجه عليه السلام ولـــم يكن من هديه بأبي هو وأمي أحالت مناسك الحج إلى دعاية سياسية أو مهاترات حزبية .. فاحذر أخي الحاج من إفساد نسكك بالبعد عن هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك " .

اللهم إنا نسألك السداد في القول والعمل والاتباع لهدي رسولك .

التوبة من وسائل التربية الإيمانية العلاجية :-

الحمد لله قابل التوب شديد العقاب ذي الطول أحمده حمداً كثيراً وأصلي وأسلم على محمد بن عبدالله الذي غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومع هـذا فإنـه يتوب إلى الله ويستغفره مرات كثيرة في اليوم والليلة ويحث أمته علـى التوبة والاستغفار ويقول عليه الصلاة والسلام : " أيها الناس توبوا إلى الله واسـتغفروه فإني أتوب إلى الله وأستغفره في اليوم أكثر من سبعين مرة " أو كما قال عليه الصلاة والسلام .. أما بعد :

إن التربـية الإيمانـية تنقسـم إلى ثلاثة أقسام التربية الإيمانية البنائية والتربـية الإيمانية العلاجية ، والتربية الإيمانية الوقائية ، والتوبة من الذنوب والاسـتغفار تدخل ضمن التربية الإيمانية العلاجية فالشيطان يتربص بالمسلم الداوئر ويترصد لـه في كل طريق ويغريه بشتى الوسائل ليقع في المحرمات ويرتكـب المعاصي والمنكرات ، فقد آل على نفسه وقال الله عنه : (فبعزتك لأغويـنهم أجمعيـن إلا عبادك منهم المخلصين) وحري بالمسلم أن يعرف عـدوه اللدود ويحذر من شراكه التي يضعها له حيث يسول لـه ويزين لـه المعاصـي ويستعيذ بالله من شره ويخـاف على نفسه من كيده " من خـاف أدلـج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سـلعة الله غالية ، ألا إن سـلعة الله الجنة " .

والمسـلم مع حذره من عدوه هذا ومعرفته لأساليبه وغوايته قد تزل به القدم وينحرف في طريق الغواية ويسلك سبيلاً من سبل الشيطان بدافع الهوى

والـــنفس الأمارة بالسوء لكنه سرعان ما يتذكر ويأوب إلى رشده ويتوب من ذنـــبه ، قـــال تعالى : (والذين إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) .

ومـــن رحمة الله بعباده المؤمنين أن فتح لهم باب التوبة بل وحثهم عليها فقـــال عز من قائل : (وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) ، وقـــال تعـــالى : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) ، وأمرهم بالاستغفار والتوبة ، فقال : (فاستغفروا ربكم ثم توبوا إليه) ، كل هذا رحمة بعـــباده وشفقة عليهم بل هو سبحانه يفرح بتوبة عبده إذا تاب إليه وهو الغني عـــن العالمين والتوبة لها شروط أساسية : أولها الإقلاع عن الذنب ، وثانيها العـــزم على عدم العودة على الذنب ، وثالثها الندم على ما مضى من اقتراف الذنب ، هذا إذا كانت التوبة من ذنب اغترفه العبد في حق من حقوق الله أما فـــيما يـــتعلق بحقـــوق المخلوقين فيضاف إلى هذه الشروط شرط رابع وهو إرجـــاع المظالم إلى أهلها .. والتوبة بابها مفتوح إلى أن تشرق الشمس من مغـــربها أو تـــبلغ الـــروح الحلقوم ، فإذا تاب العبد من ذنبه أبدل الله سيئاته حسنات وهذا من رحمته بعباده بل إنه سبحانه وتعالى يبسط يده لعباده ليتوبوا إليه ويرجعوا ويستغفروه عن أبي موسى عبدالله بن قيس الأشعري رضي الله عـــنه عـــن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها " رواه مسلم .

وإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم مع علو درجته الإيمانية وعصمة الله لـــه يستغفر الله ويتوب إليه ، بل يعلم أصحابه بذلك ، فعن أبي هريرة رضي

الله عـــنه قـــال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " والله إني لأســـتغفر الله وأتـــوب أليه في اليوم أكثر من سبعين مرة " رواه البخاري .. أقـــول إذا كـــان هذا حال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحري بنا أن تلهج ألسنتنا بالتوبة والاستغفار وأن نقرن هذا بالعمل الصالح والبعد عن المعاصي لتصـــدق أفعالـــنا أقوالـــنا ، لأن الإيمان قول وعمل واعتقاد ، فليس الإيمان بالتحلـــي ولا بالتمنـــي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال ، ولقد كان صـــلى الله عليه وسلم يحث الناس على التوبة فيقول : " أيها الناس توبوا إلى الله واســـتغفروه " وهذا من رحمته بأمته وشفقته عليهم : (فبما رحمة من الله لنت لهم ...) وما من خير إلا ودل الأمة عليه وما من شر إلا حذرها منه .

والـــتوبة أخي المسلم متى ما توجه بها العبد بقلب مليء بالإيمان وبوجه خالص إلى الله محا الله بها ذنوبه وقلبها حسنات وأفاض عليه من رضوانه ، وهـــذا مـــا أوضحه رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته بذكر قصة الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفساً ، فعن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري رضي الله عنه ، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال : " كان فيما كان قبلكم رجـــل قتل تسعة وتسعين نفساً فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتـــاه فقال : إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة ؟ فقال : لا ، فقتله فكمل به مائة ، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال : إنه قـــتل مائة نفس فهل له من توبة ؟ فقال : نعم ومن يحول بينك وبين التوبة ، انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ولا تـــرجع إلـــى أرضك فإنها أرض سوء ، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ، فقالت ملائكة الرحمة جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى ، وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً

قـــط ، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم أي حكماً ، فقال : قيسوا ما بيـــن الأرضـــين فإلى أيتهما كان أدنى فهو لـــه ، فقاســـوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد ، فقبضته ملائكة الرحمة " متفق عليه .

ففي هذا الحديث بيان لسعة رحمة الله بعباده وشفقته بهم وعطفه عليهم ، وأن بـــاب الـــتوبة مفتوح لا يحول بين العاصي والتوبة حائل ، لكن ليعلم أن الإصرار على الذنب أمره خطير فإذا كان لا ذنب مع الاستغفار فإنه لا توبة مـــع إصـــرار ، ولا ينبغي التسويف في التوبة كأن يقول العاصي : إذا كبر سأتوب ، أو : إذا بلغت الأربعين سأتوب ، فإنه لا يدري متى يوافيه الأجل ، فكم من إنسان اخترمته المنية وهو في عنفوان شبابه وفي كامل صحته وبين أهله وأحبته وعشيرته .

أخـــي القـــارئ بـــادر إلى التوبة قبل فوات الأوان واستغفر الله في كل الأحـــيان واحذر من كيد الشيطان فإنه يعدك ويمنيك : (يعدهم ويمنيهم وما يعدهـــم الشـــيطان إلا غروراً) ، وفقنا الله وإياك إلى التوبة النصوح والأوبة الصـــادقة ، والحمـــد لله أولاً وأخيراً ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه .

فوائد زيارة المريض :-

الحمـــد لله يهـــدي مـــن يشاء إلى صراط مستقيم ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فعليـــنا الـــتأمل في توجيهات رسول الله صلى الله عليه وسلم في التربية الإيمانـــية لنرى إلى أي مدى أثرت في الجيل الأول من المسلمين الذين تربوا علـــى منهجه القويم وأسلوبه الفذ النادر ، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قال : جاءني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعودني عام حجة الوداع مـــن وجع اشتد بي ، فقلت : يا رسول الله إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا ابنة لي أفأتصدق بثلثي مالي ؟ قال : " لا " قلت : فالشطر يا رســـول الله ؟ فقـــال : " لا " قلت : فالثلث يا رسول الله ؟ قـــال : " الثلـــث والثلـــث كثير – أو كبير – إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهـــم عالة يتكففون الناس وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت علـــيها حـــتى مـــا تجعـــل في قي امرأتك " فقلت : يا رسول الله أخلف بعد أصـــحابي ؟ قال : " إنك لن تخلف فتعمل عملاً تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة ، ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون ، اللهم امض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم " لكن اليائسة سعد بن خولة يرثي له رسول الله صلى الله عليه وسلم أن مات بمكة .

في هذا الحديث توجيهات تربوية هامة منها زيارة المريض وقد شرعها بأمـــر رســـول الله صلى الله عليه وسلم من ربه وقام بها وحث عليها ، فلا

يســمع بــأحد من أصحابه مرض إلا زاره ، وزيارة المريض تدخل ضمن التربية الاجتماعية التي هي من أهم جوانب التربية في الإسلام وفوائدها هذه الــزيارة تــنعكس علـــى المريض وعلى الزائر ، فالمريض يرتاح بها نفسياً ويطمئــن بهــا ومتى ما ارتاح نفسياً خفت كثير من آلامه لأن ارتباط البدن بالروح أمر معروف ، فالبدن يشاطر الروح آلامها وأفراحها .

وفــائدة الزيارة للزائر أن فيها مرضاة لله وأجر ومثوبة وتعميق للمودة بيــن الأخــوة وترســيخ للألفة والمحبة وكسب للأصدقاء ومحاربة لأسباب الــتقاطع والشحناء .. وفي الحديث أيضاً بيان لأهمية الاستشارة لأهل الحجى والــرأي السديد فسعد يستشير رسول الله في الوصية التي عزم عليها ، وقد وردت أحاديث وآثار في الاستشارة والاستخارة ، ومن الأقوال المأثورة [ما خــاب من استخار ولا ندم من استشار] .. ومن الأقوال السائدة [من استقل برأيه ذل ومن استخف بغيره زل] ، ويظهر لنا من الحديث حرص الصحابة على الخير وحبهم له وهم رضوان الله عليهم مع قلة الأغنياء منهم حريصون كــل الحرص على التسابق في القرب والخيرات وهكذا المؤمن يحرص على مــا يقــربه إلى الله من وجوه البر والخير كما أنه يستعمل ما أعطاه الله عز وجــل من مال وصحة وعلم وجاه في طاعة الله ومرضاته .. ومن توجيهات هــذا الحديــث بيان لمشروعية الوصية لكن يراعى في هذه الوصية مصلحة الورثــة وعدم الإجحاف عليهم فهذا سعد رضي الله عنه وهو من ذوي الثراء والغــنى وله مال كثير ولا يرثه إلا ابنة واحدة فاستشار رسول الله صلى الله علــيه وســلم بأن يتصدق بثلثي ماله ، فلم يأذن له رسول الله صلى الله عليه وســلم بذلك ، ثم خفض الوصية على النصف لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبــيح له ذلك ، ثم قــال فثلث ، فقــال علــيه الصــلاة والســلام :

" الثلث والثلث كثير لأن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس " .. فدين الإسلام ينهى عن الاتكالية والتواكل ويحارب البطالة ويحث علـــى الجـــد والاجـــتهاد في العمل وعلى الاستغناء والتعفف كما ينهى عن الضـــرر والضـــرار .. فبعض الناس قد آتاه الله ثروة وغنى وزمن حياته لا يـــنفق ولا يتصـــدق من هذه الثروة ولكن عندما يشعر بدنو أجله يسارع إلى الوصـــية بالمال كله أو أكثره مغفلاً حقوق الورثة أو متعمداً الإضرار بهم لذا فـــإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وجه إلى كيفية الوصية التي لا تضر بالورثـــة فبثلث المال وهو كثير فتجوز الوصية ، أما إن كان بأكثر من الثلث فـــلا تـــنفذ إلا بـــإذن الورثة ، كما أنه من توجيهه عليه الصلاة والسلام عدم الوصية للوارث فبعض الناس يكون لبعض ورثته حظوة عنده فيخصهم بنوع متمـــيز مـــن التركة حباً لهم وتمييزاً لهم عن غيرهم لكن الوصية لهؤلاء لا تصح ولا تجاز " لا وصية لوارث " إلا إذا أجاز الورثة ذلك بطيب نفس منهم وهـــذا هـــو عيـــن العدالـــة ، ليست تلك العدالة التي لا يعرفها الناس إلا في شعارات وعبارات رنانة فما أعظم هذا الدين وما أعظم مبادئه .

ومما يفيده الحديث أن المسلم إذا أنفق نفقة يبتغي بها وجه الله أجر عليها مهمـــا كـــان مقدارها " إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت عليها حـــتى مـــا تجعل في قي امرأتك " وهذا من فضل الله على عباده يقبل القليل مـــنهم ويضاعفه لهم ويثيبهم على النية الصالحة ويرفع لهم الدرجات وينمي لهـــم الأعمال الصالحة كما ينمي أحدهم فلوه ويضاعف لمن يشاء فله الحمد والمنة .

إن الرســـول علـــيه الصلاة والسلام هو المبلغ عن الله دينه وهو الأمين علـــى وحـــيه وهو الحريص على هداية الناس أجمعين وقد أبلغ عليه الصلاة والسلام بلغ أصحابه أخباراً مغيبة وقع بعضها حال حياته والبعض الآخر بعد مماته ، فهل هو عليه الصلاة والسلام يعلم الغيب والله يقول عنه : (لو كنت أعلـــم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء) .. والجواب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب إلا بمقدار ما أطلعه الله عليه لذلك فكل ما ورد عنه فهو وحي من الله كان صادقاً وأميناً في تبليغه : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى) ، فصلوات ربي وسلامه عليه .

التعوذات حصن المؤمن :-

الحمـــد لله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى أحمده حمداً كثيراً ، خلق الجـــن والإنس وأعطى لكل خصائص وجعل غاية الجميع عبادته وحده دون ســـواه ومـــن خصـــائص الجن أنهم يعيشون مع الإنس دون أن يتمكنوا من رؤيتهم ولكنه تظهر أحياناً حالات لبعض الجن يتشكلون بها بصورة إنسان أو حـــيوان أو غـــير ذلـــك . وجعل سبحانه من الجن والإنس سفهاء وكافرون ومؤمـــنون والصلاة والسلام على رسول رب العالمين الرحمة المهداة محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه .. أما بعد :

لقد جعل الله عز وجل للمؤمن حصانة من كل ما يسوؤه ويخيفه إنها تقوى الله والإيمان به والتوكل عليه والركون إلى جانبه فمتى ما كان العبد مطيعاً لله مؤدياً لما فُرض عليه مبتعداً عن معاصي الله كلما حظي بمعية الله له : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وبمقتضى هذه المعية فإنه سيكون في مأمن من سفهاء الجن وشياطينهم : (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا) ، إن هذا الحرز وهذا الحفظ يحرمه كثير من الناس بسبب أنه لا يذكر الله عند أكله وشربه ونومه ودخوله الحمام وخروجه من بيته فيجد الشيطان ما يريده مـــن هـــذا الإنسان فيأكل معه ويشرب معه ويدخل معه ويخرج معه لكن من وفقـــه الله وجعـــل ذكره على لسانه وقلبه مطمئن بالإيمان فإنه في مأمن من الجـــن والشـــياطين .. وإليكم هذه القصة التي رواها ابن كثير رحمه الله عن عـــبدالله بـــن الزبير رضي الله عنه نسوقها كما وردت لنأخذ الدرس والعظة منها ، قال شعبان بن عيينة قال ابن الزبير دخلت المسجد ذات ليلة فإذا نسوة يطفـــن بالبيت فأعجبني فلما قضين طوافهن خرجن فخرجت في أثرهن لأعلم

أيــن منزلهــن فخرجــن من مكة حتى أتين العقبة ثم انحدرن حتى أتين فجاً فدخلن خربة فدخلت في أثرهن فإذا مشيخة جلوس فقالوا : ما جاء بك يا ابن الزبير ؟ قلت : أشهي رطباً وما بمكة يومئذ من رطبة . فأتوني برطب فأكلت ثم قالوا : احمل ما بقي معك . فجئت المنزل فوضعته في سفط وجعلت السفط في صندوق ثم وضعت رأسي لأنام ، فبينما أنا بين النائم واليغظان إذ سمعت جلــبة في البيت فقال بعضهم لبعض أين وضعه ؟ قالوا في الصندوق ففتحوه فــإذا هو في السفط داخله فهمو بفتحه فقال بعضهم إنه ذكر اسم الله عليه فلم يأخذوا السفط بما فيه وذهبوا به قال : فلم آسف على شيء أسفي كيف لم أثب عليهم وهم في البيت .

في هذه القصة بيان اهتمام عبدالله بن الزبير بالمحافظة على رعيته لأنه عندما رأى هؤلاء النسوة يطفن تبعهن بقصد المحافظة عليهن لاسيما وقد كان طوافهــن بليل حتى وصلوا إلى خربة فدخلوا فيها فاستغرب دخولهن فتبعهن فإذا بمجموعة من الجن في الخربة ، لكن لثبات قلبه وجسارته لم يخف ودار الحديــث بيــنه وبينهم وعرفوه وطلبهم رطباً فأتوا به ، فعلى الذين ينكرون وجــود الجــن أن يعــيدوا الــنظر في معتقدهم ، فالجن خلق من خلق الله ، اختصهم بخصائص تختلف عن خصائص الإنس ولهم في القرآن سورة تسمى سورة الجن . قال الله فيها : (قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به) وخلقهم الله للعبادة ، قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ويرون بني آدم وهم لا يرونهم ، قال تعالى : (إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم) وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أن يسمي الله وإلا فإن الشيطان يأكل ويشرب معه . وأن من أراد جمــاع أهلــه وسمى الله وقال : " اللهم جنبنا الشــيطان وجنب الشيطان ما

رزقتـــنا ، وكتب بينهما ولد لم يضره الشيطان " هذا وغيره يؤكد وجود الجن مـــع الإنس في المنازل والطرقات وغير ذلك ، والجن يتلبسون بالإنسان كما يقول ابن القيم رحمه الله إما عشقاً أو انتقاماً أو سفهاً ، وكيفية الخلاص منهم بتلاوة آيات الله والأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمن قرأ الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة كفتاه ، ومن قرأ آية الكرسي لم يضره الشـــيطان ، ومـــن قـــرأ سورة الفاتحة لم يصبه أذىً منه ، ومن قرأ سورة الإخـــلاص والمعوذتيـــن فإنه سيحفظ بإذن الله ، والبيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة لا يقربه شيطان .

لكـــن قراءة هذه الآيات والسور لا تؤدي مفعولها إلا إذا قرئت بخشوع وتدبـــر وإيمان ويقين بفائدتها وجدواها أما إذا قرأها الإنسان والقلب بعيد عن التأثر بها وأعمال الجوارح مخالفة لمقتضاها فإنها لا تعدوا أن تكون نابعة من اللسان غير مؤثرة ولا يستفيد قارؤها منها . فهذا عبدالله بن الزبير وكى على الـــتمر وســـمى الله وعـــندما جاء الجن ما استطاعوا فتحه لأنه ذكر اسم الله فحملـــوه دون مقـــدرة على فتحه ، ويروى أن شيطاناً لقي شيطاناً آخر فرآه هزيلاً فقال : ما بك . فقال : أنا مع إنسان إن أكل سم الله وإن شرب سم الله وإن لبس سم الله فأبات جائعاً عطشاناً ضاحياً . فقال له الآخر : فأما أنا فمع إنســـان إن أكـــل لم يسم وإن شرب لم يسم فآكل وأشرب معه وأعيش معه . وكـــان ضـــخم الجثة بعكس ذاك الهزيل .. إن لديك حصوناً فاستفد منها ولا تفـــرط فيها فيخطفك الهوى والشيطان لأن الشيطان هو عدوك اللدود الذي آل على نفسه أن يغوي بني آدم جميعاً دون استثناء إلا من عبدالله ، قال تعالى : (فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) فالله قد استثنى عباده المخلصين منه .

جعلنا الله وإياك منهم ، اللهم إنا نعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ونفخـــه ونفثه ، ونعوذ بك من شر كل ذي شر ، اللهم احفظنا بحفظك وتولانا برعايتك وأسبل علينا من بركاتك .

كفى بالموت واعظاً :-

الحمـــد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فـــإن الله عز وجل خلق هذا الإنسان وأوجده في هذه الحياة الدنيا وابتلاه بها وأمره بعمارتها والاستخلاف في الأرض وأوضح له مكانتها وقدرها وبين لـــه أن سنتقل منها على جسر الموت ليس له إلا ما قدم من عمل فالعاقل من استعد للموت وسكراته والقبر ووحشته وفراق الأهل والأحبة ، وإن الكافر إذا حـــل بـــه الموت ورآه رأى العين سقط في يده وتمنى العودة والرجوع لكن هـــيهات هـــيـــهات ، قـــال تعـــالى : (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعـــون ، لعلـــي أعمل صالحاً فيما تركت ، كلا إنها كلمة هم قائلوها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون فإذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ، ففي هذه الآيات وغيرها بيان أن الموت آت بلا شك وأن الحياة الدنيا هي خطوة في طريق الإنسان إلى ربه وأن يوم القيامة آت لا محالة وأن الإنســـان لا يـــنفعه حسب ولا نسب ولا مال ولا ولد ولا شيء مما حازه في الحـــياة الدنـــيا (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) لكن الإنســـان مـــن فـــرط جهلـــه ينسى هذا المصير وينخدع بالدنيا ويسير خلف شـــهواتها وملذاتهـــا لا يلوى على شيء وكأنه خالد مخلد فيها ، ولقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم بوسيلة علمية حية حال الإنسان وإحاطة الأجل به وأوضح آماله وتطلعاته يرسم توضيحاً عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم غرز عوداً بين يديه وآخر إلى جنبه وآخر أبعد

مـــنه فقـــال : " أتـــدرون ما هذا ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " هذا الإنســـان وهذا الأجل وهذا الأمل فيتعاطى الأمل فيلحقه الأجل دون الأمل " ، نعـــم لقـــد لحظـــت ولحظنا الكثير من الناس وافتهم المنية وحل بهم الموت وعـــندهم الطموحات الكبيرة والآمال العريضة التي كان يؤمل أن يحققها لكن حـــال دون ذلـــك أجله ، وحلت به منيته وفاق الدنيا ومن فيها (أن في ذلك لذكـــرى لمن كان لـــه قلب أو ألقى المسع وهو شهيد) ، إن العاقل هو الذي يســـفيد مـــن وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وينهل من معين تربيته ويســـير علـــى منهاجه فعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل وهو يعظه : " اغتنم خمساً قبل خمس ، شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك " ، وكتب أبو حامد الغزالي إلى الشيخ أبي الفتح : قرع سمعي أنك تلتمس مني كلاماً وجيزاً في معرض النصح والوعظ وإني لست أرى نفسي أهلاً له فإن الوعظ زكاة نصابها الاتعاظ فمن لا نصاب له فكيف يخرج الزكاة وفاقد النور كيف يستنير به غيره ومتى يستقيم الظل والعود أعوج وقد أوصى الله تعالى عيسى بن مريم عليهما السلام : يا ابن مريم عظ نفسك فإن اتعظت فعـــظ الـــناس وإلا فاســـتحي مني . قال الله تعالى : (أتأمرون الناس بالبر وتنســـون أنفســـكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) ، وقال صـــلى الله عليه وسلم : " تركت فيكم ناطقاً وصامتاً فالناطق هو القرآن والصامت هو الموت وفيهما كفاية لكل متعظ ، ومن لم يتعظ بهما فكيف يعظ غيره ، ولقد وعظت نفســـي بهما وقبلت وصدقت قولاً وعلماً وأبت وتمردت تحقيقاً وفعلاً ، فقلت لنفســـي أما أنت مصدقة بأن القرآن هو الواعظ الناطق وأنه كلام الله المنزل الـــذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالت : بلى . فقلت لها : قد قال الله تعالى : (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوفي إليهم أعمالهم فيها

وهـــم فـــيها لا يبخسون ، أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صـــنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) ، فقد وعد الله بالنار على إرادة الدنيا وكـــل مـــا لا يصاحب بعد الموت فهو من الدنيا فهل تنزهت عن حب الدنيا وإرادتهـــا ولـــو أن طبيباً نصرانياً وعدك بالموت أو بالمرض على تناول ألذ الشـــهوات لتحاميتها وأنفيتها وأنفت منها ، أفكان النصراني عندك أصدق من الله تعـــالى فإن كان كذلك فما أكفرك ، أم كان المرض أشد عليك من النار ، فإن كان كذلك فما أجهلك فصدقت ثم ما انتفعت بل أصررت على الميل إلى العاجلة واستمرت ثم أقبلت عليها فوعظتها بالواعظ فقلت لها أخبر الناطق عن الصامت قال تعالى : (قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلـــى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون) فقلت لها هب أنك ملت إلـــى العاجلة أفلست مصدقة بأن الموت لا محالة سيأتيك قاطعاً عليك ما أنت متمسكة به وسالباً منك كل ما أنت راغبة فيه وأن ما هو آت قريب وأن البعيد مـــا لـــيس بآت وقد قال الله تعالى : (أفرأيت أن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كـــانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) فكأنك مخرجة بهذا الوعظ عـــن جمـــيع مـــا أنت فيه قالت صدقت فكان منها قولاً لا يحصل وراءه ولم تجتهد قط في تزود الآخرة كاجتهادها في تدبير العاجلة ولم تجتهد في رضى الله تعالى لاجتهادها في طلب رضاها وطلب رضى الخلق ولم تستحي من الله تعـــالى كما تستحي من واحد من الخلق ولم تشمر لاستعداد الآخرة كتشميرها في الصيف لأجل الشتاء وفي الشتاء لأجل الصيف .

فأوصيك بما أوصـــى به رســـول الله صلى الله عليه وسلم حيث قـــال : " صـــل صلاة مودع ولقد أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب ولا ينفع بوعظ

علـــى من علب على ظنه في كل صلاة أنها آخر صلاة يؤديها مع خوفه من الله وخشيته منه .

نســـأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يلهمنا رشدنا ويقينا شر شرور أنفسنا فالنفس أمارة بالسوء وهي تجمح ولا يسلس قيادها ويروضها إلى السير إلـــى الله وشـــدة الملاحظة لها وحسن التربية على سلامة المنهج ، اللهم أعنا علـــى ذكـــرك وشكرك وحسن عبادتك ، اللهم اجعل خير أيامنا آخرها وخير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم نلقاك .

استغلال الأوقات في طاعة الله :-

الحمد لله خلق فسوى وقدر فهدى ، أحمده حمداً كثيراً ، والصلاة والسلام علـــى نبي االرحمة والهدى محمد بن عبدالله وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه .. أما بعد :

فإن المتأمل في مرور الأيام وتعاقب الشهور والأعوام يعلم علم اليقين أن هـــذه الحـــياة ستصـــل إلى نهايتها في يوم من الأيام ، فالحياة يعقبها الموت والمـــوت يتلوه البعث ، وفي يوم البعث يجزى الإنسان بما عمل من خير أو شـــر ، والمـــتأمل في هذا سيجد في النهاية أن لا سعادة و لا خلاص إلا في طاعة الله ورضوانه والعمل بما يرضي الله في هذه الحياة الدنيا .

وفي قولة مأثورة عن أمير المؤمنـــين علي رضي الله عنه إلا وهي قوله [ألا ما أكثر العبر وأقل الاعتبار] .. نعم العبر كثيرة ومن هذه العبر مرور الأيـــام والليالي وغفلة الكثير من الناس عن مرورها وبالأمس القريب كنا في اســـتقبال موســـم الحج وقد مرت هذه الأيام سراعاً وانقضت تباعاً فهنيئاً لمن قضـــاها فـــي طاعة الله ويا حسرة الغافل عنها المفرط فيها .. وإذا كانت قد انتهـــت أيام الحج ولياليه فإننا لا نزال في الأشهر الحرم والتي تتضاعف فيها الأعمـــال فعليـــنا أن نراقـــب أنفسنا ونحملها على الطاعة .. ونروضها على العـــبادة حـــتى تعـــتادها ونغتنم هذه الأيام ونغتنم الصحة والفراغ والقوة في الأبدان فيما يرضي الله عز وجل ولقد كانت من وصايا رسول الله صلى الله علـــيه وســـلم لأمته اغتنام العمر في طاعة الله ، فعن ابن عباس رضي الله

عـــنهما عـــن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل وهو يعظه : " اغتنم خمســـاً قـــبل خمس ، شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقـــرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك " ، أرأيت أخي المسلم هذه الوصـــية الجامعـــة التي أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم – اغتنام العمر في طاعة الله ، واغتنام قوة البدن في طاعته ، وكذلك الغنى والفراغ بل والحـــياة كلها في عبادة الله عز وجل – فحري بنا أن نحقق ما خلقنا الله له ، قـــال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) بمفهوم العبادة الشامل فنجعل كل مناشطنا وأعمالنا منضبطة بما يرضي الله محققة لطاعة الله : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ...) ونبتعد عن كل ما يسخط الله ويغضبه من الأقوال والأفعال .. ونتزود ونحن في رحلتنا إلى الله بـــزاد التقوى كما أمرنا الله سبحانه وتعالى ، حيث قال : (وتزودوا فإن خير الـــزاد الـــتقوى) ، وبالأمس عندما كنا في موسم عظيم من مواسم الطاعات موســـم الحـــج إلـــى بيت الله الحرام الركن الخامس من أركان الإسلام كان الميدان فسيحاً أمامنا فمنا من يدعو ويلبي ويذكر الله ويتضرع إليه ، ومنا من صام وكانت النفوس متوجهة لله ضارعة إليه راغبة فيما عنده ، لاشك أن هذا مـــن الـــزاد الـــذي يتزود به المؤمن إلى ربه وفي هذا طريق النجاة وطريق السعادة .

إن مـــن الحكمة والحرص على المصلحة الاستمرار على هذه الطاعة ، وعـــدم الرجوع إلى المعاصي والركون إلى الدنيا : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقيـــن) ، إن من علامة قبول العمل تحسن حال العامل بعده واتباع الحسنة الحســـنة وإن مـــن علامات الخسران اتباع الحسنة بالسيئة ، فلننتبه إلى هذا ولـــنحرص علـــى طاعة الله ورضوانه ومراقبة هذه النفس حتى تصبح نفساً

لوامـــة تلوم على ارتكاب المعصية وعدم الاستزادة من الطاعة فـــ : " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني " ، نعم إن العاقل هو الذي يحاسب نفسه على ما تقوم به من عمل ويحـــرص جاهداً على أن تتوجه إلى الله وتعمل ليوم الحساب لكن العاجز هو الـــذي يـــترك لهذه النفس هواها ويرخي لها قيادها لتفعل ما تشاء وتـــأتي ما تريد .

إن الدنـــيا دار ممر وليست بدار مقر فإذا عرف الإنسان قدرها ووزنها عند الله لم يركن إليها ولم ينخدع بها وتراه وقد سخرها لطاعة الله واتخذ منها حقلاً للأعمال الصالحة ، ولقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بالزهد فيها وعـــدم الركون إليها ، عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا عملـــته أحبني الله وأحبني الناس ، فقال : " ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس " رواه ابن ماجه والبيهقي وغيرهما ، فنلحظ في هذه الوصية حرص الصحابة رضي الله عنهم على محبة الله ومحبة الناس ، لأن من أحبه الله يسر أمره ووفقه وأعانه وسدد خطاه ، فعندئذ يشعر بالسعادة فـــي الدنيا والآخرة أما محبة الناس فبها ينال الإنسان كثيراً من المصالح في الدنـــيا والآخـــرة أما في الدنيا فطالما أنهم يحبونه فلا يتعرضون لأذيته ولا لضياع حقوقه ولا الكيد لـــه ولا المكر به .. كما نلحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد دله على الأسباب والوسائل التي تنال بها محبة الله وهي الزهد فـــي الدنيا وعدم الركون إليها أو التعلق بها مع مراعاة عدم التواكل والسلبية فـــيها لأن السلبية هي العجز وفرق بين الزاهد والعاجز ، فمن زهد في الدنيا وهو مستطيع على النيل من حطامها هو الكبير عند الله والكبير عند الخلق ،

أما من يترك العمل فيها وينزوي إلى نفسه ويتكل على غيره فهذا هو العجز الـــذي تعـــوذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم إن من يزهد في الدنيا مع قدرتـــه على العمل فيها يحبه الله لأن هذا الإنسان غايته السامية مرضاة ربه والحصول على رضوانه والجنة في يوم الجزاء والحساب .

كمـــا نســـتفيد من هذا الحديث أن محبة الناس مرتبطة بالتعفف عما في أيديهم والزهد فيما عندهم من حطامها إنه بهذا ينال حبهم وتقديرهم له .

عليـــنا أن نستفيد من هذه الوصايا النبوية فيما يعود علينا بالنفع والفائدة في دنيانا وأخرانا ونسأله سبحانه أن يجعلنا ممن عرف قدر نفسه وأن يجعلنا وإيـــاكم ممـــن يستمع القول ويتبع أحسنه ، والحمد لله أولاً وأخيراً والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه .

اليقين والتوكل يرسخان الإيمان في النفس :-

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

فـــإن التوكل على الله وما ورد فيه من الآيات وبعض المواقف التربوية مـــن ســـنة المصـــطفى صـــلى الله عليه وسلم من خلال أقواله وأفعاله تؤكد مشـــروعية الأخذ بالأسباب وأنها لا تتنافى مع التوكل على الله ، وقد استفاد الســـلف من هذه الدروس والتوجيهات النبوية فمن أقوال السلف هذه : [قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ما أبالي على أي حال أصبحت ، على ما أحـــب أو على ما أكره ، لأني لا أدري الخير فيما أحب أو فيما أكره] وهذا يعتـــبر في أعلى درجات اليقين والتوكل على الله . إن من يعيش هذه الحالة النفسية يعيش في صحة نفسية وأمن نفسي فتكون شخصيته سوية مرتاح البال هادئ الضمير ، وهذا هو الحصاد التربوي الذي استفاده الصحابة رضوان الله علـــيهم من مدرسة محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه ، ولقد رسخ المربـــي الأعظم بعض المبادئ والثوابت للإيمان والإسلام فهذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول : قوام الإسلام بأربعة أركان : اليقين ، والعدل ، والصـــبر ، والجهـــاد فلا يقين إلا بالتوكل على الله والاعتماد عليه والتوكل بجانـــب ما يفيؤه على النفس من أمن وطمأنينة يعتبر من أعظم الأسباب التي يحصـــل بها المطلوب ويندفع بها المكروه ولكن التوكل كما ذكرنا فيما مضى لا ينافـــي الأخـــذ بالأسباب فالأخذ بها أمر مشروع وتركها غير مطلوب قال الإمـــام ابـــن القـــيم رحمه الله : التوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل ، ولكن

من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب وقطع علاقة القلب بها فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها وحال بدنه قيامه بها ...] .

إن هـذا الـتوازن الدقيق بين التوكل والأخذ بالأسباب التي شرعها الله لعـباده فـالأخذ بها من تمام التوكل لكن بشرط عدم الركون إليها ، ، فالقلب معلـق بـالله يقيـناً والعبد يأخذ بالأسباب عملاً وهذا هو التوازن بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله ، ولقد فرق بعض الحكماء بين اليقين والتوكل بما يأتـي : اليقين أن تصدق الله بجميع أسباب الآخرة ، والتوكل أن تصدق الله بجمـيع أسـباب الدنيا فإذا رزق العبد اليقين والتوكل شعر بالسعادة في الدنيا والآخـرة وهناك من القصص والروايات ما يظهر لنا عقيدة السلف في أمر الـتوكل واليقين نسوق بعض هذه القصص من باب إكمال الفائدة ، فعن يعلى بـن مـرة قـال : اجتمعنا مع نفر من أصحاب علي رضي الله عنه فقلنا لو حرسـنا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ، فإنه محارب ولا نأمن عليه أن يغتال ، فبينما نحن عند باب حجرته إذ خرج للصلاة فقال : ما شأنكم ؟ فقلنا : حرسـناك يـا أمير المؤمنين لأنك محارب فخشينا أن تغتال ، فقال : أفمن أهل السماء حرستموني ؟ أم من أهل الأرض ؟ قالوا : بل من أهل الأرض ، فكيف نستطيع أن نحرسك من أهل السماء ؟ قال : فإنه لا يكون في الأرض شيء حتى يقدره الله في السماء وليس من أحد إلا ووكل به ملكان يدفعان عنه حتى يجيء قدره فإذا جاء قدره خليا بينه وبين قدره .

فما توكل أحد على الله جل وعلا من صحة قلبه حتى كان الله جلو وعلا بمـا تضمن من الكفالة أوثق عنده بما حدثه يده إلا لم يكله الله إلى عباه وآتاه رزقه من حيث لم يحتسب .

أرأيتم أيها الأخوة هذا الإيمان الصادق واليقين الراسخ والتوكل التام على الله .. فالعبد هو ملك الله يتصرف فيه كيف يشاء ولذلك لو تأملنا في قول الله عز وجل : (إنا لله وإنا إليه راجعون) لأدركنا تماماً أننا عبيد لله يفعل بنا ما يشـــاء ويقـــدر لنا ما يريد ونحن صائرون إليه وراجعون إليه سبحانه ، فلو وجـــدت هـــذه العقيدة حيزاً في قلوبنا واطمأنت بها نفوسنا لاستقامت أحوالنا وشـــعرنا بمعنى الراحة والطمأنينة وذقنا حلاوة الإيمان ، إن هذه العقيدة إذا رســـخت في النفس أظهرت من العبد مواقف مشرفة تجاه النكبات والبلايا ، والتربية النبوية أثرت في جيل الصحابة رجالاً ونساءً أحراراً وعبيداً صغاراً وكباراً وكانوا يعيشون حالة من الإيمان واليقين والتوكل منقطعة النظير فإليكم أيهـــا الأخوة قصة هذه الأمة ، دخلت في الإسلام طواعية وعاشت حال يقين وطمأنيـــنة استســـهلت فيها كل صعب لأنها كانت تعيش بيقينها وإيمانها أنها زنـــيرة أمة لأمية بن خلف حين ما أسلمت أخذ يعذبها عذاباً شديداً فاشتراها أبوبكـــر الصـــديق واعـــتقها فلما اعتقها ذهب نور بصرها وعميت فقال لها المشـــركون لـــو أنك بقيت على ديننا ما ذهب بصرك ، أرأيت كيف غضبت علـــيك الآلهـــة ؟ غضـــبت عليك اللات والعزى عودي إلى الآلهة ترد عليك بصرك . فقالت : زنيرة رضي الله عنها : والله لا يملك الأمر إلا الله ولا إله إلا الله أحـــيا عليها وألقى الله عليها . فلما قالت لهم هذا الكلام ، رد الله عليها بصرها فأصبحت أقوى مما كانت ثقة في الله واعتماداً على الله وتوكلاً على الله .

قال الإمام مالك بن دينار رحمه الله : بينما أنا نائم ذات ليلة إذ أتاني آت في المنام فقال : قم الآن واذهب إلى مسجد البصرة فستجد هناك شاباً اشتد به

الجوع فقدم لـــه الطعام قال : فقمت وأخذت معي ما تيسر من الطعام وذهبت إلـــى المسجد فرأيت شاباً يذكر الله فوضعت لـــه الطعام والشراب وقلت لـــه إذا احتجـــت إلـــى فإنني في هذا المكان فرد علي الشاب قائلاً : فكيف أحتاج إلـــيك وأنســـى الـــذي أرسلك إلى في هذا المكان : (الذي خلقني فهو يهدين والـــذي يطعمني ويسقين) ولكن لا زلنا نؤكد على أن هناك فرق بين التوكل على الله والتواكل فالتوكل على الله مطلوب الذي يستوجب البحث عن أسباب الرزق والكسب والتواكل هو الركون والعجز وعدم الأخذ بالأسباب .

اللهم إنا نسألك إيماناً صادقاً ويقيناً راسخاً وتوكلاً عليك نجد حلاوته في قلوبـــنا ونـــوره فـــي أبصـــارنا ونحوز به سعادة تغنينا عما سواك يا أرحم الراحمين .

الصيام مدرسة لبناء الإيمان :-

الحمـــد لله جعـــل لعـــباده المتقين مواسم عظيمة يتسابقون فيها بالقرب والطاعات أحمده حمداً كثيراً وأصلي وأسلم على خير من قام وصام محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه .. أما بعد :

قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) فشهر رمضان هو مدرسة بناء الإيمان وتقوية الإرادة وتهذيـــب الـــنفس إذا حقق الصيام مقتضاه وحافظ الصائم فيه على صيامه ، وكـــبح جمـــاح نفسه وكفها عن شهواتها ورغباتها ، وصام إيماناً واحتساباً ، مخلصاً العمل لله ، يغفر الله له ذنبه ويمحوا خطيئته ، عن أبي هريرة رضي الله عـــنه عـــن النبـــي صلى الله عليه وسلم قال : " من صام رمضان إيماناً واحتســـاباً غفر لـــه ما تقدم من ذنبه " رواه البخاري ومسلم ... وإذا صـــام العـــبد ، وعرف ما يتوجب عليه وحفظ نفسه من ارتكاب الذنوب والمعاصي كـــان صيامه كفارة لما وقع منه من الذنوب والآثام ، فعن أبي سعيد الخدري رضـــي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ عما ينبغي لـــه أن يتحفظ منه كفر ما قبله " رواه ابن حـــبان وهـــذا من فضل الله ونعـــمته وجوده وكرمه ، حيث جعـــل للذنوب مكفـــرات ، كالصلوات والجمعة ورمضان ، عن أبي هريرة رضي الله عنهه عـــن رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم قال : " الصلوات الخمس والجمعة للجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ، إذا اجتنبت الكبائر " رواه مسلم .

أرأيت أخي الكريم كيف يتفضل الله على عباده ، لذا ينبغي على العبد أن يتوجه إلى الله بالعمل ، ويسأله التوفيق والقبول ، فالرسول عليه الصلاة والسلام كان يرشد أصحابه إلى الخير ويحثهم على فعل الطاعات ويحذرهم من ارتكاب المعاصي والآثام ، عن عمر بن مرة الجهني رضي الله عنه قال : جاء رجل من قضاعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وصليت الصلوات الخمس ، وصمت رمضان وقمته ، وآتيت الزكاة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من مات على هذا كان من الصديقين والشهداء " رواه البزار وابن خزيمة وابن حبان .

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بمقدم شهر رمضان شهر الخيرات والبركات والقرب والطاعات ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أتاكم شهر رمضان شهر مبارك فرض الله عليكم صيامه ، تفتح فيه أبواب الجنة وتغلق فيه أبواب الجحيم وتقل فيه مردة الشياطين فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم " رواه النسائي والبيهقي . الله عز وجل فرض صيامه يقول : (كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم) والليلة التي فيه هي ليلة القدر قال الله تعالى : (إنا إنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر) وهذه الليلة المباركة من هذا الشهر المبارك شهر القيام والصيام ، والمحروم فيه من حرم الأجر في لياليه المباركة وبالذات في ليلة القدر . عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخل

رمضـــان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن هذا الشهر قد حضركم وفـيه لـيلة خـير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله ، ولا يحرم خـيرها إلا المحـروم " رواه ابن ماجه بإسناد حسن ، وقد خصت هذه الليلة بخصـائص عظيمة ، فالعبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر فيما سواها كما جاء في سورة القدر .

وجاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قال : " من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر لـه ما تقدم من ذنبه " وقولـه إيماناً أي إيماناً بالله وتصديقاً بوعده واحتساباً إي مخلصـاً لله في العمـل ، فـإن نتيجة ذلك مغفرة الذنوب والآثام ، وليلة القدر هي في شهر رمضـان ، فقـيل في العشر الأواخر منه وآكدها ليال الوتر . عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القـدر قال : " في شهر رمضان في العشر الأواخر ليلة إحدى وعشرين أو ثـلاث وعشرين ، أو خمس وعشرين ، أو سبع وعشرين ، أو تسع وعشرين أو آخر ليلة من رمضان من قامها إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنـبه ومـا تأخـر " رواه أحمـد . وجاء في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم قـال : " أرى رؤياكم قد تواطأت أنها في ليلة سبع وعشرين أو تسع وعشرين أو آخر ليلة من رمضان من قامها احتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر " رواه أحمد . وجاء في حديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال : " أرى رؤيـاكم قد تواطأت أنها في ليلة سبع وعشرين فمن محتريها فليحـترها فـي ليلة سبع وعشرين " ، وقال صلى الله عليه وسلم : " إذا كان آخـر ليلة غفر الله لهم " قال : أهي ليلة القدر يا رسول الله ؟ قال : " لا لكن العامل إنما يوفي أجره إذا وفى عمله " أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

وفـــي أخفـــاء لـــيلة القدر حكم بالغة وفوائد للعبادة عظيمة ، ومنها كي يجـــتهدوا فـــي العبادة ويكثروا من القيام والذكر والدعاء والله سبحانه وتعالى غني عن العالمين لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي لكن من عمـــل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ، وفي هذا الشهر المبارك تظهر همم العاملين ويبرز أعمال المتقين فيشمرون ، قدوتهم في ذلك الرسول المصطفى صـــلوات ربـــي وسلامه عليه الذي إذا دخل العشر الأواخر جد وشد المئزر وأحيى ليله وأيقظ أهله ، فهو قدوتنا في الطاعة والعبادة الذي غفر له ما تقدم مـــن ذنبه وما تأخر لكن مع ذلك كثير الشكر لله كثير العبادة له ، يقوم حتى تـــتورم قدماه فتسأله عائشة رضي الله عنها : لم تفعل ذلك يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك ؟ فيقول : " يا عائشة ألا أكون عبداً شكوراً " .

فهذا الموسم العظيم هو فرصة للمتقين ومضمار للمتسابقين الذين شمروا عن ساعد الجد فهم في ليله قائمون ، وفي نهاره صائمون حفظوا أنفسهم من الـــزلات وهذبوا أرواحهم بالطاعات يحدوهم حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح إلـــى جـــنات الخلـــد والرضوان والنعيم الدائم في الجنات .. جعلنا الله منهم وأعاننا على ذكره وشكره وختم لنا بالصالحات .

الرضا بالقضاء والصبر على البلاء بناء للإيمان :-

الحمـــد لله ابـــتلى عـــباده المؤمنين بالخير والشر ليمحص عنهم الذنوب ويـــرفع لهم الدرجات ، أحمده حمداً كثيراً وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة محمـــد بـــن عـــبدالله وعلى آل بيته الطاهرين وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

قـــد قـــال الله تعالى : (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأمـــوال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين) ، وقال تعالى : (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذىً كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور) ، فالابتلاء يمحص الله عـــز وجـــل به عباده المتقين الصابرين عن غيرهم فكلما ابتلى العبد بأي نوع من أنواع البلاء وقابل ذلك بالصبر والرضا والتسليم كلما ارتفعت درجته عـــند الله ونـــال الأجر مع نفاذ القدر ، أما إذا تضجر واشتكى وتسخط فإنه ســـيأثم وقضاء الله وقدره نافذ لا محالة ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله عنه بها حتى الشوكة يشاكها " متفق عليه .

فالـــبلاء الذي يصيب المسلم أياً كان نوعه فيه خير عظيم فالهم والحزن الـــذي يصيبه فيصبر ويحتسب يكون له في ذلك أجر عظيم ، عن سعيد وأبي هريـــرة رضـــي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما يصيب

المؤمـــن من نصب ولا وصب أي وجع ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه " متفق عليه .

فانظـــر إلـــى هذا الأجر العظيم وفضل الله الواسع حيث أن صبر العبد المؤمـــن على الهموم والأحزان والمرض والتعب وهي أمور قدرها الله عليه يـــنال بذلـــك الأجر العظيم ، فالحمد لله على منه وعطائه ، فعلينا أن نتحلى بالصـــبر ونرضى بقدر الله ونسلم له بذلك حتى نعيش في راحة نفسية وأمن وطمأنيـــنة ، ولقد بشر النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن بالخير الوفير عند صـــبره وشكره ، فعن صهيب الرومي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم : " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له " رواه مسلم . والابتلاء بالخير والصحة والغنى لا يصمد معهما إلا القليل من عباد الله المؤمنين ، فكم من إنسان أطغاه المال ، ولم من إنســـان غره الشباب وافتتن بصحته وضل وانحرف خسر الدنيا والآخرة لكن من قابل هذه النعم بالشكر وعرف بها حق المنعم عليه فسخر قوته لطاعة الله وسخر ماله فيما يرضي الله فإنه سيسعد بذلك وتطيب نفسه وتكون عاقبته إلى خير ، نسأل الله أن يلهمنا الرشد ويكفينا شر شرور النفس .

إن المؤمـــن الـــذي يبتلى بالشر فيصبر يتوجب عليه أن يكف لسانه عن التشـــكي ويـــردع نفسه عن التسخط ، أما أن تشكي وتسخط فإنه سيفقد أجر الصـــابرين وإن الســـلف الصالح كانوا يحرصون على أن يوجهوا الناس إلى الصـــبر وعـــدم التسخط ، قال الفضل بن عياض رحمه الله من شكا مصيبة

نزلـــت بـــه فكأنما شكا ربه ، ولقد قيل أربع من كنوز الجنة كتمان المصيبة وكتمان الصدقة وكتمان الفاقة ، وكتمان الوجع " .

لكـــن مما يجدر التنبيه إليه أن الإنسان إذا حلت به مصيبة من فقد حميم أو ضـــياع حق أو فقدان مصلحة قد يغليه حزنه وتتغلب عليه عبرته ويشعر بحـــزن قلـــبه وقـــد حصل هذا لأفضل البشر محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه بموت ولده إبراهيم . عن أنس رضي الله عنه قال : ذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقدم له ابنه إبراهيم ونفسه تقعقع فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في سكرات الموت ويبكي عليه الصلاة والسلام وهو يقول : " إنا لله وإنا إليه راجعون فتدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون " ، وإن فضل الله على عبده لعظـــيم فعلـــي قـــدر ما يواجه من شدائد وآلام يكون أجره من الله عز وجل وعلامـــة حب الله لعبده ابتلاؤه في الدنيا فرسول الله صلى اله عليه وسلم قد أوضـــح بأن أشد الناس بلاءً الأمثل فالأمثل ويبتلى المرء على قدر دينه ولقد كان صلى الله عليه وسلم يوعك وعكاً شديداً ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قـــال : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك وعكاً شديداً ، فقلت : يا رسول الله بأبي أنت وأمي إنك توعك وعكاً شديداً . قال : " نعم " ، قلت : ذلك بأن لك أجر رجلين ؟ قال : " نعم " وقال : " إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم ثم قال عليه الصلاة والسلام وفي حديث ابن مسعود : " ما من مؤمن يصيبه هم أو غم أو حزن أو كرب حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه وفي لفظ إلا حط الله بها من الخطايا كما تحط الشجرة ورقها " .

لقـد كـان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم بلسان الحال فهو القدوة والأسـوة للمؤمنيـن فلسـان حاله يعلمنا قوة التحمل والتحلي بالصبر وعدم التضـجر والتسخط والتشكي فإذا كان هو أفضل البشر على الإطلاق يحصل لـه الهم ويقع عليه الوجع بل ويوعك وعكاً شديداً فلا يشتكي ولا يتأوه بل قد علـم أصـحابه الذين قاموا بدور التربية والتعليم من بعده أن كل ما يصيب المؤمن من الأمراض والأحزان يكون له في ذلك أجر عظيم .

فنسأل الله عز وجل التوفيق والسداد وأن يلهمنا الرشد والصواب إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الذكر والدعاء من وسائل بناء الإيمان :-

الحمـــد لله والصـــلاة والســـلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فـــإن المسلم لا ينفك عن ذكر الله وشكره وحمده والثناء عليه فلا يرتاح قلـــبه إلا بذكـــر الله وشكره (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) وأن كل من في السموات والأرض يسبح الله سبحانه وتعالى وبحمده تسبيحاً لا نفقهه نحن وقد لا نسمعه فهو سبحانه رحيم بخلقه الغفور لمن عصاه قال سبحانه وتعـــالى : (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ون من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً) والله أنزل على رسوله قوله تعـــالى : (وســـبح بحمـــد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فســـبحه وأدبار السجود) وقوله عز من قائل : (فسبح بحمد ربك واستغفره إنـــه كان تواباً) فهذا أمر من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم اشتملت عليه الآيات وغيرها بالتسبيح والتهليل والاستغفار ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم يكـــثر مـــن حمد الله والثناء عليه ويذكره ويشكره ويحث أمته على ذكر الله وشـــكره وحمـــده والثـــناء عليه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم : " من سبح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمـــد ثلاثاً وثلاثين وكبر ثلاثاً وثلاثين وختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شـــريك له لـــه الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر " .

ولقـــد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على تربية أصحابه تربية إيمانـــية عمـــيقة أثمرت هذه التربية وأينعت فأخرجت جيلاً حملوا هذا الدين عقيدة في نفوسهم وواقعاً عاشوه في حياتهم فصبغت كل مناحي الحياة عندهم بصبغة الإسلام فعم هذا الخير ربوع مجتمعهم ووجه الأفراد والأسر إلى كل خـــير ثـــم حملوا الأمانة مع رسول الله بعد وفاته عليه الصلاة والسلام فبلغوا ديـــن الله إلى الناس وجاهدوا وضحوا فأعزهم الله بالإسلام وأعز الإسلام بهم ولقـــد كان الذكر يجري على ألسنتهم وتطمئن به قلوبهم لأنهم تعلموا ذلك من مدرســـة الإيمان مدرسة محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم حيث تلقوا في هـــذه المدرسة دروساً في التربية الإيمانية فمنها ما رواه جابر رضي الله عنه عـــن النبـــي صلى الله عليه وسلم قال : " أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله " ومنها ما رواه عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صـــلى الله عليه وسلم قال : " التسبيح نصف الميزان والحمد لله تملأه ولا إله إلا الله ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص إليه " ومنها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله العظيم وبحمده " ومنها ما رواه أبو ذر رضـــي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ألا أخبرك بأحـــب الكلام إلى الله ؟ " قلت : يا رسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله . قـــال : "ســـبحان الله وبحمده " . ولقد وعى الصحابة رضوان الله عليهم هذه الـــدروس وعرفوا من هذه الدروس وغيرها فضل الشكر والذكر والثناء على الله كمـــا عرفوا ما يناله الذاكرون والشاكرون من الأجر والمثوبة فمن الأجر ما أوضحه رسول الله صـــلى الله عليه وسلم في حديث أبي هريرة رضي الله عـــنه : " من قال سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة غفرت له ذنوبه وإن كانـــت مـــثل زبـــد البحر " كما روى مصعب بن سعد رضي الله عنه قال :

حدثنـــي أبـــي قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " أيعجز أحدكـــم أن يكسب كل يوم ألف حسنة " فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : " يسبح مائة تسبيحة فتكتب لـــه ألف حسنة أو تحط عنه ألف خطيئة " .

أرأيت كيف إن مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلس علم وفقه وتربـــية وذكـــر ففي هذا الحديث رأينا كيف أن هذا المجلس يضم عدداً من المســـتفيدين من هذه الدروس الإيمانية ويسلك بهم رسول الله صلى الله عليه وســـلم مســـالك مـــتعددة بالتربية والتوجيه والتعليم فمرة يلقى عليهم الفوائد التربوية وأخرى يسألون فيجيب فهذا سائل يسأله بعد أن طرح عليهم السؤال الـــذي استئثار انتباههم ولفت حسهم وآثار وجدانهم فيسأل كيف يكسب أحدهم ألـــف حسنة فيجيبه عليه الصلاة والسلام فيستفيد السائل والسامعون وينقلون الخـــير الـــذي اســـتفادوه من هذا المجلس إلى غيرهم فيتناقله المسلمون حتى وصل إلينا .

ولقـــد كان صلى الله عليه وسلم يعلم بلسان حاله ومقاله ففي مجال الذكر يقـــول عليه السلام كما روى أبو هريرة رضي الله عنه : " لأن أقول سبحان الله والحمـــد لله ، ولا إلـــه إلا الله والله أكـــبر أحب إلى الله مما طلعت عليه الشمس " .

فـــيا أيهـــا المحب لرسول الله اقتفي أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم وسر على هديه في عبادته وتعامله وسمته وفي كيفية ذكره لله عز وجل تنال بذلك محـــبة الله وتكون من أوليائه الذين لا خوف عليـــهم ولا هم يحزنـــون

(قــل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) وأحرص على المداومة على تلاوة القرآن وتدبر معانيه والعمل بما جاء فيه وعود لسانك ذكر الله على كل حال واختر من الكلام أحبه إلى الله ومن أحب الكلام إلى الله أربع كلمات كما جاء عن سمرة بن جندب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أحب الكــلام إلــى الله أربع ، سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " لا يضرك بأيهن بدأت .

وأعلــم أخي المسلم أنك بالمداومة على هذا الذكر تنال مرضاة الله وتقدم من الأعمال الصالحة ما يكون سبباً في دخول الجنة والتمتع بملذاتها فعن ابن مسعود رضي الله عنه قــال : قــال رسول الله صلى الله عليه وسلم قــال : " لقيــت إبراهيم عليه السلام ليلة أسري بي فقال : يا محمد أقرئ أمتك مني الســلام وأخــبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غرسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر " .

ولقــد حرص الصحابة رضوان الله عليهم على التسابق من الخيرات فقد جاء الفقراء منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روى أبو ذر رضي الله عنه فقالوا : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كم نصلي ويصــومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم " قال : " أوليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون به ؟ إن بكل تسبيحة صدقة ، وكل تكبيرة صدقة ، وكل تحميدة صدقة ، وأمر بالمعروف صدقة ونهى عن المنكر صدقة ، وفي بضع أحدكم صدقة ... الحديث " .

أرأيت أخي المسلم كيف يكون التسابق في القرب والطاعات فحري بكل أن تحـــرص على ذكر الله وشكره والثناء عليه عقب صلواتك وحين خلواتك وأثناء سيرك وقعودك ومدخلك ومخرجك تجد بذلك طمأنينة في القلب وراحة فـــي الـــنفس وسعادة في الدارين .. أسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يوفقني وإياك إلى ذكره وشكره وحسن عبادته .

المؤمن تواب أواب :-

الحمـــد لله والصـــلاة والســـلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فـــإن الله عز وجل قد أمر بالتوبة فقال عز من قائل : (وتوبوا إلى الله جمـــيعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) ، ويقول سبحانه : (استغفروا ربكم ثم توبـــوا إلـــيه) ، ويقول جل وعلا : (يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً) ، والله عز وجل يحب التوابين ويحب المتطهرين ، قـــال تعـــالى : (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) ، وقال رسول الله صلى الله عليه وســـلم : " أنـــا نبـــي الـــتوبة " ، وكان صلى الله عليه وسلم يكثر من التوبة والاســـتغفار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله علـــيه وســـلم : " والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة " رواه البخاري ، وجاء عنه صلى الله عليه وسلم قوله : " يا أيها الناس توبـــوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة " ، ويقول الدكتور عبدالحليم محمود : وما كانت توبة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذنب وحاشـــاه وهو المعصوم ، وما كانت توبته عن غفلة كلا وحاشاه صلوات الله وســـلامه علـــيه ، وإنما كانت توبته توبة عبادة وتوبة عبودية ومن أجل ذلك يكثر منها عبادة وعبودية وكان يكثر منها ليكون في داخل الإطار الذي رسمه الله ســـبحانه وتعـــالى بقولـــه : (إن الله يحب التوابين) والتوابون هم الذين يكثرون من التوبة ، وللتوبة الصادقة خصائص : إنها تخرج حظ الشيطان من القلـــب فيصـــبح طاهراً بريئاً من كل دنس ، وإن من خصائص التوبة حينما

تتكرر في صدق وإخلاص أن تملأ القلب سكينة لأن الإنسان بالتوبة الصادقة يلقـــي نفســـه في الرحاب الإلهي فيسكن إلى الله وكفى بالله هادياً وكفى بالله نصيراً . إنه بالتوبة وهي نوع من اللجوء إلى الله والتضرع إليه والإنابة يسلم الأمر إلى الله .

وفـــي الـــتوبة تسليم وفي التوبة توحيد وفي التوبة توكل على الله فيمتلئ القلـــب ســـكينة ، ثم إنها إذا تكررت ودامت انتهت بحب الله للعبد المكثر من التوبة ، وكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا نبي التوبة " معناها أنا النبـــي الذي أتيت راسماً للطريق الذي يسير بالإنسان في خطى منتظمة إلى اســـتخراج حظ الشيطان من قلبه ثم إلى امتلائه سكينة ثم إلى امتلائه حكمة ، ثم إلى حب الله سبحانه وتعالى لعبده التائب ، والله عز وجل من رحمته بعبده يفـــرح بتوبته إذا تاب وبأوبته إذا رجع وأناب إليه وهو الغني عن العالمين لا تـــنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العـــاصي عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط عن بعيره وقد أضله في أرض فلاة " وفي رواية لمسلم : " لله أشد فرحاً بـــتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليه طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها وقد أيس مـــن راحلته وبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من رشـــده الفرح اللهم أنت عبدي وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح " من يتأمل هذا الحديـــث يتبين مقدار حب الله توبة عباده وشفقته عليـــهم وعفوه عنهم ، إنه سبحانه يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، ويفرح سبحانه إذا تاب أحدهم واستغفر .

فهـــذا هو رب العالمين هو الغني الحميد يقبل توبة التائب بل ويفرح بها فحـــري بالمسلم أن يتعامل مع إخوانه المسلمين بالصفح والعفو وقبول العذر والشـــفقة والـــرحمة فإذا وقع من مسلم خطأ أو تجاوز فاعترف به وتاب منه فحـــري بأخـــيه المســـلم أن يقبل هذا ويصفح حتى تدوم أخوة الإسلام ويسلم المجـــتمع مـــن التصدع وتكون النفوس طيبة والقلوب سليمة من الحقد والغل والكراهـــية ويستفاد من هذا الحديث أن الله عز وجل قد رفع الحرج عن أمة محمـــد فـــلا يؤاخذوا بالخطأ ولا بالنسيان ولا بالإكراه فقال صلى الله علـــيه وســـلم : " رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وماستكرهوا عليه " ، وقال سبحانه وتعـــالى فـــي الدعاء الذي علمه لأمة محمد : (ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا) فمن هذا المنطلق ينبغي أن يكون تعامل المسلم مع أخيه المسلم فليس هناك إنسان معصوم من الخطأ وخير الخطائين التوابون ، ويقول الشاعر :

وليست بمستبق أخا لا تلومه

على شعث أي الرجال المهذب

فمـــن أراد أن يصاحب إنساناً لا يخطئ فإنه لا يجد إلى ذلك سبيلاً فعلى العـــاقل أن يقـــبل إخوانـــه على ما هم عليه ويتجاوز عن خطئهم ويعفو عن مسيئهم ولا يحرمهم من النصح والتوجيه والتسديد والإصلاح ، وعلى المسلم الـــذي يخطـــئ الـــرجوع عن الخطأ وعدم التمـــادي فيه فالرجوع إلى الحق فضـــيلة ، وقد رجع إلى الحق من هو أفضل منها ألا وهو عمر رضي الله عـــنه الـــذي كان يخطب في الناس وينهى عن التغالي في المهور فترد عليه امـــرأة وتقـــول : يا عمر أيعطينا الله بالقنطار وتعطينا بالدرهم ألم تسمع إلى قول الله عز وجل : (وإن آتيتهم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهـــتاناً وإثماً مبيناً) ، فقال : أصابت امرأة وأخطأ عمر . ولكن هذا الرجوع

يرتــبط ارتباطاً وثيقاً بقوة إيمان العبد وعدم حبه للظهور وتماديه في الباطل لأن هذا المسلم قد عرف أن الحكمة ضالة المؤمن إذا وجدها فهو أحق بها ، فــالإقلاع عــن الخطــأ والرجوع إلى الصواب والتوبة من الذنب من أخص صفات المؤمن .

اللهــم إنــا نسألك أن تلهمنا رشدنا وأن تبصرنا بعيوبنا وأن تجعلنا من عبادك التوابين وحزبك المقربين وأن تجعلنا ممن يستمع القول ويتبع أحسنه .

اليقين والتسليم من أسباب تقوية الإيمان :-

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

فـــإن اليقين بالله والتوكل عليه يجعل المؤمن راضي النفس مطمئن البال مـــتزن الشخصـــية ، يعيش حياة أمن وتوافق مع نفسه فيرضى ويسلم بعكس الكافـــر الـــذي لا يعيش هذه الحياة السعيدة فيسخط ويتألم ويتضجر ويشتكي فيعـــيش حالة قلق واضطراب قد يعقبها الموت والانتحار ويذهب إلى الهاوية وبـــئس القرار ، قال تعالى وهو يصف المؤمنين عند الشدة والكرب : (ولما رأي المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله ومـــا زادهـــم إلا إيماناً وتسليماً) ، إنه حـــال المؤمن عند الشدائد والكربات وفي حال الفرح والسرور ، قوة اتصال بالله وقوة يقين به وتوكل عليه ، قال تعالى : (الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقـــالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتـــبعوا رضـــوان الله والله ذو فضل عظيم) إنها النتيجة السارة التي يصل إليها المؤمن بقوة يقينه وكمال تسليمه وفي ذلك زيادة الإيمان وفي ذلك الأمن والطمأنيـــنة فالله عز وجل هو كافٍ من توكل عليه وهو المعين لمن استعانه وهـــو سند من توكل عليه وكافيه : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بـــالغ أمـــره قـــد جعل الله لكل شيء قدراً) إن التوكل من صفات المؤمنين الأتقـــياء الصالحين قلوبهم وجله وأبصارهم خاشعة وإذا سمعوا آياته ازدادوا بســـماعهم لها إيماناً ، قال تعالى : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهـــم وإذا تليـــت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) ، إن في

مثل هذه الآيات تربية إيمانية عميقة ، لقد ربى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم وكان يعتني بهذا الجانب من جوانب التربية عـــناية فائقة ويؤكد على ذلك بالتربية من خلال المواقف والأحداث ويستثير انتـــباه الصـــحابة رضـــوان الله عليهم ويلفت حسهم إلى هذا اللون من ألوان التربية ويستثير وجدانهم ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صـــلى الله عليه وسلم : " عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد إذ رفع لي سواد عظيم فظننـــت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فـــإذا ســـواد عظيم فقيل انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزلـــه فخـــاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقـــال بعضـــهم فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضـــهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً ، وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما الذي تخوضون فيه ؟ فأخبروه . فقال : هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يـــتوكلون . فقام عكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : أنت منهم . ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم . فقال : سبقك بها عكاشة " متفق عليه .

إن هـــذه البشارة التي يبشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بـــل وأمـــته جميعاً قد أوضحت أهمية التوكل على الله والاعتماد عليه وترك الأسباب غير المشروعة بل والبعد عنها ، والأخذ بالأسباب المشروعة وعدم الاعـــتماد والركون إليها ، بل ينبغي للمؤمن أن يعتمد على الله ويتوكل عليه

فإن من توكل على الله كفاه ، وفي هذا الحديث بيان بأن الداعية إلى الله عليه أن يسلك مسلك الأنبياء في الدعوة إلى دينه محتسباً أجره عند الله معتمداً في جميع حركاته وأقواله وأفعاله وأقواله على الله ، فعليه أن يعمل ونتيجة عمله هي بتوفيق الله عز وجل ، فبعض الأنبياء قضى في الدعوة إلى الله حقبة من الزمـــن فما يأتي يوم القيامة إلا ومعه الرهيط والبعض معه الرجل والرجلان وبعضهم يأتي وليس معه أحد . فليس معنى هذا أن هؤلاء الأنبياء قد قصروا في تبليغ دعوتهم ولكن ما أراد الله أن يستجيب لدعوتهم إلا هذا العدد أو قد لا يتـــبعهم أحد فما نستفيده في مجال الدعوة إلى الله هو حمل الدين إلى الناس عامـــة دون الـــنظر إلى النـــتائج وثمار الجهود فهذا أمر موكول إلى الله عز وجل .

كمـــا نستفيد من هذا الحديث من أن المعلم والمربي ينبغي له في عرض المعلومـــة أن يســـتثير انتـــباه طلابه إليها ويوجه عقولهم وأرواحهم ويهيئهم لســـماع المعلومة والشوق إليها فهذا تثبيت للمعلومات ويستفيد التلاميذ ويحقق المعلـــم أهدافـــه التربوية ، فالرسول عليه الصلاة والسلام عندما ذكر لهم من أمـــته سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب أنهى درسه التربوي ونهـــض فدخـــل منزله وأخذ الناس يخوضون في الذين يدخلون الجنة بغير حســـاب وتضاربت الآراء حوله فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقـــال ما الذي تخوضون فيه ؟ فأخبروه . فعندما لحظ أن أذهانهم وأفئدتهم قد تهيأت لسماع العلم قال لهم : " هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون " ففهموا الدرس واستوعبوه من معلمهم ومربيهم صلوات ربي وسلامه عليه .

فوائد التقوى ومكانتها من الإيمان :-

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

فإن الإسلام قد أوضح علاقات المسلم وبين كيفية تعامله مع ربه سبحانه وتعـــالى ومـــع نفسه ومع الناس ، وباستطلاع السنة النبوية نجد هذا واضحاً جلـــــياً ، عن أبي ذر رضي الله عنه وأبي عبدالرحمن معاذ بن جبل رضي الله عـــنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن " رواه الترمذي .

هـــذه وصـــية رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه ولمعاذ بن جبل رضي الله عنه وقد ورد من طرق متعددة أنه أوصى كلاً من هذيـــن الصـــحابيين بتقوى الله عز وجل ، ومن هذه الطرق ما خرجه الإمام أحمـــد من حديث دراج عن أبي الهيثم أبي ذر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : " أصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيتك وإذا أسأت فأحسن ولا تسألن أحداً عن شيء وإن سقط سوطك ، ولا تقبض أمانة ولا تقضي بين اثنين " ومن هذه الطرق ما خرجه ابن عبدالبر بإسناد فيه نظر عن أنس قال بعـــث النبـــي صلى الله عليه وسلم معاذاً إلى اليمن فقال : " يا معاذ اتق الله وخالق الناس بخلق حسن وإذا عملت سيئة فاتبعها حسنة " قلت : يا رســـول الله ، لا إله إلا الله من الحسنات ؟ قال : " هي من أكبر الحسنات " ، وهاتان الوصيتان من جملة وصاياه التربوية التي كان يوصي بها أصحابه بل وأمته جمـــيعاً وبالنظر لهاتين الوصيتين والتأمل فيهما نجد أن تقوى الله سر السعادة

فـــي الداريـــن وأن تقوى الله عز وجل هي وصية الله لعباده ووصية الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميراً على سرية أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبمـــن معه من المسلمين خيراً ، ولما وعظ الناس قالوا له كأنها موعظة مـــودع فأوصنا ، قال : " أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة ... " ولقد كان الســـلف يـــرحمهم الله يتواصون بتقوى الله عز وجل ، فهذا أبو بكر الصديق يخطـــب الـــناس في أول خلافته بعد الحمد والثناء على الله ، أما بعد : فإني أوصـــيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهله وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعـــوا الإلحـــاف بالمسألة فإن الله عز وجل أثنى على زكريا وأهل بيته فقـــال : (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين) ولما عهد بالخلافة إلى عمر رضي الله عنه أوصاه بتقوى الله وأول ما قاله له : " اتق الله يا عمر " ، وكتب عمر إلى ابنه عبدالله ، أما بعد : فإني أوصيك بتقوى الله عز وجل فإنه من اتقاه وقاه ومن أقرضه جزاه ومن شكره زاده واجعل التقوى نصب عينيك وجلاء قلبك ، واستعمل علي رضي الله عنه رجـــلاً على سرية فقال لـــه : أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي لابد لك من لقائـــه ولا منـــتهى لـــك من دونه وهو يملك الدنيا والآخرة . وكتب عمر بن عـــبدالعزيز إلى رجل فقال لـــه : أوصيك بتقوى الله عز وجل الذي لا يقبل غـــيرها ولا يـــرحم إلا أهلهـــا ولا يثيب إلا عليها ، فإن الواعظين بها كثر والعامليـــن بها قليل – جعلنا الله وإياك من المتقين – . وقال رجل ليونس بن عبـــيد أوصـــني فقال : أوصيك بتقوى الله والإحسان فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .

وكتب رجل من السلف إلى أخ له : [أوصيك بتقوى الله فإنها من أكرم ما أسررت وأزين ما أظهرت وأفضل ما ادخرت – أعاننا الله وإياك عليها وأوجب لنا ولك ثوابها – ، وأقوال السلف ووصاياهم في ذلك كثيرة لا يحدها الحصر . وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه وتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه .

ويدخل في التقوى الكاملة فعل الواجبات وترك المحرمات والشبهات وربما دخل فيها بعد ذلك فعل المندوبات وترك المكروهات وهي أعلى درجات التقوى .. فمكانة التقوى عظيمة ومنزلتها رفيعة فبتقوى الله تصلح النفوس وتهذب الأخلاق وتسعد المجتمعات بكونها تعيش حياة أمن وطمأنينة وسعادة واستقرار كيف لا !؟ والله تعالى يقول : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) ، وهذه هي المعية الخاصة التي تقتضى منه لعباده المؤمنين المحسنين المتقين النصر والتأييد الرعاية والحفظ والعون والسلامة فلا غرابة إذاً أن تكون التقوى هي وصية الله لعباده ووصية الأنبياء والمرسلين لأممهم ووصية خاتم الأنبياء والمرسلين لأمته وأن يتواصى بها السلف الصالح .

فيجب على المؤمن أن يجعل تقوى الله نصب عينيه وأن يلازم التقوى حيث ما كان فيفعل ما أمر به ويجتنب ما نهى عنه وإذا زلت به القدم فقلبه هواه والشيطان ونفسه الأمارة بالسوء وارتكب سيئة فليبادر بعدها مباشرة بفعل حسنة ماحية لها ، لأن الحسنات يذهبن السيئات ، قال صلى الله عليه

وسلم في هذه الوصية : " واتبع السيئة الحسنة تمحها " والحسنات كثيرة منها مـــا هو عمل اللسان كالذكر وقراءة القرآن ، ومنها ما هو عمل القلب والفكر بالخشـــية والـــتفكر والإنابـــة والإخبات ، ومنها ما هو عمل الجوارح كفعل الطاعات ، ومن أعظم الحسنات قول لا إله إلا الله كما جاء في حديث أبي ذر الذي ذكرناه آنفاً ، قلت : يا رسول الله أمن الحسنات لا إله إلا الله ؟ قـــال : " هـــي أحســـن الحســـنات " ، وقال صلى الله عليه وسلم : " خير ما قلت أنا والنبـــيون مـــن قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه لـــه الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير " ومن مقتضيات التقوى حسن الخلق ، وحسن الخلق قـــد ورد فـــي وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " وخالق الناس بخلـــق حســـن " ، وقد أوصى في أحاديث أخر ببشاشة الوجه وجعل ذلك من الصـــدقات فقـــال : " وأن تلقـــى أخاك بوجه طليق " ، وبين أن أقرب الناس مجلســـاً منه يوم القيامة أحاسنهم أخلاقاً ، وبحسن الخلق يستفيد الإنسان أجراً ومـــثوبة مـــن الله وثناءً حسناً من الناس وعلاقات اجتماعية طيبة ، فالعاقل الحصيف هو الذي يكسب ود الناس وصداقتهم والأحمق الأرعن هو الذي يفقد محبـــتهم وأخوتهم ، ولو فكر الإنسان قليلاً لعلم علم اليقين أنه لا غنى له عن إخوانـــه المؤمنين فإنه إن لم يكن بهم لم يكن بغيرهم وأن لم يكونوا به كانوا بغيره ، فلا أرزاقهم ولا أعمارهم بيده .

هذه الوصية مع قصرها هي وصية شاملة عامة تنظم علاقة هذا الإنسان بـــربه وتبنـــي إيمـــانـــه على تقوى من الله وطاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهـــيه ، فـــإذا بنى هذا الإيمان على التقوى عاش هذا الإنسان حاله توافق وتـــوازن فعاش سعيداً ورحل حميداً واستفاد دنيا وأخرى وهذا غاية الانتظام والـــتوازن بينه وبين نفسه حتى في حالة تغلب ضعفه البشري عليه فإنه يجد

في هذه الوصية ضمان لخط الرجعة وأسلوباً صحيحاً لمعالجة الخطأ فإذا فعل سيئة اتبعها حسنة لتقوم بمحو إثمها وأثر ضررها .

كمـــا أن هـــذه الوصية قد أوضحت كيفية إقامة العلاقات الاجتماعية في المجـــتمع المؤمـــن وأنهـــا مبنية على حسن الخلق فإذا تحسنت الأخلاق في المجتمع اشتد بناؤه وتماسكت أعضاؤه .

نســـأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يكسبنا تقواه وأن يستعملنا في طاعته وأن يحسن أخلاقنا ويعذنا شر شرور أنفسنا .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

من وسائل تعميق الإيمان النظر في آيات الله الكونية :-

الحمـــد لله والصـــلاة والســـلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

فـــإن الإيمـــان بالله عز وجل يفئ الأمن والطمأنينة على النفس وينشرح بذلك الصدر ويطمئن القلب وإن التفكر في آيات الله المشاهدة على صفحة هذا الوجـــود يـــزيد الإيمـــان قـــوة فدلائل القدرة الإلهية واضحة في هذه الآيات المشـــاهدة ، قـــال تعـــالى : (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصـــرون) ، إن خلق هذا الإنسان لهو أعظم دليل على قدرة الخالق سبحانه وتعـــالى فمن تأمل في خلقه وما ركب الله فيه من أعضاء وما حباه من عقل وإدراك ومـــا زوده بـــه من مشاعر وأحاسيس وما أودع فيه من غرائز فإنه سيعود إلى من نخلقه وأوجده ويرجع إليه ويعترف بفضله يقول ابن القيم وهو يخاطب هذا الإنسان : تأمل أعضاءك وتقدير كل عضو منها ، فالبدن للعلاج والبطش والأخذ والإعطاء والمحاسبة والدفع ، والرجلان لحمل البدن والسعي والـــركوب وانتصـــاب القامة ، والعينان للاهتداء والجمال والزينة والملاحة ورؤيـــة ما في السموات والأرض وعجائبهما ، والفم للغذاء والكلام والجمال وغـــير ذلك ، والأنف للنفس وإخراج فضلات الدماغ وزينة للوجه ، واللسان للبـــيان والترجمة ، والأذنان صاحبتا الأخبار تؤديانها إليك واللسان يبلغ عنك والمعـــدة خـــزانة يستقر فيها الغذاء تنضجه وتطبخه وتصلحه إصلاحاً آخر وطبخاً آخر غير الإصلاح والطبخ الذي توليته أنت من الخارج ، فأنت تعاني إنضـــاجه وطبخه وإصلاحه حتى تظن أنه قد كمل وأنه قد استغنى عن طبخ

آخـــر وانضاج آخر وطباخة الداخل ونضجه يعاني من نضجه وطبخه ما لا تهـــتدي إليه ولا تقدر عليه فهو يوقد عليه نيراناً تذيب الحصى وتذيب ما لا تذيبه النار وهي في ألطف موضع منك لا تحرقك ولا تلتهب وهي أشد حرارة مـــن النار وإلا فما يذيب هذه الأطعمة الغليظة الشديدة جداً حتى يجعلها ماء ذائـــباً وجعل الكبد للتخلص وأخذ صفوة الغذاء وألطفه ثم رتب منها مجاري وطـــريقاً يسوق بها الغذاء إلى كل عضو وعظم وعصب ولحم وشعر وظفر وجعل المنازل والأبواب لإدخال ما ينفعك وإخراج ما يضرك وجعل الأوعية المخـــتلفة خزائن تحفظ مادة حياتك فهذه خزانة للطعام وهذه خزانة للحرارة وهـــذه خزائن للدم وجعل منها خزائن مؤديات لئلا تختلط بالخزائن الأخر . فجعـــل خزائـــن للمـــرة الســـوداء ، وأخرى للمرة الصفراء ، وأخرى للبول وأخرى للمني ، فتأمل حال الطعام ووصوله إلى المعدة وكيف يسري منها في الـــبدن فإنـــه إذا استقر فيها اشتملت عليه فتطبخه وتجيد صنعته ثم نبعثه إلى الكـــبد فـــي مجـــار دقاق وقد جعل بين الكبد وبين تلك المجاري غشاء رقيقاً كالمصـــفاة الضيقة تصفيه فلا يصل إلى الكبد شيء غليظ خشن فينكاؤها لأن الكبد رقيقة لا تحمل الغليظ ، فإذا قبلته الكبد أنفذته إلى البدن كله في مجار له مهـــيأة له بمنزلة المجاري المعدة للماء ليسلك في الأرض فيعمها بالسقي ، ثم يبعـــث ما بقي من الخبث والفضول إلى مغايض ومصارف قد أعدت لها فما كان من مرة صفراء بعثت به إلى المرارة وما كان من مرة سوداء بعثت به إلـــى الطحال وما كان من الرطوبة المائية بعثت به إلى المثانة فمن ذا الذي تولى ذلك كله وأحكمه ودبره وقدره أحسن تقدير ... انتهى كلامه .

لا شكل أنه الله الخالق سبحانه وتعالى الذي قدر فهدى (الذي أعطى كل شـــيء خلقه ثم هدى) فتبارك الله أحسن الخالقين ، فدلائل قدرته واضحة في

خلق هذا الإنسان لمن تأملها بعين البصيرة وأمعن النظر بعيداً عن المؤثرات التي تؤثر على فكره وعقله ونظرته السليمة فيعزو الخلق والتدبير لله سبحانه وتعالى أما إن وجدت مؤثرات على فكره وعقله وفطرته فإنه لن يعزو الخلق إلـــى الخـــالق بـــل سيعزو ذلك إلى الطبيعة فالملاحدة لا يؤمنون بوجود الله فمـــبدأهم يقـــول [لا إلـــه والحياة مادة وما هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلغ ويعزون الخلق إلى الطبيعة وأنها تخلق كل شيء] هذا الصنف من البشر لم يتواجدوا في هذا العصر فقط بل هم موجودون في عصر ابن القيم وما قبله ، لأن وجـــود الحق يتزامن مع وجود الباطل وما بعد الحق إلا الضلال ، فابن القـــيم رحمه الله بعد أن عدد أعضاء هذا الإنسان وبين وظيفة كل عضو أخذ يـــرد علـــى الملاحـــدة الذين يعزون الخلق إلى الطبيعة فيقول وكأن بك أيها المسكين تقول هذا كله من فعل الطبيعة وفي الطبيعة عجائب وأسرار .

فلـــو أراد الله أن يهديـــك لســـألت نفسك بنفسك وقلت أخبريني عن هذه الطبـــيعة أهـــي ذات قائمة بنفسها لها علم وقدرة على هذه الأفعال العجيبة أم ليســـت كذلك بل عرض ، وصفة قائمة بالمطبوع تابعة له محمولة فيه ، فإن قالـــت لك بل هي ذات قائمة بنفسها لها العلم التام والقدرة والإرادة والحكمة فقـــل لهـــا هذا هو الخالق البارئ المصور فلم تسميته طبيعة ، وبالله من ذكر الطـــبائع ومـــن يرغـــب فيها فهلا سميته بما سمى به نفسه على ألسن رسله ودخلـــت في جملة العقلاء والسعداء فإن هذا الذي وصفت به الطبيعة صفته تعـــالى ، وإن قالت لك بل الطبيعة عرض محمول مفتقر إلى حامل وهذا كله فعلها بغير علم منها بلا أراده ولا قدره ولا شعور أصلاً وقد شوهد من آثارها مـــا شـــوهد فقلها هذا ما لا يصدقه ذو عقل سليم ، كيف تصدر هذه الأفعال العجيـــبة والحكـــم الدقيقة التي تعجز عقول العقلاء عن معرفتها وعن القدرة

عليها ممن لا عقل له ولا قدرة ولا حكمة ولا شعور وهل التصديق بمثل هذا إلا دخول في سلك المجانين والمبرسمين ثم قل لها بعد ولو ثبت لك ما ادعيت فمعلـــوم أن مثل هذه الصـــفة ليست بخالـــقه لنفسها ولا مبدعة لذاتها .. فمن ربها ؟ ومبدعها ؟ وخالقها ؟ ومن طبعها وجعلها تعقل ذلك ؟ فهي إذاً من أدل الدلائل على بارئها وفاطرها وكمال قدرته وعلمه وحكمته .. وقل هذا هو الله الخـــالق الـــبارئ المصـــور رب العالمين وقيوم السموات والأرضين ورب المشـــــارق والمغـــارب الذي أحسن كل شيء خلقه وأتقن ما صنع . انتهى كلامه .

المؤمن دائم على عبادة الله حال السراء والضراء :-

الحمـــد لله رب العالميـــن الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم الواحد الأحـــد الفـــرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن لـــه كفواً أحد ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبدالله صلاة وسلاماً دائمين ما دامت السموات والأرض .. أما بعد :

إن أنواع العبودية متعددة فعبادة باللسان وعبادة بالقلب وعبادة بالجوارح ولا يكـــتمل الإيمـــان إلا إذا كـــان قـــولاً باللسان واعتقاداً بالجنان ، وعملاً بالأركان ، وهذه الأنواع من العبودية لها وسائل وأسباب تجلبها فمنها شعور العـــبد بأنـــه مذنب ووجله من عواقب هذا الذنب فهذا الوجل والإشفاق يجعله فاراً إلى الله ومتوجهاً إليه ، يقول ابن القيم : وربما ذنب قد هاج لصاحبه من الخوف والإشفاق والإنابة والمحبة والإيثار والفرار إلى الله ما لا يهيجه لـــه كثير من الطاعات ولا يعني هذا أنه يدعو إلى ارتكاب الذنوب والمعاصي بل أراد توضـــيح حـــال الإنسان وأنه يعيش بين نعمة تتطلب منه الشكر وذنب يحتاج معه إلى عفو الله ومغفرته بالتوبة النصوح والإنابة الصالحة ، فالتوبة والاستغفار لهما فوائد عظيمة ، إنهما يفيئان من القلب أمناً وطمأنينة وسعادة عظمى لا يعدلها شيء ، فالتوبة تزيل عن القلب ما قد يعلق به من الهواجس والشـــكوك والظنون ، وتمحو من الجوارح أثر ما قد يكتسبه العبد ، وقد ثبت لدى علماء النفس والطب النفسي أو الصحة النفسية أن التوبة تشفي من كثير مـــن الأزمات والأمراض النفسية ، لأنها تعين على إعادة تكيف الإنسان مع نفســـه ومع مبادئه ، ومُثُله ، ومع مجتمعه القائم على المثل الأعلى الذي هو

عـــبادة الله فـــي الـــنظام الإسلامي ، ومراقبته كما أنها تربي المجتمع على التسامح بين أفراده .

إن العـــبادة في الإسلام تربي النفس المسلمة على العزة والكرامة وإباء الضـــيم ، والاعـــتزاز بالله فهو وحده بيده رقاب الجبابرة يقصمهم متى شاء وبـــيده الموت والحياة والرزق ، والملك ، والجاه والسلطان ، وتربي العبادة عـــند المسلم قدراً من الفضائل الثابتة المطلقة لا تقف عند حدود الأرض أو القـــوم أو المصلحة القومية ، لكنها تعم التعامل مع البشرية جمعاء ، فالمسلم هـــو المســـلم بأخلاقه وإنسانيته أني سار وحيثما حل ، لأن ربه واحد يراقبه حيث ما كان أما غير المسلم وهو الذي تربي على تربية غير إسلامية ، فإنه قـــد لا يسرق ولا يكذب ولا يغش ولا يقتل ولا يغتصب ولكن ذلك كله يكون منه في حدود وطنه وبلاده ولمصلحة قومه وعشيرته أما إذا انتقل إلى خارج حدود بلده بعيداً عن الوثن الذي ربي على عبادته وقامت تربيته على أساسه ، فهاهنا تظهر أخلاقه الشرسة وأنانيته البغيضة فيكون جشعاً يسعى إلى الغش والخداع ، وربما قتل الناس ونهب أموالهم وخيراتهم ، فهو بكل ذلك مواطن صـــالح لـــبلده ، إن هـــذا أوضح مثال على الفارق الكبير بين منهج التربية الإسلامية ومناهج التربية غير الإسلامية ، وفي هذا أوضح دليل على عظمة مـــنهج الإســـلام التربوي حيث يقيمه الإسلام على أساس عبادة الله بمعناها الواســـع الشـــامل وعلـــى أساس الصلة الدائمة بالله ، لا على أساس الأمور الوضعية البشرية ، والتربية على أساس العبادة تزود الإنسان بشحنات متتالية من القوة المستمدة من قوة الله والثقة بالنفس المستمدة من الثقة بالله ، والأمل بالمستقبل المستمد من الأمل بنصر الله وثواب الجنة والوعي والنور المستمد

مـــن نور الله ، هذه الشحنات التي تدفع المسلم دائماً إلى الأمام وتهبه القدرة المستمرة على الدأب والجهد وتقديم كل طاقاته حية منتجة واعية مثمرة .

والإســـلام يحـــرص حرصاً شديداً على استمرار هذه الشحنة الحية التي تعبئ القلب وتنير له الطريق في أصعب الظروف وأحلكها ينهض من كبوته كـــل مـــا تعثر ويستنير بنور العبادة والصلة بالله كلما أظلم ما حوله ، حتى يقصد عبادة الله في كل أعماله ومعاملته وقضاء مآربه .

والعبد لا ينفك عن العبودية لله في جميع أحواله ، في السراء والضراء ، المنشط والمكره ، يقول ابن القيم : لله تعالى على العبد عبودية في الضراء ، كمـــا له عـــبودية في السراء وله عبودية عليه فيما يكره كما له عبودية عليه فـــيما يحب ، وأصل هذا الحديث الصحيح الذي رواه مسلم عن صهيب قال صـــلى الله عليه وسلم : " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صـــبر فكان خيراً له " والناس يمكن تصنيفهم إلى قسمين ، منهم من يعبد الله حـــال الرخاء دون الشدة ، ومنهم من يعبده حال الشدة والرخاء وعند المكاره والمحـــاب ، وهـــؤلاء أكمـــل الـــناس عبودية ، أما من حيث العبودية فهي عبوديـــتان ، عبودية عامة يشترك فيها جميع العباد ، وأخرى خاصة يمليها حـــال العبد وطبيعة حياته ، ونوع مسؤوليته ، إلى العبودية العامة والعبودية الخاصـــة فيقول عنها ابن القيم : [فعلى العالم من عبودية نشر السنة والعلم الـــذي بعـــث الله به رسوله ، ما ليس على الجاهل وعليه من عبودية الصبر علـــى ذلك ما ليس على غيره ، وعلى الحاكم من عبودية إقامة الحق وتنفيذه وإلـــزامه مـــن هـــو عليه به ، والصبر على ذلك والجهاد عليه ما ليس على

المفتـــي ، وعلـــى الغني من عبودية أداء الحقوق التي في ماله ما ليس على الفقير] .

إن مـــنهج الإســـلام صريح في شمول العبادة لكل نشاط هذا الإنسان إذا توجـــه القلـــب بـــه إلى الله ، قال تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشـــرف والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبييـــن وآت المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآت الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذي صدقوا وأولئك هم المتقون) .

من ثمار التربية الإيمانية :-

الحمـــــد لله والصـــلاة والســـلام على رسول الله وآله وصحـــبه ومن والاه .. أما بعد :

فإن من جوانب التربية الإسلامية الجانب الإيماني والتربية الإيمانية هامة وخطـــيرة فـــي بـــناء المجتمع وأمنه واستقراره فإذا أراد المجتمع حياة آمنة مســـتقرة فعلـــيه أن يهتم بتربية الأفراد على الإيمان وإذا ربوا على الإيمان حوربـــت الجريمة وأصبحت طاعة الله منتشرة بين أفراده من أجل هذا اهتم الرســـول عليه الصلاة والسلام بتربية أصحابه رضوان الله عليهم في الفترة المكية وما بعدها على الإيمان بالله ومراقبته في السر والعلن قالت أم المؤمنين عائشـــة رضـــي الله عنها بأن أول ما نزل من القرآن سور من المفصل فيها ذكـــر الجـــنة والنار حتى إذا أفاء الناس إلى الإيمان نزل الحرام والحلال من ذلـــك نعلم أن الذي نربيه على الإيمان نجعله مؤهلاً لتحمل أمانة التكاليف ، قـــال تعالى : (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً) ، وبهذه التربية تحارب الجريمة وينحر الفساد ، فإن المصلحين يسعون إلى محاربة الجريمة ودحـــرها ويســـلكون في ذلك طرقاً متعددة وأساليب متنوعة ويبذلون جهوداً مضـــنية ، ولكن الجريمة لا تزال موجودة ولا تزال منتشـــرة حتى في أعظم المجـــتمعات تقدماً ، لكننا بإلقاء نظرة على المجتمع النبوي نلحظ أنه مجتمع مثالي فريد في تاريخ البشرية ، لذا فعلى المسؤولين في المجتمعات التي تنشد الأمن والطمأنينة والعز والرخاء أن يهتموا بأمرين أساسيين الأول منهما بناء

الإيمـــان فـــي الـــنفوس ، وغـــرس مراقـــبة الله في الضمير والثاني توفير الضـــروريات للأفـــراد ، فالذي يربى على الإيمان لا يزني وهو يعرف حكم الزنا ولا يسرق وهو يعرف حكم السرقة وما تجلبه من أضرار ، ولا يشرب الخمـــر وهـــو يعرف أنها أم الخبائث ، قال صلى الله عليه وسلم : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن " .

إن قضية الإيمان وبناء العقيدة في النفوس قضية هامة وخطيرة ولقد كان الوحـــي يـــنزل علـــى الرسول صلى الله عليه وسلم يتحدث عن هذه القضية ويســـلك فـــي ذلـــك وسائل متعددة من التذكير بقدرة الله العظيمة في الأنفس والآفـــاق ، ومـــن التذكير باليوم الآخر والبعث والنشور ويذكر قصص الأمم الســـابقة وما حصل لهم بتكذيب أنبيائهم من هلاك ودمار ، وبالتذكير بظاهرة الموت والحياة ، كل ذلك ليقوي إيمان هؤلاء الصحب ، فيكون كل واحد منهم رقيباً على نفسه محاسباً لها ، لأنه يستشعر رؤية الله له على كل أحواله ، قال تعالى : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا) ، وقال تعالى : (يعلم خائـــنة الأعيـــن وما تخفي الصدور) ، وهذه القضية الهامة والخطيرة مكث الوحي طوال الفترة المكية يتحدث عنها ، ثم بعد الهجرة وفي الفترة المدنية لم يغفلهـــا الوحـــي ولـــم يقلـــل مـــن شأنها بل لقد كانت أساس جميع الأحكام والتشريعات فمثلاً ، عند فرضية الصـــوم استمعوا للحق سبحانه وهو يقول : (يـــا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تـــتقون) فخاطـــب المكلفين بهذه الفريضة منادياً لهم بوصف الإيمان ، كما نســـتمع إليه سبحانه عند تشريع القصاص وهو يقول : (ولكم في القصاص

حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون) والتقوى من الإيمان ، وعند ذكر حكم من الأحكـــام مـــن الأحكام أو فرض من الفروض أو معالجة قضية من القضايا يطالعنا بقضية الإيمان والعقيدة وهذا يعطينا الدليل القاطع على أهمية بناء هذا الجانب في الشخصية المسلمة ، لأن الإسلام يسعى لإيجاد الرقابة داخل النفس البشـــرية ، ويوجـــد الضمير الحي ، والوجدان المتيقظ الذي يجعل مخافة الله والخشـــية مـــنه نصب العين ، ومتى تكونت هذه الشخصية بهذه المواصفات فإنها ستكون مؤهلة لتحمل الإسلام عقيدة وعملاً في ذات نفسها وتدعو الناس إلـــيه وتصير على الأذى في سبيـــله ، ولكن ما هو هذا الإيمان الذي نتحدث عنه ؟ وما هي التربية الإيمانية التي نقصدها ؟ .

والجـــواب على هذا هو أن الإيمان في اللغة التصديق ، فآمن به بمعنى صـــدقه ، ووثق به ، والإيمان بهذا هو الثقة وقبول الشريعة ، ولا يكفي في الإيمان قول اللسان فقط ولا تصديق القلب فقط ولا عمل الجوارح فقط بل هو قـــول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح ، ويقول ابن القيم : إن الإيمان قـــول وعمل ، والقول قول القلب واللسان ، والعمل عمل القلب والجوارح ، ونلاحظ أنه قد أشرك القلب مع اللسان في أعماله ومع الجوارح في وظيفتها ، وهـــذا يدل على أهمية القلب الذي قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديـــث الصحيح : " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فســـدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " ولا يستكمل الإيمان إلا بأربعة أمـــور وهي الحب والبغض ، والعطاء والمنع ، فإذا كانت لله وفي الله ، فإن الإيمـــان في درجة عالية من الكمال ، وإذا نقص شيء منها بأن صرف لغير الله ، فـــإن الإيمـــــان يـــنقص بنقصها ، وهو يقول في ذلك : [الإيمان علم وعمـــل ، والعمل ثمرة العلم وهو نوعان : عمل القلب حباً وبغضاً ، ويترتب

علـــيهما عمـــل الجوارح فعلاً وتركاً ، وهما العطاء والمنع ، فإذا كانت هذه الأربعـــة لله تعالى كان صاحبها مستكمل الإيمان ، وما نقص منها فكان لغير الله نقص من إيمانه بحسبه] من هذا نستطيع أن نقول إن الحب والبغض وما يترتـــب عليهما من الفعل والترك ينبغي أن يوجههم العبد إلى الله عز وجل ، وعمل القلب مهم جداً بالنسبة إلى البناء الإيماني ، فإذا أزال تصديق القلب لم تـــنفع الأعمال والأقوال صاحبها بل قد تكون سبباً في هلاكه وشقاوته ودليل ذلـــك إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ، مع نطقهم بالشهادتين وأدائهم لكثير من العبادات ، إذن لابد من عمل القلب وعمل الجوارح وإن نتوجه بكل هذه الأعمال إلى الله عز وجل رغبة في رضاه ، وخوفاً من عقابه .

اللهـــم إنا نسألك إيماناً صادقاً ، وعملاً صالحاً ، وقولاً صواباً .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ودورها في بناء الإيمان :-

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

فقد أمرنا الله عز وجل بالصلاة والسلام على رسولنا الأمين صلى الله عليه وسلم ، فقد قال سبحانه وتعالى : (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً) وفي الصلاة والسلام عليه أجر عظيم ، وقد بين هذا الأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً " رواه مسلم . وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " أولى الناس بي يوم أكثرهم علي صلاة " رواه مسلم . وقد ورد أن في يوم الجمعة ينبغي الإكثار من الصلاة عليه ، فعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فأكثروا علي من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة علي " فقالوا : يا رسول الله ، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت أي صرت رميماً ، قال : " إن الله حرم على الأرض أجساد الأنبياء " فالصلاة على النبي شأنها عظيم وأجرها كبير ومن حقه علينا عليه الصلاة والسلام أن نصلي عليه إذا ذكر اسمه ومن لم يصل عليه عند ذكر اسمه فهو البخيل كما جاء عنه عليه الصلاة والسلام حيث قال : " أتدرون من البخيل ، البخيل من إذا ذكرت عنده ولم يصل علي " ، وقد دعا على من لم يصل عليه عند ذكر اسمه ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم : " رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي " رواه الترمذي وقـــال حديث حسن . ومن رحمة الله عز وجل بهذه الأمة أن فتح لها أبواب الخـــير ووسع لها طرق البر والخير فالمسلم حيث كان ، وفي أي زمان كان وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن صلاته تبلغ النبي صلى الله عليه وسلم ، فينال بذلك الأجر والمثوبة ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم : " لا تجعلوا قبري عيداً وصلوا عليّ فإن صـــلاتكم تبلغني حيث كنتم " رواه أبو داود بإسناد صحيح . وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ما من أحد يسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حـــتى أرد عليه السلام " رواه أبو داود بإسناد صحيح . إنه لأجر عظيم في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فـــيا أخـــي المسلم أكثر من الصلاة والسلام على رسولك وحبيبك فإنك ســـتنال بالصلاة والسلام عليه مرة واحدة إن الله يصلي عليك عشر مرات ، وصـــلاتك وســـلامك على رسولك الحبيب تبلغه فيرد عليك فهذا فضل عظيم وأجـــر كبير ، فأكثر من الصلاة والسلام عليه عند قعودك وقيامك وصعودك ونـــزولك وركونـــك ســـيارتك وترجلك ففي الصلاة والسلام عليه أجر كبير ومـــثوبة عظمـــى لا تحرم نفسك منها ، وإن الصلاة والسلام على رسول الله هي من أهم فواتح الدعاء ، فإذا توجهت أيها العبد إلى ربك بالدعاء ، فاحمده وأثنـــي عليه بما هو أهله وصلي وسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه ممن يستجاب لك ، وقد علم رسول الله أصحابه آداب الدعاء ، وهذا من حرصه عليهم وتعليمهم كل خير وقد سمع مرة رجلاً يدعو ولم يحمد الله ولم يصـــل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فنبه أصحابه والأئمة من بعدهم كـــيف يكون الدعاء الصحيح فعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال : سمع

رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاته لم يحمد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل هذا أو لغيره : " إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه سبحانه والثناء عليه ثم يصلي علـــى النبي صلى الله عليه وسلم ثم يدعو بما شاء " رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح .. ومعنى إذا صلى أحدكم إذا دعا .

ففـــي هـــذا الموقف التربوي جملة فوائد أن النبي صلى الله عليه وسلم عـــندما ســـمع دعـــاء هذا الرجل وأنه لم يشتمل على الحمد لله والثناء عليه والصـــلاة علـــى الرسول صلى الله عليه وسلم أنكر عليه فعله هذا فالرسول صـــلى الله عليه وسلم لا يقر على خطأ ، كما أنه عليه الصلاة والسلام جعل من هذا الموقف مناسبة تربوية يوجه من خلالها أصحابه رضوان الله عليهم ، ومـــن حضر هذا المجلس التربوي إلى كيفية الدعاء وشروط قبوله . فصحح الخطـــأ من جهة ، وعلم وربى من جهة أخرى وهذا ما يسمى عند التربويين بالتربـــية مـــن خلال المواقف ، فحري بك أيها المربي المسلم أن تستفيد من هديـــه صـــلى الله عليه وسلم وأساليب تربيته عليه الصلاة والسلام في أدائك لرســـالتك التربوية ، ومن الفوائد التربوية في هذا الموقف التربوي بيان لشدة حرصـــه علـــيه الصلاة والسلام على تعليم أمته سبل الخير والصلاح وهكذا المربي المسلم والداعية إلى الله حري به أن يكون شغله الشاغل وهمه الأعظم هـــو إرشاد الناس إلى الخير ، فمن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم فالناس بحاجـــة إلى من يوضح لهم كيف تكون العبادة الصحيحة وكيف يكون الذكر والدعـــاء ، وما هي الصفة الصحيحة للصلاة والسلام على رسول الله صلى الله علـــيه وسلم ، فعن أبي محمد كعب بن عجزه رضي الله عنه قال : خرج علينا النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا : يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك

فكـــيف نصلي عليك ؟ قال : " قولوا ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كمـــا صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد " متفق عليه .

التوجيه المسلكي :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

فـــإن الله تعـــالى الحكـــيم العلـــيم قد زود هذا الإنسان بقدرات ومواهب ومهـــارات وجعـــل الاخـــتلاف بيـــن بنـــي آدم في هذه المواهب والقدرات والمهـــارات واضحاً والاختلاف بينهم بيناً وأن من الحكمة التربوية اكتشاف هذه المواهب وهذه المهارات والقدرات وتوجيهها الوجهة الصالحة فينتفع بها صـــاحبها ويستفيد منها المجتمع وإن المربين المسلمين قد ألمحوا إلى هذا في توجـــيهاتهم الـــتربوية فهـــذا ابن القيم رحمه الله يوصي ولي أمر الطفل إلى اكتشـــاف هذه الاستعدادات لديه ثم توجيهها إلى وجهتها المناســـبة فيقـــول : [... ومـــا ينبغي أن يعتهد حال الصبي وما هو مستعد له من الأعمال ومهيأ له منها فيعلم أنه مخلوق له فلا يحمله على غيره ، فإنه إن حمله على غير ما هو مستعد له لم يفلح فيه ، وفاته ما هو مهيأ له ، فإن رآه حسن الفهم صحيح الإدراك جـــيد الحفظ واعياً ، فهذه من علامات قبوله وتهيئته للعلم لينقشه في لوح قلبه ما دام خالياً فإنه يتمكن فيه ويستقر ويزكو معه وإن رآه بخلاف ذلك مـــن كـــل وجه وهو مستعد للفروسية وأسبابها من الركوب والرمي واللعب بالـــرمح وأنـــه لا نفـــاذ له في العلم ولم يخلق له مكنه من أسباب الفروسية والتمرن عليها فإنه أنفع له وللمسلمين وإن رآه بخلاف ذلك وأنه لم يخلق لذلك ورأى عينه مفتوحة إلى صنعة من الصنائع مستعداً لها قابلاً لها وهي صناعة مباحة نافعة للناس فليمكنه منها ...] .

والمواهب التي زود الله بها الإنسان إذا لم تستثمر في الخير توجهت إلى الشر وإنما فطن إليه المربون المسلمون من استغلال هذه المواهب وتوجيهها الوجهـــة الصـــالحة أصله ومنبعه سيرة المربي الأعظم عليه أفضل الصلاة والســـلام الذي يكتشف بحكمته البالغة هذه المواهب ويوجهها توجيهه الرشيد إلـــى ما فيه الخير والصلاح وها نحن أمام موقف من مواقف الرسول صلى الله علـــيه وســـلم الـــتربوية التي يجسد لنا بها كيفية اكتشاف إحدى المواهب وتوظيفها ويبين أثرها في المجتمع الإسلامي .

ففـــي فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالاً أن يصعد فوق الكعبة ويؤذن ، فأذن بلال أول أذان وفي أثناء ذلك أخذ بعض مشركي قريش يســـتهزئون بصوت الحق ويقلدون صوت بلال غيظاً وحنقاً وكان من جملتهم أبـــو محذورة الجمحي واسمه سلمة بن معير وكان أحسنهم صوتاً ، فلما رفع صـــوته بالأذان مستهزئاً سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر به فمثل بيـــن يديه وهو يظن أنه مقتول فمسح على ناصيته وصدره بيده الشريفة قال أبـــو محـــذورة : فامـــتلأ قلبي إيماناً ويقيناً فعلمت أنه رسول الله فألقى عليه الرســـول صـــلى الله عليه وسلم الأذان وعلمه إياه وأمره أن يؤذن لأهل مكة وكان عمره ست عشرة سنة .

إن الداعـــية إلـــى الله ينبغي أن يخالط الناس ويحتك بهم ويعرف أدواء نفوســـهم ويعالجهـــا بحكمـــة ويصـــف لها العلاج بمقدرة ويكتشف مواهبهم ويرشدهم إلى ما فيه الخير والصلاح ، ولو نظرنا إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجدناه أنه نزل مع الناس فأكل معهم ومشى معهم وآسى معهم وجـــاهد معهم وعاد مريضهم ومشى في جنازة ميتهم ، وأيضاً اكتشف الكثير

من المواهب بنفسه ووجهها التوجيه السليم .. وخير مثال على ذلك قصة أبي محـــذورة هذه وهذا هو القيادي الناجح الذي يلتمس واقع المجتمع فلا ينعزل عـــنه ولا يعـــيش فـــي برج عاج فيستخرج من هذا المجتمع الثمرات الطيبة اليانعة . فلو أخذ بهذا التوجيه أي شيء بين مرؤسيه فينزل معهم ويعيش في مســـتواهم حتى تكتشف له المواهب بنفسه فيضعها في المكان اللائق بها ومع هـــذا يحذر المجاملة والمحاباة لصديق لـــه أو قريب فإن ذلك يوجد الضغينة والجســـد والتـــنافر بيـــن موظفيه فتنتشر بينهم الفتنة والتقاطع والتدابر ويكيد لـــبعض فيـــنعكس كل ذلك حساب الإنتاج في العمل .. فينبغي لرئيس الدائرة الوظيفـــية أن يقـــيم جســـراً من المحبة والإخاء بينه وبين موظفيه وأن يوجه الطاقـــات والمواهب فيهم لأماكنها المناسبة حتى يزيد معدل إنتاجهم وعطائهم في وظائفهم فيعود ذلك بفائدة عظيمة تقدم البلاد وازدهارها .

فالرســـول صلى الله عليه وسلم كان حبه لدعوته يجري في عروقه ولم يدخر وسعاً على عرض الدعوة على الأفراد والمجتمعات ، فهذا أبو محذورة حدث السن جميل الصوت سمعه يسخر ويستهزئ بشعيرة من شعائر الإسلام فأحضـــره وشـــمله برعايته وأحاطه بعطفه ومسح على ناصيته وصدره بيده الشريفة فامتلأ قلبه إيماناً وهدى ثم علمه الأذان بعد أن اعتنق الإسلام واستفاد من موهبته في إقامة شعيرة من شعائر الإسلام ، فيجب على المربين والدعاة وبخاصـــة مـــن يعيشون منهم في غير بلاد الإسلام أن يحرصوا على انتشال غـــير المســـلمين مـــن دياجـــير الظلمات ويهدوهم إلى نور الإسلام ومن ثم الاستفادة مما لديهم من خبرات ومواهب وتوظيفها لخدمة الإسلام والمسلمين .

إن للإيمان أثراً في النفس البشرية فهو يهز كيان هذا الإنسان ويستخرج مـــا لديـــه ويصـــبح بعد الإيمان شيئاً آخر فهو دين الفطرة ، ويوجد التوافق والـــتوازن والطمأنينة في النفس البشرية ويزيل الإحباط والقلق والاضطراب وهـــذا ما ينبغي للدعاة معرفته وما ينبغي للمربين الإلمام به فياحبذا لو ضمن فـــي الـــدورات التربوية دراسات في الحاجات العضوية وسيكلوجية التوافق ودراســـة بعـــض الأمراض النفسية كالإحباط والقلق والاضطرابات أسبابها وطرق علاجها للاستفادة من ذلك في معالجة النفوس واستخراج ما لديها من مواهب واستخدامها في الصالح العام .

لقد استخدم الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب مباشرة توظيف الموهبة فـــبعد أن اجتاز أبو محذورة مرحلة التعلم بنجاح وهي ما نطلق عليه الدورة التدريبية ، فاستطاع أن يتقن أداء الأذان وظفه الرسول عليه الصلاة والسلام مؤذنـــاً لأهل مكة وهنا درس للقادة والمربين بأن يباشروا إدخال من يمتلكون المواهـــب في دورات حتى تتنامى موهبتهم ثم يوظفونها مباشرة في الميدان العملـــي ، ولـــيحذروا تمام الحذر من الوساطة والمحسوبية في توظيف غير الموهوبين في الوظائف التي تكون للمصلحة العامة ، لأن هذا مضر بمسيرة العمل والإنتاج .

لقـــد رأيـــنا من قصة أبي محذورة أن عمره كان ستة عشر عاماً وهذا العمـــر فـــي وقتنا الحاضر يعادل عمر شاب في المرحلة الثانوية والســـؤال الآن : هل استفاد المعلمون والمربون من مواهب الكثير من الطلاب ممن هم فـــي هـــذا الســـن ؟ إن الجواب لا يحتاج إلى كثير عناء .. فهناك الكثير من

المواهب التي لم نستفد منها ولم نقم بتوجيهها الوجه الأتم الأكمل .. فلنراقب الله عز وجل ولنعلم علم اليقين أن أخطر ثقرة هي ثقرة التربية والتعليم .

نســـأل الله عـــز وجـــل أن يهيأ لنا من أمرنا رشده وأن يوفقنا لما يحب ويرضى .

التوجيه المسلكي :-

الحمـــد لله يهدي من يشاء إلى طريق الهداية ويوفق عباده بفضله بفعل الطاعات ، وعدهم بعونه ويكلأهم برعايته ، أحمده حمداً كثيراً وأشكره على نعمائه وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة محمد بن عبدالله الذي ما من خير إلا وقد دلنا عليه وما من شر إلا وقد حذرنا منه .. أما بعد :

فعبادة الليل من خصائصها أنها بإذن الله تحقق الإخلاص في العبادة لله ، لأن العبد يقوم في ظلمات الليل لا يراه أحد ، ما دفعه إلا حب العبادة في هذه الساعة والرغبة في مناجاة العلي القدير ودعائه واستغفاره والتوجه إليه ، لذا كانـــت صلات الليل أفضل من صلاة النهار ، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عـــنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية " ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أفضل الصيام بعد رمضان شـــهر الله المحـــرم ، وأفضـــل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل " ، من هذه الأحاديث يتضح أن لصلاة الليل أفضلية وأهمية بالغة في عظم الأجر وزيادة المثوبة من الله وأن النفس تكسل أحياناً وتتقاعس عن بعض الطاعات وبالذات قيام الليل فهي تحتاج إلى ترويض وتدريب حتى تألف هذا النوع من العبادة ، وإن العـــبد إذا تذكـــر فوائد قيام الليل كان هذا دافعاً له على هذا القيام ، ومن هذه الفوائد أن العبد إذا قام في جوف الليل بعد أن توضأ وتطهر وصف قدميه لمـــولاه وتوجه إليه خاشعاً متبتلاً سهل عليه هذا القيام ، قيامه بين يدي ربه يوم يقوم الناس لرب العالمين ذاك اليوم الذي لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتـــى الله بقلب سليم ، فاليوم عمل ولا حساب ، وغداً حساب ولا عمل ، ومن

عـــالج نفســـه على الطاعة والعبادة استراح في ذاك اليوم وفاز برضوان الله والجـــنة أمـــا من تكاسل وتقاعس عن العبادة اليوم واستراح هنا تعب هناك والجـــزاء مـــن جنس العمل ، قال تعالى : (ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومـــن يعمـــل مثقال ذرة شراً يره) ومن فوائده أن العبد الذي ترك الفراش الوثـــير والـــزوجة الحســـناء وقـــام من جوف الليل ليتقرب إلى الله بالعبادة فســـيزوجه الله من الحور العين تعويضاً له عن ذلك ، قال تعالى : (تتجافى جـــنوبهم عـــن المضاجع) ، وقيام الليل يكسب الجسم صحة والروح صفاء والوجـــه بهاء ونضرة ، قيل للحسن البصري يرحمه الله : لم كان المجتهدون أحســـن الـــناس وجوهاً ؟ قال : لأنهم خلوا بربهم فأعطاهم من نوره وسئلت إحدى العابدات عن حرصها عن قيام الليل . قالت : أبتغي نضارة الوجه .

وقـــد تلحظ أخي المسلم نوراً وبهاءً ونضرة وجمالاً في وجوه المؤمنين الحريصـــين علـــى قـــيام الليل .. كما أن من فوائد قيام الليل فتوحات الهبة وتوفيق من الله لم يحرص على هذا اللون من العبادة ، قال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله مع المحسنين) ، كم من عالم استغلق على فهمـــه مسألة فقام يناجي ربه في جوف الليل ففتح الله عليه ويسر له ما كان مستعصـــياً مـــن قبل .. العابدون وفرسان الليل يمتعهم الله تعالى يوم القيامة بالـــنظر علـــى وجهه الكريم ، قال تعالى : (وجوه يومئذ ناضرة ، إلى ربها ناظـــرة) ، قـــال الحسن : لو علم العابدون أنهم لا يرون ربهم لدأبوا . ومن آداب قيام الليل أن يتوضأ العبد قبل النوم فينام طاهراً متطهراً ينوى قيام الليل فـــيكون بذلك قد احتسب نومه لله ، قال أحد الصحابة : إني لأحتسب نومتي كمـــا احتسب قومتي . كما ينوي بنومه أخذ قسط من الراحة يعينه على قيام اللـــيل فيكون بهذه النية فيكون مأجور لأن المباح بالنية الصالحة يكون عبادة

وذكـــر الله عـــند القيام من النوم ودعاءه سبحانه وتعـــالى من أهم آداب قيام اللـــيل ، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " من تعار من الليل أي استيقظ فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه الملـــك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، الحمد لله ، سبحان الله ، ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ثم قال اللهم اغفر لي ، أو دعا استجيب له ، فإذا توضأ وصلى قبلت صلاته " ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا استيقظ أحدكم فليقل الحمـــد لله الذي رد علي روحي وعافاني في جسدي وإذن لي بذكره " ، ومن آدابه أن يتسوك الإنسان المسلم عند قيامه من النوم ، وقد ثبت أن النبي صلى الله علـــيه وســـلم كان يشوص فاه بالسواك إذا قام من الليل ، ومن آداب قيام اللـــيل توسط القراءة بين الجهر والسر فقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم مر على أبي بكر وهو يقوم الليل يقرأ خافتاً صوته ومر على عمر رضي الله عـــنه وهو رافع صوته فقال النبي صـــلى الله عليه وسلم لأبي بكر : " ارفع قلـــيلاً " وقـــال لعمر : " اخفض قليلاً " . ومن آداب قيام الليل أن تستحضر نزول الرب إلى السماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله وعظمته حيث يقول : " هل من مســـتغفر فأغفر لـــه ، هل من تائب فأتوب عليه ، هل من داع فأستجيب له " ، خاصة إذا كان ذلك في الثلث الأخير من الليل .

ومن آداب قيام الليل التفكر والتدبر في معاني الآيات التي نتلوها فيعيش مع القرآن بوعده ووعيده وأن تفتتح صلاة الليل بركعتين خفيفتين ، قال صلى الله علـــيه وسلم : " إذا قام أحدكم من الليل فليفتتح الصلاة بركعتين خفيفتين ، ولعـــل ذلـــك أن يكـــون ســـبباً في نشاط العبد بقية صلاته ، لأنه إذا نام أتاه الشيطان وعقد على قفاه ثلاث عقد وقال : نم معك ليل طويل فإن قام انحلت

عقدة وإذا توضأ انحلت عقدة وإذا صلى انحلت عقدة فأصبح نشيط النفس وإلا أصبح خبيث النفس .

نســـأل الله الكـــريم رب العـــرش العظيم أن يوفقنا لطاعته ويعيننا على عبادته ويلهمنا رشدنا ويعيذنا شر شرور أنفسنا إنه ولي ذلك والقادر عليه .

أنواع الصبر وفوائده :-

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

إن الإيمـــان نصـــفان : نصف صبر ونصف شكر ، فحري لمن نصح لنفسه وأحب نجاتها وآثر سعادتها أن لا يهمل هذين الأصلين بل عليه العناية بهمـــا والســـير في الطريق الموصل إليهما حتى ينال النجاح والفلاح والفوز بالنعـــيم المقيم في الآخرة . وإذا كان الصبر نصف الإيمان فهو أخية المؤمن التـــي يجول ثم يرجع إليها وساق إيمانه التي لا اعتماد له إلا عليها فلا إيمان لمن لا صبر له قال صلى الله عليه وسلم : " عجباً لأمر المؤمن إن إمره كله له خير إن أصابته سراء شكر فكان خيراً لـــه وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن " .

والصـــبر فـــي اللغة : المنع والحبس ، وفي الشرع : حبس النفس عن الجـــزع واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب وهو خلق فاضل من أخلاق النفس يتمتع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل . وهو قـــوة مـــن قـــوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها ، والشكوى إلى المخلوقيـــن تنافـــي الصبر بل هي ضده ، ولقد سمع بعض الصالحين رجلاً يشـــتكي إلى أخيه من بلوى حلت به فقال له : يا هذا ، والله ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك وفي ذلك قيل :

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما تشكي الرحيم إلى الذي لا يرحم

أمـــا الشـــكوى إلى الله عز وجل وطلب الرحمة منه والمزيد من فضله ومنه فلا تتنافى مع الصبر قال الله عز وجل حكاية عن نبيه يعقوب : (إنما أشـــكو بثـــي وحزني إلى الله) بعد قوله : (فصبر جميل) وكذلك قوله عن أيـــوب عليه السلام : (أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين) ، ومع هذا فقـــد امـــتدحه الله عـــز وجل بصفة الصبر فقال عز من قائل : (إنا وجدناه صـــابراً نعـــم العبد إنه أواب) ، والصبر يكون بعد وقوع المصيبة وحلول الـــبلاء ومـــا أمام المؤمن عند ذلك إلا الصبر ، وساحة الصبر عندئذ أوسع الساحات ، أما قبل نزول البلاء وحلول المصيبة فساحة العافية أوسع للعبد من ســـاحة الصـــبر وهذا لا ينافي قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وما أعطي أحد عطاء أوسع من الصبر " فإن هذا بعد نزول البلاء ولا ينبغي للعبد أن يتمـــنى البلاء ويطلبه من الله عز وجل بل يطلب العفو والعافية في الدنيا والآخـــرة . والـــنفس مطـــية العـــبد التي يسير عليها إلى الجنة أو إلى النار والصـــبر لها بمنزلة الخطام والزمام للمطية . فإن لم يكن للمطية خطام ولا زمام شردت في كل مذهب . قال بعض السلف : رحم الله امرئ جعل لنفسه خطاماً وزماماً ، فقادها بخطامها إلى طاعة الله وصرفها بزمامها عن معاصي الله . فإن الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه .

والنفس لها قوتان : قوة إقدام وقوة إحجام ، فحقيقة الصبر أن يجعل قوة الإقـــدام مصـــروفة إلـــى ما ينفعه ، وقوة الإحجام إمساكاً عما يضره . ومن الـــناس مـــن يصبر على قيام الليل ومشقة الصـــيام ولا يصـــبر على نظرة محـــرمة . ومنهم من يصبر عن النظر والالتفات إلى الصور ولا صبر لـــه علـــى الأمـــر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله ، والصبر أنـــواع : صـــبر على طاعة الله ، وصبر عن معاصية ، وصبر على أقداره

المؤلمـــة ، وقـــيل الصبر شجاعة النفس ومن هنا أخذ القائل قوله : الشجاعة صـــبر ساعة . وقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الشجاع ووصفه بأنه الذي يملك نفسه عند الغضب فقال : " ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد الذي يملـــك نفســـه عند الغضب " وخلق الصبر تكتسبه النفس بالرياضة والتدريب عليه والتحكم في الانفعالات والسيطرة في التصرفات وتذكر فضل الصابرين ومنزلـــتهم عـــند الله عز وجل ، فقد ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال : " من يتصبر يصبره الله ، وما أعطي أحد خيراً أوسع من الصبر " ، وقـــال أيضاً : " من يرد الله به خيراً يصيب منه " أي يصيبه ببلاء ، وجاءت امـــرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لـــي . قـــال : " إن شـــــئت صبرت ولك الجنة وإن شئت دعوت الله أن يعافيك " . فقالت : أصبر . فقالت : إني أتكشف فادع الله لي أن لا أتكشف . فدعا لها .

ولقد وجهنا النبي صلى الله عليه وسلم إلى جملة من الأدعية نقولها عند حلـــول المصـــيبة وحلول البلاء فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " ما من مسلم تصيبة مصيبة فيقول ما أمره الله إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً مـــنها إلا أخلفه الله خيراً منها " فلما مات أبو سلمة قلت : أي المسلمين خير مـــن أبي سلمة . أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إني قلتها فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومـــا يصيب الإنسان من مكروه أو يحل به بلاء أو تنزل به مصيبة إلا كـــان ذلك تكفيراً لذنوبه ورفعاً لدرجاته إذا تحلى بالصبر وابتعد عن التشكي

والتسخط ، قال صلى الله عليه وسلم : " ما من مصيبة تصيب المؤمن إلا كفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها " وإذا تأكد العبد بأن ما يصيبه في هذه الدنيا من بلاء ومصائب إنما هي تكفير لذنوبه ومحو لسيئاته فإنه سيتذرع بالصبر ويسلم بالقضاء والقدر ويرضى بذلك فيطمئن قلبه وينشرح صدره وترتاح نفسه . والصبر نعمة عظمى يمن الله بها على عبده ، قال عمر بن عبدالعزيز : ما أنعم الله على عبد نعمة فانتزعها منه فعاضه مكانها الصبر إلا كان ما عوضه خيراً مما انتزعه . والصبر مرتبط بالإيمان فكل ما كان العبد قوي الإيمان كانت مقدرته على الصبر عند البلاء واضحة وقوية والعكس بالعكس . وإن سيرة سلفنا الصلاح في قضية الصبر سيرة عطرة ، فيُروى أن عروة ابن الزبير كما أرادوا قطع رجله عن مرض قالوا : لو سقيناك شيئاً كي لا تشعر بالوجع . فقال : إنما ابتلاني ليرى صبري أفأعارض أمره ؟ .

والعبد لا يستغني عن الصبر في جميع أحواله فإنه بين أمر يجب عليه امتثاله وتنفيذه ونهي يجب عليه اجتنابه وتركه .. فالصبر لازم إلى الممات وكل ما يلقى العبد في هذه الدار أحدهما يوافق هواه ومراده كالصحة والسلامة والجاه والمال فهو أمام ذلك محتاج إلى الصبر ، فلا يركن إليها ولا يغتر بها ولا تحمله على البطر والأشر والفرح والمذموم وأن لا ينهمك في نيلها ويبالغ في استقصائها فإنها تنقلب إلى ضدها وأن يصبر على أداء حق الله فيها ، وأن لا يصرفها في حرام . والنوع الآخر من النوعين يخالفه ولا يدخل حتى اختياره وليس له حيلة في دفعه كالمصائب والبلايا فهو بحاجة إلى الصبر في ذلك والرضا بالقضاء والقدر ، فإن صبر أجر وأثيب وكان في مرضاة الله وطاعته . ومن لم يصبر إنه يكون بذلك قد وقع في الإثم ولم يدفع

عن نفسه وقوع ما قدره الله عليه ، فمن رضي فله الرضى ومن سخط فعليه السخط .

اللهـــم اجعلـــنا من الشاكرين الصابرين ورضنا بقضائك يا رب العالمين وأنر قلوبنا بنور الإيمان واجعلنا هداة مهتدين .

من الإيمان التسابق في فعل الخير :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

عـــن أبي ذر رضي الله عنه أن ناساً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ، ذهب أهل الدثور بـــالأجور يصـــلون كمـــا نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم . قال : " أوليس قد جعل الله لكم ما تصّدقون ؟ إن بكل تسبيحة صدقة وكـــل تكبيرة صدقة وكل تحميدة صدقة وبكل تهليلة صدقة وأمر بالمعروف صدقة ونهي عن المنكر صدقة وفي بضع أحدكم صدقة " قـــالوا : يا رسول الله ، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر ؟ قال : " أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر " رواه مسلم .

في هذا الحديث دروس وحكم بالغة منها معرفة حال الصحابة رضي الله عـــنهم وحرصهم الشديد على فعل الخيرات وسؤالهم عن كل ما يرشدهم إلى الخـــيرات ، يقول ابن رجب رحمه الله في شرحه لهذا الحديث : في الحديث دليل على أن الصحابة رضي الله عنهم لشدة حرصهم على الأعمال الصالحة وقـــوة رغبتهم في الخير كانوا يحزنون على ما يتعذر عليهم فعله من الخير ممـــا يقدر عليه غيرهم . فكان الفقراء يحزنون على فوات الصدقة بالأموال التـــي يقدر عليه الأغنياء فيحزنون عن التخلف عن الخروج في الجهاد لعدم القـــدرة علـــى آلته وقد أخبر الله عنهم بذلك فقال : (ولا على الذين إذا أتوك

لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون) .

وفـــي هذا الحديث أن الفقراء غبطوا أهل الدثور ، والدثور هي الأموال ممـــا يحصل لهم من أجر الصدقة بأموالهم ، فدلهم النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات يقدرون عليها .

إن المؤمن ينبغي أن يكون شديد الحرص على فعل الخير الطاعات وأن يوجـــه كل مشاعره وعواطفه إلى ما يحبه الله ويرضاه فيحزن إن فاته شيء مـــن وجوه البر والخير ورأى غيره يفعل ذلك فهؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم حزنوا عندما رأوا الأغنياء يتصدقون وينفقون في وجوه الخير وهم لقلة ذات أيديهـــم لا يســـتطيعون ذلـــك وهذا الحزن دفعهم على أن يسألوا نبيهم ومعلمهـــم وموجههـــم علـــيه الصلاة والسلام الذي أرشدهم إلى طرق كثيرة يســـتطيعون مـــن خلالها كسب الأجر والمثوبة . لكن الأغنياء من الصحابة أخـــذوا بهـــذا التوجـــيه النبوي وفعلوا مثلهم ، هذا من التسابق في الخيرات والتـــنافس فـــي الطاعات ، قال تعالى : (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون) ، وهـــذا فضـــل الله يؤتيه من يشاء ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن فقراء المهاجرين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : ذهب أهل الدثور بالأجور وبالدرجـــات العُلى والنعيم المقيم . فقال : " وما ذاك ؟ " قالوا : يصلون كما نصـــلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون ولا نتعق . فقـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أفلا أعلمكم شيئاً تدركون به من قد سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا يكون أحد أفضل منكم إلا من صنع مثل ما صنعتم " قالوا : بلى يا رسول الله . قال : " تسبحون وتكبرون وتحمدون دبر

كل صلاة ثلاث وثلاثين مرة " ، قال أبو صالح : فرجع فقراء المهاجرين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : سمع إخواننا أهل الأموال ففعلوا مثلنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء " ، أي والله إنه فضل الله يمن به على من يشاء من عباده فهؤلاء الأغنياء لم يسخروا أموالهم في المعاصي ولم يصرفوها في الملذات المحرمة بل أنفقوها في وجوه الخير والبر ومع هذا الإنفاق لم تقصر هممهم العالية وطموحاتهم العظيمة عن أعمال هي من الخير والبر عدا الصدقة والإنفاق في سبيل الله ، ولقد أوضح النبي صلى الله عليه وسلم أن الصدقة ليست مقصورة في المال فقط فقد أوضح عليه الصلاة والسلام أن جميع أنواع فعل المعروف والإحسان صدقة ، عن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " كل معروف صدقة " ، يقول ابن رجب رضي الله عنه والصدقة بغير المال نوعان : أحدهما ما فيه تعدية الإحسان إلى الخلق فتكون صدقة عليهم وربما كان أفضل من الصدقة بالمال وهذا كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه دعاء إلى طاعة الله وكف عن معاصيه وذلك خير من النفع بالمال وكذلك تعليم العلم النافع وإقراء القرآن وإزالة الأذى عن الطريق والسعي في جلب النفع للناس ودفع الأذى عنهم وكذلك الدعاء للمسلمين والاستغفار لهم وإعانة ضعيفهم ونصرة المظلوم منهم وكف الأذى عنهم وإغاثة الملهوف منهم كل ذلك من أنواع القربات والصدقات .

ثم ذكر ابن رجب النوع الثاني من الصدقة التي ليست مالية فقال : [ما نفعه قاصر على فاعله كأنواع الذكر من التكبير والتسبيح والتحميد والتهليل والاستغفار . وكذلك المشي إلى المساجد صدقة] ولم يذكر في شيء من الأحاديث الصلاة والصيام والحج والجهاد أنه صدقة وأكثر هذه الأعمال

أفضـــل من الصدقات المالية لأنه إنما ذكر جواباً لسؤال الفقراء الذين سألوه عمـــا يقاوم تطوع الأغنياء بأموالهم . وأما الفرائض فقد كانوا كلهم مشتركين فـــيها . وقد تكاثرت النصوص بتفضيل الذكر عن الصدقة بالمال وغيره من الأعمـــال كما في حديث أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وســـلم قـــال : " ألا أنبئـــكم بخـــير أعمالكم وأزكاها عن وليكم وأرفعها في درجـــاتكم وخير لكم من إنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربا أعناقهم ويضربوا أعناقكم ؟ " ، قالوا : بلى ، يا رسول الله . قال : " ذكر الله عز وجل " .

والأحاديث في فضل الذكر وعظيم مثوبته وجزيل أجره كثيرة متعددة ، فالصـــحابة رضوان الله عليهم الأغنياء منهم والفقراء حريصون كل الحرص على التسابق في مضمار الطاعات والتنافس في نيل الأجر والمثوبات ويزيد الأغنياء أنهم قد عرفوا أن ما لديهم من مال هو من الله وإلى الله فقد سخروا هـــذا المال في طاعة ربهم ونيل مثوبته وكبحوا جماح أنفسهم ولم يجعلوا هذا المال مستعملاً في طغيان النفس ونيل الملذات المحرمة بل صرفوه في وجهه الحـــق وأنفقوه في الطاعة ووجوه البر والخير ، فحري بالأغنياء والموسرين فـــي أمـــة محمد أن يعرفوا الحقوق والواجبات في هذا المال الذي جعلهم الله مستخلفين فيه فيعطوا فيه حق الفقير والمسكين وابن السبيل ، قـــال تعـــالى : (وآتوهـــم مـــن مال الله الذي آتاكم) ، ويكون قدوتهم في ذلك الأغنياء من صـــحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مثال أبي بكر وعثمان وعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنهم وأرضاهم وجعل الجنة مستقرهم ومثواهم وجمعنا بهم في دار المقامة إنه ولي ذلك والقادر عليه .

التوكل على الله والأخذ بالأسباب :-

الحمـــد لله المـــتفرد بالجمال والكمال والصلاة والسلام على خير الأنام محمـــد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسننه إلى يوم الدين .. أما بعد :

فقـــد قال الله عز وجل في معرض ذكر هجرة رسول الله صلى الله عليه وســـلم وتأيده له ونصره إياه : (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفـــروا ثانـــي اثنين إذ هما في الغار إذا يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم) [التوبة : ٤٠] .

فـــالله عز وجل قد نصر دينه بأن أظهره على الدين كله ونصر رسوله صلى الله عليه وسلم وأيده بروح منه وأنزل الطمأنينة على قلبه عندما أخرجه المشـــركون مـــن بلده وكذبوا دعوته وعادوه وحاربوه وكان صاحبه الصديق رضـــي الله عنه رفيقه في الغار وصاحبه في الهجرة وكان يخشى عليه نبيه ورســـوله وحبيبه أكثر مما يخاف على نفسه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يطمنه ويبشره بمعية الله لهما وهذا غاية التوكل على الله ، فالتوكل هو صدق اعـــتماد القلـــب على الله والالتجاء إليه . فمن وصل إلى هذه الدرجة فإن الله ســـيجازيه أحسن الجزاء قال تعالى : (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أي كافية وناصره فالتوكل من أقوى السبل عند الله الموصلة إلى حبه ورضـــاه : (أليس الله بكاف عبده) فطالب الكفاية من غيره فهو التارك للتوكل فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان معتمداً على الله ومتوكلاً عليه فقد أعطى بلسان

حاله ومقاله درساً تربوياً في الثقة فيما عند الله والاطمئنان إلى جنابه والرضا بقضـــائه والالتجاء إلى كنفه وأخذ يعلم صاحبه الصديق هذه المعاني . وذكر الله عـــنه فـــي هذه الآية الكريمة بأنه يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا . فالحـــزن كمـــا يقـــول ابن القيم من أمراض القلب يمنعه من نهوضه وسيره وتســـخيره فهـــو بلية من البلايا التي ينبغي أن نسأل الله كشفها ودفعها وهو والهـــم قرينان وهما الألم الوارد على القلب فإن كان على ماضي فهو الحزن وإن كان على ما يستقبل فهو الهم فالألم الوارد إن كان مصدره فوت الماضي أثـــر الحزن وإن كان مصدره خوف الآتي أثر الهم وللحزن دور خطير في ضـــعف العزم والإرادة لأن الإرادة من أعمال القلوب والحزن يضعف القلب ويقعـــده عن سيره ويوهن العزم ويضر بالإرادة لذا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحبه أبا بكر بأن لا يحزن وكان من جملة وصيته لأحد أصحابه رضوان الله عليهم عندما شكى عليه كثرة ديونه وهمومه أن قال له : " قل إذا أصـــبحت وإذا أمسيت اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن .. الحديث " وهذا توجـــيه منه وإرشاد على الحرص على سلامة الإرادة وقوة العزيمة والثبات عند الشدائد ، لأن من تضعف إرادته وتلين عزيمته وينهزم عند الشدائد فإنه يـــتحطم وينتهي ويصبح نهباً للهموم وغرضاً للأحزان فلا ينفع نفسه ولا يفيد مجـــتمعه ولقـــد بشـــر الرسول صلى الله عليه وسلم أبا بكر وهما في الغار والطـــب من ورائهم والبحث جاد في إلقاء القبض عليهم وصدهم عن الهجرة والنـــيل مـــنهم بشره بمعية الله لهما ونصره وتأييده وهذه هي المعية الخاصة فالله مع رسوله ومع المؤمنين المتقين معية تقتضي النصر والتأييد والطمأنينة والســـكينة ، قـــال تعالى : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) أي فضل هذا وأي كرم من الله عز وأي منه لعباده المؤمنين أن يكون معهم وأن يكلأهم برعايته ويحيطهم بعنايته ويشملهم برحمته إنه فضل عظيم ينبغي لمن

نالـــه أن يشـــكر الله علـــيه فإنه من كان بهذه المثابة فلا حزن ينتابه ولا هم يعـــتريه فهو راضي النفس قرير العين لذلك نستمع إلى قول الله عز وجل في هـــذه الآية الكريمة بأنه سبحانه قد أنزل سكينته على قلب نبيه وأنزل سكينته على قلب أبي بكر وأيده بجند من جنده ولله جنود السموات والأرض ، نصر الله لرســـوله صـــلى الله علـــيه وسلم وعباده المؤمنين قد ظهر في كثير من المواقـــف والحـــروب التـــي دارت بيـــن رســـول الله صلى الله عليه وسلم والكافرين ، ففي غزوة بدر أيده بالملائكة يحاربون معه وفي غزوة الأحزاب سلط الله على الأعداء الريح التي أزعجتهم وكانت سبباً في رحيلهم وهزيمتهم وكفى الله المؤمنين القتال ، وأيضاً نصر الله رسوله بإدخال الرعب والخوف في قلوب أعدائه فقال صلى الله عليه وسلم : " نصرت بالرعب مسيرة شهر " أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

فهذا التأييد وهذا النصر من الله عز وجل لرسوله والمؤمنين نتيجة إعلاء كلمـــة الله والتمكين لدينه فكلمة الله هي لا إله إلا الله محمد رسول الله بكل ما تعنيه من اعتقاد وعمل فلا إله بحق إلا الله . فهي نفت العبادة عن كل معبود وأثبتـــتها لـــه سبحانه وتعالى فهو الإله الحق والمعبود الحق ومقتضى لا إله إلا الله طاعـــته فما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر ، وهي الركن الأول من أركـــان الإســـلام وهي مفتاح الجنة ومن قالها خالصاً من قلبه معتقداً بها أم الاعـــتقاد عاملاً بمقتضاها أدخله الله الجنة وحرمه على النار ، قال صلى الله علـــيه وسلم : " إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله " ، وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما مـــن عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة " قلت : وإن زنا وإن سرق ؟ قال : " وإن زنا وإن سرق " قلت : وإن زنا وإن سرق ؟ قال :

" وإن زنـــا وإن سرق " قال : وإن زنا وإن سرق ثلاثاً ثم قـــال في الرابعة قـــــال : على رغم أنف أبي ذر . والأحاديث في فضل لا غله إلا الله كثيرة ومـــتعددة وكلمـــة الإخـــلاص هـــذه تنجي صاحبـــها وتدخله الجنة إذا أدى مقتضاها ، يقول ابن رجب : قالت طائفة من العلماء المراد من هذه الأحاديث أن لا إلـــه إلا الله ســـبب في دخول الجنة والنجاة من النار ومقتضى لذلك ، ولكـــن المقتضـــى لا يعمـــل عمله إلا باستجماع شروطه وانتفاء موانعه فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرط من شروطه أو لوجود مانع وقيل للحسن أن ناســاً يقولون من قال لا إله إلا الله دخل الجنة . فقال : من قال لا إله إلا الله فأدى حقها وفرضها دخل الجنة . وقال وهب بن منبه لمن سأله : أليس لا إله إلا الله مفـــتاح الجنة ؟ قال : بلى ولكن ما من مفتاح إلا لـــه أسنان فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح لك .

وخلاصـــة القـــول أن الله عز وجل جعل كلمته هي العليا وهي الممكنة بنشر دينه ونصر نبيه وإظهار دينه على الدين كله ، وجعل كلمة الذين كفروا السفلى حيث أنزل عليهم بأسه وأحل عليهم نقمته وجعل الدائرة عليهم ، وإنه مهمـــا علا الباطل وأهله فإنهم سيلقون جزاءهم وسيقع بينهم بأس الله وعذابه فـــي الدنـــيا والآخـــرة وستدور الدوائر عليهم والله عزيز حكيم . عزيز في سلطانه حكيم في فعله سبحانه .

اللهـــم إنا نسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا أن تنصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك الصالحين ، اللهم عليك بأعداء الدين فإنهم لا يعجزونك ، اللهـــم أنـــزل بهـــم بأسك الذي لا يرد عن القوم الظالمين يا قوي يا عزيز ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

من وسائل بناء الإيمان الاستمرار على الطاعة :-

الحمد لله والصلاة والسلام على النبي الأمين وآله وأصحابه أجمعين .. أما بعد :

في شهر رمضان المبارك نتذكر أنفسنا وإخواننا المسلمين بأن من الواجب علينا الاستمرار على الطاعة ، فالله عز وجل قد أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستمرار على الطاعة ومداومة العبادة حتى يلقى الله عز وجل ، قال تعالى : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ، وإن الفائدة التربوية التي جنيناها من مدرسة الثلاثين يوماً ينبغي أن نحافظ عليها وأن تظهر آثارها أعمالاً وسلوكاً تستقيم بها حياتنا ونسعد بها عند لقاء ربنا ، وقد كانت أسباب ووسائل تنمية الروح وتربية الإيمان متوفرة في شهر الصيام ، فهذا البناء الإيماني ، يجب علينا أن نحافظ عليه وننميه بالاستمرار على الطاعة لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، ولنحذر من أن نكون كبعض من يعبد الله في رمضان ثم يترك طاعته في غيره ، ولقد سئل الإمام أحمد رحمه الله : عن حال أناس لا يعرفون الله إلا في رمضان فقال عنهم : بئس القوم ، لا يعبدون الله إلا في رمضان ، ولقد ذكر بعض السلف أن من علامة قبول العمل تحسن حال العامل بعده فالحسنة إذا أتبعت بحسنة كان هذا علامة التوفيق والقبول ، ولقد يسر الله عز وجل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بأن جعل مواسم العبادات متكررة فما أن ينتهي شهر الصيام إلا وأعقبته أشهر الحج وهي شوال ، وذو القعدة وعشر من ذي الحجة ، كما أن صيام التطوع في شهر شوال ، من القربات التي حث عليها المصطفى صلى الله عليه وسلم .

عن أبي أيوب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال : " من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر " رواه مسلم . لأن الحســـنة بعشـــر أمثالها ، فرمضان أجره بعشرة أشهر وصيام ستة أيام بشهرين فهذا فضل الله يؤتيه من يشاء والموفق من وفقه الله عز وجل ، كما أن صيام العشر الأول من ذي الحجة لها من الأفضلية ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من أيـــام العمـــل الصالح فيها أحب إلى الله من هذه الأيام " يعني : أيام العشر ، قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ ، قال : " ولا الجهاد في سبيل الله ، إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء " رواه البخاري . أما فضل صيام يوم عرفة ، فقد جاء حديث أبي قتادة رضي الله عنه موضحاً له قـــال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم يوم عرفة قـــال : " يكفر السنة الماضية والباقية " رواه مسلم .

ولا يـــنفك المسلم من العبادة لله عز وجل ، لكن هذه العبادة لا تزيد في ملك الله شيئاً ، وإنما العابد ينفع نفسه بذلك لأنه قد حقق الغاية من خلقه ، قال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريـــد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) ، وهذا يعطينا الدليل القاطع أن الله عز وجل ما خلقنا عبثاً وما تركنا هملاً قال تعالى : (أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون) ، وقال تعالى : (أيحسب الإنسان أن يـــترك سدى) ، فالله عز وجل خلقنا ورزقنا وأكرمنا بنعم عظيمة لا تعد ولا تحصـــى ، قال تعالى : (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ، فلو عبدناه ليل نهار وأطعناه في السر والجهر ما وازت هذه العبادة نعمة واحدة من نعم الله على العبد ، فقد ورد في الحديث أنه يؤتى يوم القيامة بالرجل كثير القيام

والصـــيام والصلاة ، فيقال لـــه : هل تدخل الجنة بعملك أم برحمة الله فيقول بعملي . فالله عز وجل يقول لملائكته : زنوا عمل عبدي هذا بنعمة واحدة من نعمـــي علـــيه ، فتوزن تلك الأعمال بنعمة البصر فترجح هذه النعمة بجميع أعمالـــه ، فـــيؤمر بـــه إلـــى النار ، فيقول يا رب لا أدخل الجنة إلا بفضلك ورحمـــتك . فعليـــنا أن نعمـــل ونســـأل الله قبول هذا العمل ، والتجاوز عن التقصير فيه وأن يمن علينا بفضله ورحمته . قال صلى الله عليه وسلم : " لن يدخل أحداً عمله الجنة " قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : " ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته " فالمسلم ينبغي أن يحذر من العجب بعمله ويرى أن الله علـــيه واجـــبات كثيرة ، فالملائكة الذين يعبدون الله ليل نهار لا يفترون عن العبادة يقولون سبحانك ما عبدناك حق عبادتك ، فما بالنا نحن وقد أحاطت بنا الذنوب والآثام وسيطر علينا العجز والكسل والنقص والقصور وتكالب علينا الأعـــداء من النفس والهوى والشيطان ، فحري بنا أن نتوجه إلى الله بالطاعة والعبادة طالبين منه العون والتوفيق والسداد ، قال تعالى : (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) ، وقال تعالى : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) ، وقال تعالى : (من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) ، وإن شـــهر رمضان لموسم عظيم في دحر الشيطان وحزبه ، لأن الشياطين ومـــردة الجـــان تصفد في هذا الشهر وتكسر سورة النفس الأمارة بالسوء ، ويقـــوى الجانـــب الإرادي ، ويندحر الهوى ، فعلينا أن نغتنم هذا الموسم في تـــربة الـــنفس وبناء الإيمان .. جعلنا الله وإياكم ممن صام هذا الشهر وقامه إيمانـــاً واحتســـاباً ، وجعلنا وإياكم ممن حقق المعاني العظيمة لهذه المدرسة التربوية ، وجعلنا وإياكم ممن حظاه الله بالقبول والرحمة والعفو .

الشعائر التعبدية وبناء الإيمان :-

الحمد لله جعل الصلاة صلة بينه وبين عبده ، وجعل لأدائها وقتا محدداً : (إن الصـــلاة كانـــت علـــى المؤمنين كتاباً موقوتاً) وأمر بإقامتها : (وأقم الصـــلاة لذكري) أحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي قال : " وجعلت قرة عيني في الصلاة " صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .. أما بعد :

فـــإن الصلاة هي الركن الثاني من أركان الإسلام ، قال صلى الله عليه وسلم : " بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقـــام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج بيت الله الحرام من استطاع إليه سبيلاً " ، والصلاة عماد الدين ، قال صلى الله عليه وسلم : " وعمـــوده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله " ، والصلاة لها أركان وواجـــبات وســـنن ومســـتحبات فمن أراد أن يصلي الصلاة التامة فلابد من مـــراعاة هـــذه الأركان وتلك السنن والواجبات ، ومن أهم ما ينبغي مراعاته الخشـــوع في الصلاة ، فكم من الناس يصلي صلاة لا خشوع فيها ، وما هي إلا قـــيام وقعـــود وحركة ظاهرية وجسداً بلا روح خالية من الخشوع . ولقد امـــتدح الله المؤمنيـــن : (الذين هم في صلاتهم خاشعون) ولقد أنكر بعض الســـلف على رجل صلى وأكثر التحرك في الصلاة فقال : لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه .

ومما يدل على أهمية الخشوع ومكانته في التربية الإسلامية أن ذكره الله في مواطن كثيرة في كتابه ، قال تعالى : (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين ...) ، وقال تعالى : (إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا تتلى عليهم آياتنا يخرون سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً ويخرون للأذقان ويزيدهم خشوعاً) ، والخشوع هو من القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته . وهذا الخشوع الذي في القلب يتبعه خشوع الجوارح والأعضاء لأنها تابعة له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " ، فإذا خشع القلب خشع السمع والبصر والرأس والوجه وسائر الأعضاء وما ينشأ عنها حتى الكلام . لهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه : " خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي " . وفي رواية : " وما استقل به قدمي " . وعن علي رضي الله عنه في قوله تعالى : (الذين هم في صلاتهم خاشعون) قال : هو الخشوع في القلب وأن تلين كنفك للمرء المسلم وأن لا تلتفت في صلاتك . وقال عطاء بن السائب عن رجل عن علي رضي الله عنه : الخشوع خشوع القلب وأن لا تلتفت يميناً ولا شمالاً . وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : (الذين هم في صلاتهم خاشعون) قال : خائفون ساكنون . وعن الحسن رحمه الله قال : كان الخشوع في قلوبهم فغضوا له البصر في الصلاة . وعن مجاهد رحمه الله في قوله تعالى : (وكانوا لنا خاشعين) قال : متواضعين . فالخشوع الذي في القلب ينشأ عنه خشوع الجوارح ، لكن متى تكلف الإنسان الخشوع بجوارحه وقلبه خال منه كان خشوعه هذا خشوع نفاق ، وهو الذي كان السلف رحمهم الله يستعيذون بالله منه . قال بعضهم : استعيذوا بالله من خشوع النفاق . قال : وما خشوع

النفاق ؟ قال : أن ترى الجسد خاشعاً والقلب ليس بخاشع . ورأى عمر رضي الله عـــنه شـــاباً قد انكسر رأسه فقال له : يا هذا ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب فمن أظهر خشوعاً غير ما في قلبه فإنما هو نفاق على نفـــاق . والخشـــوع فـــي القلب هو ثمرة لمعرفة العبد ربه : معرفة عظمته وجلالـــه وكمالـــه . فمن كان بالله أعرف فهو له أخشع . وخشوع القلوب لله تـــتفاوت تفاوتاً كثيراً بحسب تفاوت معرفتها لن خشعت له . وبحسب مشاهدة القلـــوب للصفات المقتضية للخشوع . فمن خاشع لقوة مطالعته لقرب الله من عـــبده واطلاعـــه وضـــميره المقتضي للاستحياء من الله تعالى ومراقبته في الحـــركات والســـــكنات . ومـــن خاشـــع لمطالعته لكماله وجماله المقتضي للاســـتغراق في محبته والشوق إلى لقائه ورؤيته . ومن خاشع لمطالعته شدة بطشه وانتقامه وعقابه المقتضي للخوف منه .

إن الله سبحانه وتعالى هو جابر المنكسرة قلوبهم من أجله . وهو سبحانه وتعالى يتقرب ممن يناجيه في الصلاة ويعفر وجهه في التراب بالسجود . كما يتقرب من عباده الداعين لـــه السائلين لـــه المستغفرين من ذنوبهم بالأسحار ويجيب دعاءهم ، ويعطيهم سؤالهم ، ولا جبر لانكسار العبد أعظم من القرب من الله وإجابة الله له .

وهـــذا الخشوع هو ثمرة العلم النافع والعلم علمان : علم في القلب وهو الخشـــوع ، وعلم على اللسان وهو حجة الله على العبد . عن عوف بن مالك رضـــي الله عنه أن رســـول الله صلى الله عليه وسلم نظر إلى الســـماء يوماً فقال : " هذا أوان يرفع فيه العلم " فقال رجل من الأنصار يقال لـــه زياد بن لبيد : يا رسول الله أو يرفع العلم وقد أثبت ووعته القلوب ؟ فقال لـــه رسول

الله صـــلى الله علـــيه وسلم : إن كنت لأحسبنك من أفقه أهل المدينة " وذكر ضلال اليهود والنصارى على ما في أيديهم من كتاب الله عز وجل . فقال : لقيـــت شداد بن أوس فحدثته بحديث عوف بن مالك . فقال : صدق عوف ألا أخـــبرك بأول ذلك يرفع ؟ قلت : بلى . قال الخشوع ، حتى لا ترى خاشعاً . فـــالعلم الـــنافع هـــو ما باشر القلب فأوجب له السكينة والخشية والإخبات لله والتواضـــع والانكسار . وإذا لم يباشر القلب ذلك من العلم ، وإنما كان على اللسان فهو حجة الله على ابن آدم يقوم على صاحبه ، قال الحسن رحمه الله : العلـــم علمان : علم باللسان وعلم بالقلب . فعلم القلب هو العلم النافع . وعلم اللسان حجة الله على ابن آدم .

وممـــا يـــورث الخشوع تلاوة القرآن الكريم ، وقد قبح الله من لا يخشع قلـــبه لسماع كتابه . قال تعالى : (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومـــا نزل من الحق ...) الآية .. وقد سمع كثير من الصالحين هذه الآية تـــتلى فأثرت فيهم آثاراً متعددة .. ومنهم من تـــاب عند ذلك وخرج عما هو فـــيه .. هـــذا وإن الإنسان حمل شيئاً من القرآن في جوفه إذا سولت له نفسه فعـــل فاحشة تذكر ما معه من القرآن فاستحى من الله وكف عن الذنب ، قال تعـــالى : (لو أنزلـــنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله) ، وعلـــى المؤمـــن أن يســـتعيذ بالله من قلب لا يخشع عند تلاوة كتابه وســـماع ذكـــره ورؤية عظمته . ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من قلب لا يخشع كما في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم أن النبي صلى الله علـــيه وســـلم كان يقول : " اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشـــع ومـــن نفـــس لا تشبع من دعوة لا يستجاب لها " . ومما يظهر في الخشـــوع والـــذل والانكسار وضع اليدين إحداهما على الأخرى في الصلاة

وتذكـــر الوقـــوف بيـــن يـــدي الله تعالى للحساب .. والإقبال على الله وعدم الالـــتفات إلى غيره .. وتصويب النظر إلى موضع السجود لأن طلية النظر يذهـــب الخشوع والالتفات في الصلاة ما هو إلا اختلاس يختلسه الشيطان من صـــلاة العبد على النبي صلى الله عليه وسلم : " لا يزال الله مقبلاً على العبد فـــي صـــلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه " .. ومما يورث الخشوع الـــركوع في الصلاة ، لأنه ذل بظاهر الجسد ولهذا كانت العرب تأنف منه ، قـــال تعالى : (وإذا قيل لهم اركعوا لا يركعون) وتمام الخشوع في الركوع أن يخضـــع القلب لله ويذل له فيتم بذلك خضوع العبد بباطنه وظاهره لله عز وجـــل .. ممـــا يظهر فيه الخشوع أيضاً السجود وهو أعظم ما يظهر فيه ذل العـــبد لربه عز وجل حيث جعل العبد أشرف أعضائه وأعزها عليه وأغلاها علـــيه أوضـــع ما يمكنه فيضعه في التراب متعفراً ويتبع ذلك انكسار القلب وتواضعه وخشوعه لله عز وجل .

وفقنا الله وإياكم لطاعته .

ثمار التقوى وآثارها :-

الحمـــد لله خلق فسوى وقدر فهدى أحمده على أن هدانا للإسلام وما كنا لنهـــتدي لـــولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على النبي الكريم رحمة الله للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه أجمعين .. أما بعد :

فـــإن التربـــية الإســـلامية تحرص على تكوين الإنسان التقي : لأن هذا الإنســـان هو مصدر الخير وسر السعادة ومنبع الصلاح ومنار الهدى فلا يقع منه إجرام ولا يحصل منه فساد ، فهو متق لله على كل أحيانه لأنه تربى على الـــتقوى ، والتقوى شأنها عظيم ، لذا اهتم بغرسها النبي صلى الله عليه وسلم في نفوس أصحابه الذين باشر تربيتهم بنفسه ولقد ذكرت التقوى في كثير من الآيـــات القرآنية وهي وصية الله لكل أمة ، بعث بها نوح وموسى وهو ولوط وشـــعيب ومحمـــد علـــيهم الصلاة والسلام ، قال تعالى : (كذبت قوم نوح المرسلن إذا قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون) ، وقال تعالى : (وإذ نادى ربك موسى أن ائت القوم الظـــالمين قوم فرعون ألا يتقـــون) ، وقـــال تعـــالى : (كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون) ، وقـــال تعـــالى : (كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون) ، وقال تعالى : (كذبت أصحاب الأيكة المرسلين إذ قال لهم أخوهم شعيب ألا تتقون) .

والتقوى هي مقياس الكرم والتفضل والقرب من الله عز وجل فلا تفاضل بالأحســـاب والأنســـاتب والأموال والأولاد ، قال تعالى : (يا أيها الناس إنا خلقـــناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقـــاكم) ، وقـــد جعـــل الله ســـبحانه وتعالى التقوى سبباً في معيته ، وسببا

لنصرنه وتأييده ، قال تعالى : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) وقال تعالى : (واعلموا أن الله مع المتقين) ، وقال تعالى : (والعاقبة للمتقين) ، وقال تعالى : (والعاقبة للتقوى) ، وقال تعالى : (إن الله يحب المتقين) ، والرزق الحسن والخروج من كل ضيق قد وعد بهما المتقون ، قال تعالى : (من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) ، وبالتقوى يميز الإنسان بين الحق والباطل والخير والشر فلا تلتبس عليه الأمور ، ولا تشتبه عليه الأشياء ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ويكفر عنكم سيئاتكم ويغفر لكم) ، وصلاح الأعمال ومغفرة الذنوب تحصل بتقوى الله ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم) ، هذه كلها من فوائد التقوى في الدنيا ، أما في الآخرة فمنزلة المتقين فوق كل منزلة ، فهم آمنون يوم الفزع الأكبر مطمئنون من الخوف والخزن ، لأنهم قد اطمأنوا إلى روضة الإيمان في الدنيا ، فلهم في الآخرة الجنة وما أعد الله فيها لعباده المتقين ، قال تعالى : (إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبلك ذلك محسنين) ، فأعد لهم في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، قال تعالى : (إن المتقين في مقام أمين) ، وقال تعالى : (إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر) وقال تعالى : (إن للمتقين مفازاً حدائق وأعناباً وكواعب أتراباً وكأساً دهاقاً لا يسمعون فيها لغواً ولا كذاباً جزاءً من ربك عطاءً حساباً) ، وقال تعالى : (إن المتقين في ظلال وعيون) ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى بين المتقين وبين النار حجاباً مستوراً لا يصل إليهم شيء من حرها وسمومها ، قال تعالى : (فأنذرتكم ناراً تلظى لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى وسيجنبها الأتقى الذي يؤتي ماله يتزكى) .

وصـــداقة المتقيـــن وخلـــتهم هي الباقية الموصولة يوم يتنكر الأصدقاء والأخـــلاء لبعضهم بعضاً ، قال تعالى : (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين) .

أخـــي المســـلم سؤال يطرح نفسه : ما هي هذه التقوى التي لها كل هذه الفوائـــد ؟ ومـــا هـــي التقوى التي لها كل هذه المنزلة ؟ .. والجواب هو أن الـــتقوى تلـــك الحالة التي تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية أي حاجز ودرعاً وهذا الحصن هو إتيانك للطاعات ومزاولتك للعبادة . فالتقوى ملكة ينبع عنها ســـلوك ، قال صلى الله عليه وسلم : " التقوى ههنا " وأشار إلى صدره ، ولا تكون هذه الملكة إلا بتحقيق معان معينة ، وتزداد هذه الملكة بوسائل معينة ، فللتقوى طريق تحصل به ، ولها آثار سلوكية ينبع عنها ، قال صلى الله عليه وســـلم : " ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فســـد الجســـد كلـــه ألا وهـــي القلب " ، فالطريق إلى التقوى بصلاح القلب وبصلاح القلب تصلح الأعمال ، وكلما صلحت الأعمال ازداد القلب صلاحاً ، قـــال تعـــالى : (يـــا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً) .

ولقـــد وضـــع الله سبحانه علامات للمتقـــين ميزهم بها عن غيرهم منها الإيمان بالغيب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإيمان بالمكتب المنزلة والإيمان بالبعـــث والجـــزاء ، قال تعالى : (الم ذلك الكتب لا ريب فيه هدىً للمتقين الذيـــن يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بمـــا أنـــزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون) ، وأورد سبحانه

صفات أخرى لهم في آيات أخرى منها الوفاء بالعهود والصبر بكل صوره ، قال تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) ، والمتقون هم : (الذين يقولون ربنا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار) ، وهم : (وهم الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله واستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) ، وهم : (الذين يخشون ربهم بالغيب وهم من الساعة مشفقون) ، والتقوى مناط نجاة العبد عند ربه ولها طرق توصل إليها من هذه الطرق قراءة القرآن الكريم بتدبر وفهم ، قال تعالى : (يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدىً ورحمة للمؤمنين) ، فالقرآن إذا وجد في القلب إيماناً رسخ فيه التقوى فأثمرت عملاً صالحاً وسلوكاً سوىً ، وقال تعالى : (كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب) ، (أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها) ، (كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون) فتلاوة كتاب الله عز وجل مع التدبر والتأمل طريق يوصل إلى التقوى (لعلهم يتقون) مع الإيمان أولاً .. ومن آداب التلاوة التي تثمر التقوى الاجتهاد في التدبر والتفكر ومراعاة أحكام التجويد والقراءة بحزن ، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن هذا القرآن نزل بحزن فإذا قرأتموه فأبكوا فإن لم تبكوا فتباكوا

وتغـــنوا به فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا " رواه ابن ماجة ، والمراد بالتغني هـــنا التحزين وإظهار الخشوع مع تجويد القراءة ، فقد جاء في حديث جابر رضـــي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن من أحسن الناس صوتاً بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله " .

وهناك طريق آخر إلى التقوى ، قال الله تعالى : (والذين اهتدوا زادهم هدىً وآتاهم تقواهم) .

اللهـــم إنـــا نسألك تقواك في السر والعلانية ونسألك التوفيق والسداد في القول والعمل .

ثمار التقوى وآثارها :-

الحمـــد لله على ما أعطـــى ووفق وأعان أحمده حمداً كثيراً طيباً مباركاً فـــيه ، والصـــلاة والســـلام على الرسول الكريم والمربي الرحيم وعلى آله الطيبين وأصحابه أجمعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

فإن الحديث عن التقوى وأهميتها وما هيتها وفوائدها في الدنيا والآخرة ، وذكر بعض العلماء الطرق الموصلة إليها ، ومن أهمها الهداية ، قال تعالى : (والذيـــن اهـــتدوا زادهم هدىً وآتاهم تقواهم) والتقوى هبة ومنة من الله الكريم المنان ، والهداية تحتاج إلى مجاهدة ومصابرة ، قال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) ، ولا تكون الهداية إلى السبل إلا بالالتزام بكتاب الله ، قال تعالى : (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم صراط مســـتقيم) ، فالمجاهدة للوصول إلى الهداية مقيدة بكتاب الله وسنة رسول الله صـــلى الله علـــيه وســـلم وأي خروج بالمجاهدة عن هذا المفهوم خروج عن الهداية نفسها .. وتبدأ الهداية من الإيمان بالله ، قال تعالى : (ومن يؤمن بالله يهـــدي قلـــبه) ، والمجاهدة للوصول إلى هذا الإيمان تتلخص بالفكر وكثرة الذكر ، قال تعالى : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فـــي خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً ســـبحانك فقنا عذاب الـــنار) نجمـــع بين الفكر والذكر نقلبه بعيد عن حقيقة الإيمان ، لذا فقد شبه النبـــي صـــلى الله عليه وسلم الغافل عن الله بالميت : " مثل الذي يذكر ربه

والـــذي لا يذكـــر ربه كمثل الحي والميت " ، وأعظم عمل يجتمع فيه الذكر والفكر قراءة القرآن مع التدبر ، فالقرآن ذكر ، قال تعالى : (إن هو إلا ذكر وقرآن مبين) ، والقرآن لفت العقل البشري إلى كل ما ينبغي أن يتفكر فيه .. وهـــدف المجـــاهدة .. هو الوصول إلى حالة للقلب يسمى فيها سليماً ، قـــال تعـــــالى : (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) ، وعندئذ يصـــلح حـــال الإنســـان كله ، قال صلى الله عليه وسلم : " ألا إن في الجسد مضـــغة إذا صلحت صلح الجســـد كله وإذا فسدت فســـد الجسد كله ألا وهي القلـــب " ، ولا يصـــل القلب إلى هذه الحالة حتى يتخلص من الكفر والشقاق وشوائب النفاق ، يقول صلى الله عليه وسلم : " القلوب أربعة : قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر ، وقلب أغلف مربوط على غلافه ، وقلب منكوس ، وقلب مصـــفح ، فأمـــا القلـــب الأجرد فقلب المؤمن فسراجه فيه نوره ، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق الخالص عرف ثم أنكر ، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمـــان ونفاق ، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والدم ، فأي المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه " .

فالهدف من المجاهدة الوصول إلى أن يكون القلب أجرداً .. وهذا لا يتم إلا بقطع مادة القيح والدم عنه والتي هي آثار الذنوب والآثام والمعاصي ، قال صلى الله عليه وسلم : " إن العبد إذا أخطأ خطيئة تكتب في قلبه نكتة فإذا هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه ، وإن عاد زيد فيها حتى تعلوا قلبه وهو الران الـــذي ذكـــره الله تعـــالى ، والمقصود بهذا قوله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) ، وقطع المادة الخبيثة عن القلب ليس كافياً بل لابد من مدده بالماء الطيب .. والمقصود بذلك آثار الأعمال الصالحة والحسنات ،

قال تعالى : (إن الحسنات يذهبن السيئات) حتى يصبح القلب منيراً أزهر ، قال صلى الله عليه وسلم : " المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله " ... مما لا يخفى أ، النفس تألف الراحة وتميل إلى الكسل وترغب الشهوة وتسعى إلى اللذة وتحرص على المتعة وهذه المعاني في كثير من الأحوال تتنافى مع التكليف . ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : " حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات " ، فلابد من المجاهدة للتغلب على هوى النفس حتى ينسجم مع التكليف : " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به " ، وقال تعالى : (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى) ، والنفس إذا لم تشغل بالخير شغلت الإنسان بالشر ، والانشغال بالخير هو الذي يطهرها من أوزارها ، جاء في الحديث القدسي : " وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ... الحديث " فالفرائض أولاً وترك الحرام .. ثم النوافل ، وليحذر العبد من الاهتمام بالنوافل مع ترك الفرائض والتهاون فيها وضياع بعضها ، وليأتي العمل وهو ذكر لله عز وجل ، فالعمل لله هو ما رافقه تذكر الله عز وجل وابتغاء وجهه وكون العمل صواباً كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ومتى ما وصل العبد إلى هذه المنزلة فإن الشيطان لا يجد سبيلاً إليه ، قال صلى الله عليه وسلم : " الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا ذكر الله تعالى خنس وإذا غفل وسوس " ، قال تعالى : (إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) ، وهذا من أهم الأمور في المجاهدة أن يتخلص الإنسان من كيد الشيطان ، قال تعالى : (إن الشيطان لكم عدوٌ فاتخذوه عدواً " ، وقال تعالى : (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم إن ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) ، وتستطيع أن تلخص الأمور التي توصلنا إلى الهداية

في الصلاة جماعة وهذه تحتاج إلى صبر ومجاهدة وكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذكر الله على الدوام وامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه ، والتفكر في عظمة الله وقدرته وحكمته .. وبهذا ترسخ ملكة التقوى فيصبح العمل عادة والسلوك السليم عفواً كما يصبح القلب حياً .. وعلاقة نجاح الإنسان في تزكية نفسه أي في جهاده لها تحققه بالصفات الواردة في قوله تعالى : (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت إيمانهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون) فهذه ست صفات إذا اختلت واحدة منها دل ذلك على أن النفس لم تزك بعد ولم تصل إلى التقوى وهي بعد بحاجة إلى مجاهدة وإذا لم تصل إلى الإعراض عن اللغو فإنها تحتاج إلى مجاهدة ، وإذا لم تزك فإنها تحتاج إلى مجاهدة ، وإذا لم تحفظ عن الزنا فإنها تحتاج إلى مجاهدة ، وإذا لم تحفظ العهد والأمانة فإنها تحتاج إلى مجاهدة ، وإذا لم تحافظ على الصلوات فإنها تحتاج إلى مجاهدة ، إن ميزان زكاة النفس هذه الصفات فمتى أصبحت هذه الصفات للنفس خلقاً وطبعاً تأتيها بدون تكلف وبإخلاص وبلا غرور وعجب ورياء ، فيومئذ تكون النفس قد تزكت وطهرت ونجح الإنسان في مجاهدتها وما دامت لم تصل إلى هذه الحالة فلابد من مواصلة المجاهدة بالذكر والصوم والتلاوة والتفكر وكثرة النوافل إلى غير ذلك مما مر معنا في تحقق التقوى .

إن النفس البشرية كالطفل تعتاد ما عودها صاحبها عليه فإن عودها الخير اعتادت وسلكت طريقه وإن عودها الشر استمرأته .. فعلينا أن نجاهد

هــذه الــنفس على طاعة الله وندعو بالمأثور فيقول الواحد منا " اللهم ألهمني رشــدي وأعذنــي شــر نفسي " ، " اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك " .

وفقــنا الله وإياكم إلى الخير والبعد عن السيئات وأعاننا على طاعته إنه ولي ذلك والقادر عليه .

التوكل على الله والأخذ بالأسباب :-

الحمد لله القادر على كل شيء مقدر الأقدار ومصرف الأحوال الفعال لما يريد إذا أراد شيئاً أن يقول لـــه كل فيكون ، أحمده حمداً كثيراً وأشكره على نعمه التي لا تعد ولا تحصى فكل ما قدره فهو خير وإن ظهر لنا بخلاف ذلك وأصلي وأسلم على الرحمة المهداة والنعمة والمجزاة محمد بن عبدالله الذي ما من خير إلا ودل أمته عليه وما من شر إلا وحذرها منه فصلاة ربي وسلامه علـــيه وعلى آله الطيبـــين وأصحابه الميامين وتابعيـــهم بإحســـان إلى يوم الدين .. أما بعد :

فإن الله عز وجل من حكمته وعدله بعباده أن يجري عليهم بعض أقداره التـــي قد تنطوي على الفرح والحزن والغنى والفقر والصحة والمرض وفي كل ذلك حكم إلهية بالغة يجهلها الكثير من الناس فعلى المؤمن إذا رأى وسمع عن حالات مرض وقعت في مكان من الأرض فليعلم أنها بقدر الله عز وجل وحكمـــته فقـــد نسمع بوقوع مرض الطاعون في مكان من بلاد الله الواسعة ونسمع بكثرة ضحاياه فما علينا إلا أن نتذكر أن هذا المرض وغيره مما يقع علـــى الـــناس هي من جنود الله المسخرة بإرادته وقدره ، قال تعالى : (ولله جنود السموات والأرض) ، فما سمعنا به من انتشار هذا المرض في القارة الهندية هو مما يزيد إيماننا ويقوي يقيننا بأن الله سبحانه وتعالى يفعل ما يشاء ويحكـــم ما يريد لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه .. وعلينا أن نعرف التدابير الوقائـــية التي ينبغي الأخذ بها والتي نستلهمها من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وسيرة أصحابه رضوان الله عليهم ليكون مسلكنا على النهج الصـــحيح والصـــراط المستقيم .. ففي خلافة عمر رضي الله وقع الطاعون

بـــأرض الشام فما كان من عمر إلا أن يستشير أصحابه الحجى من أصحاب رســـو الله صلى الله عليه وسلم فيما ينبغي فعله واتخاذ الأساليب الوقائية من الوقوع في هذا المرض الفتاك .

فعـــن ابن عباس رضي الله عنهما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه خـــرج إلى الشام حتى إذا كان بسرع وهو منزل من منازل حاج الشام على ثلاثـــة عشـــر مـــرحلة مـــن المدينة لقيه أمراء الأجناد أبوعبيدة بن الجراح وأصـــحابه وأخبروه أن الوباء قد وقع بالشام قال ابن عباس فقال لي عمر : ادع لي المهاجرين الأولين . فدعوتهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشـــام فاختلفوا فقال بعضهم : خرجت لأمر ولا نرى أن ترجع عنه . وقال بعضهم : معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء . فقال : ارتفعوا عني . ثم قال : ادع لي الأنصار. فدعوتهـــم فاستشـــارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم . فقال : ارتفعوا عني . ثم قال : ادع لي من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفـــتح فدعوتهم فلم يختلف عليه مهم رجلان . فقالوا : نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهـــم علـــى هذا الوباء . فنادى عمر رضي الله عنه في الناس : إني مصبح على ظهر فاصبحوا عليه . فقال أبوعبيدة بن الجراح رضي الله عنه : أفرار من قدر الله ؟ فقال عمر رضي الله عنه : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! وكان عمر يكره خلافه . نعم نفر من قدر الله ، أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديـــاً لـــه عدوتان إحداهما خصـــبة وأخرى جدبة أليس إن رعيت الخصبة رعيـــتها بقدر الله . قال : فجاء عبدالرحمن بن عوف وكان متغيباً في بعض حاجـــته ، فقال : إن عندي من هذا علماً ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإن وقع بأرض وأنتم بها

فــلا تخــرجوا فراراً منه . فحمد الله تعالى عمر رضي الله عنه وانصرف . متفق عليه .

إن فــرار الإنسان الذي كتب الله عليه قدراً بوقوع الموت أو المرض لا ينجــيه مــن وقــوع المحذور المقدر فالموت حق وهو آت لا شك فيه . قال تعــــالى : (أيــن مــا تكونوا يدركم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) ، والمؤمــن يعلم ذلك علم اليقين لكنه بجانب ذلك يأخذ بالحيطة والحذر ويأتي بالأسباب المشروعة التي تقيه من الوقوع في المكروه لأن الله تعالى يقــول : (ولا تلقــوا بأيديكم إلى التهلكة) ، وما نسمع به اليوم من الحجر الصحي له مــا يــبرره مــن هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في حديث عبدالرحمــن بــن عوف السابق ذكره وما ورد عن أسامة بن زيد رضي الله عــنه عــن النبــي صلى الله عليه وسلم : " إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها " متفق عليه .

فما أعظم هذا الدين وما أعظم هدي نبي الإسلام في كل ما له علاقة في حــياة الإنسان في العاجل والآجل فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

ثمار التقوى وآثارها :-

الحمـــد لله مصـــرف الأيام والليالي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد أحمده حمداً كثيراً وأصلي وأسلم على نبي الرحمة والهدى محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه .. أما بعد :

فإنـــه مـــن فضل الله ورحمته أن جعل لعباده المؤمنين مواسم للخيرات والطاعات يعيشون فيها جواً إيمانياً ويتلذذون بطعم الطاعة والعبادة ومن هذه المواســـم شـــهر الصيام الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان جعل الله عز وجل صيام نهاره فريضة وقيام ليله تطوعاً من تقرب فـــيه بخصلة من خصال البر كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فيه فريضـــة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه ويكفي لفضل هذا الشهر أن الله اخـــتص بإعطاء أجر الصائم أضعاف مضاعفة : " كل عمل ابن آدم لـــه الحســـنة بعشـــر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله تعالى إلا الصوم فإنه لي وأنـــا أجـــزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي ، للصائم فرحتان فرحة عند فطـــره وفـــرحة عند لقاء ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك " .

وأبواب الخير كثيرة ينبغي التسابق إليها والدخول فيها وإن من عباد الله من هو موفق إلى كل خير وساع إلى كل بر ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسو الله صلى الله عليه وسلم قال : " من أنفق زوجين في سبيل الله نودي مـــن أبواب الجنة يا عبدالله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب

الصـــلاة ومـــن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد ومن كان من أهل الصـــــيام دعـــي مـــن باب الريان ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصـــــدقة ، قال أبو بكر : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما على من دعي مـــن تلك الأبواب من ضـــرورة فهل يدعى أحد من تلـــك الأبواب كلـــها ؟ فقـــال : " نعم ، وأرجو أن تكون منهم " متفق عليه .

فانظـــروا حرص أبي بكر رضي الله عنه وهو يسعى إلى ولوج أبواب الخـــير كلها وقد بشره رسول الله صلى الله عليه وسلم لما علم من حبه للخير وحرصه على الطاعة وتسابقه في البر والخير ومن أبواب الخير الصيام وها هو قد أقبل شهر الصوم الذي يعتبر موسم عظيم من مواسم العبادة ومضمار للتسابق في الخيرات ، قال صلى الله عليه وسلم وهو يبشر أصحابه بقدومه : " أيها الناس لقد أظلكم شهر كريم مبارك جعل الله صيام يومه واجباً وقيام ليله تطوعـــاً أو كما قال صلى الله عليه وسلم ولقد بشر رسول الله صلى الله عليه وســـلم بقوله بما رواه سهل بن سعد رضي الله عنه : " إن في الجنة باباً يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال أين الصـــائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحـــد " متفق عليه . وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل الصيام وعظم أجر الصائم فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله علـــيه وسلم : " ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهـــه عـــن النار سبعين خريفاً " متفق عليه . أما صيام هذا الشهر المبارك فإنـــه يمحوا ما تقدم من الذنوب ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قـــال : " من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر لـــه ما تقدم من ذنبه " متفق عليه . وفي هذا الشهر المبارك تفتح أبواب الجنة وتغلق

أبـــواب النار وتصفد الشياطين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صـــلى الله علـــيه وسلم قال : " إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين " أي غلت .

وشـــهر الصوم هو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وبشر الصابرين ، وفـــي الصـــوم تقويـــة لـــلإرادة فيرى المســـلم ما تشتهي نفسه من الملذات والمـــباحات بل قد يرى الماء البارد الزلال وهو يشعر بالعطش والحاجة إليه فلا يتناول شيئاً من هذه الملذات والشهوات لم ؟ لأنه صائم أمسك عن الطعام والشـــراب وجمـــيع الشهوات المباحة بأمر ربه الذي فرض عليه الصيام فهو يتحكم في إرادته فتقوى عزيمته بذلك وتسمو روحه وتنمو لديه مراقبة الذات ومحاسبة النفس كما أن الصائم يتحكم في نزوات نفسه فيخزي الشيطان عدوه بذلك لأنه بذلك يتمثل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول : " فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يفسق وإن سابه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم " ، فليستمع لهذا التوجيه عباد الله الصائمون فلا ينفعلون لأتفه الأسباب ولا يغضـــبوا لأحقـــر الأمور وإن اعترضهم سفيه أو جاهل فليقل أحدهم إني صـــائم فلا يفسد صومه بالمخاصمة والمجادلة والكلام الفارغ فيكون بذلك قد حفظـــوا صيامهم من اللغو والرفث فالصيام جنة بين العبد وبين معصية الله . فالصيام ليس هو الإمساك عن الطعام والشراب فحسب بل هو صوم الجوارح عن معصية الله وما يغضب الله ، صوم عن الغيبة والنميمة صوم عن الكذب والبهـــتان وقول الزور ، قال صلى الله عليه وسلم : " من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه " .

ولكـــل عبادة في الإسلام مقتضى إذا تحقق مقتضاها فإنها قد أديت على الوجه الأتم الأكمل ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتـــب علـــى الذيـــن من قبلكم لعلكم تتقون) ، فالتقوى سر السعادة والنجاح والفـــلاح فـــي الدارين إنها تتحقق بطاعة الله وامتثال أمره وبالصيام الحقيقي تحصـــل التقوى بإذن الله .. اللهم وفقنا لصيام هذا الشهر وقيامه واجعلنا من عتقائك من النار .

مدارسة القرآن وبناء الإيمان :-

الحمـــد لله مـــنزل الكتاب ومنشئ السحاب وهازم الأحزاب أحمده حمداً كثـــيراً وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

قـــال الله عز وجل : (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدىً للناس وبينات من الهدى والفرقان) ، وشهر رمضان هو شهر القرآن أنزله الله عز وجل في ليلة القدر من اللوح المحفوظ في السماء السابعة إلى السماء الدنيا ، قـــال تعالى : (إنا أنزلناه في ليلة القدر) ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وســـلم يتدارس القرآن مع جبريل مرة في رمضان وفي العام الذي توفي فيه راجعـــه معـــه مرتين ، فشهر رمضان هو شهر القرآن فاحرص أخي المسلم علـــى تلاوتـــه فـــي رمضان وبعد رمضان فهو دستورك العظيم وكلام رب العالميـــن فاجعل لك ورداً تداوم عليه فلا تكتفي بمجرد التلاوة دون تدبر أو فهـــم . وقد قال صلى الله عليه وسلم : " اقرأوا القرآن فإنه يجيء يوم القيامة شفيعاً لأصحابه " ولكن كيف تحصل الشفاعة ؟ أتكفي مجرد التلاوة والقراءة أم لا ؟ إنـــا نؤمل ونرجو أن نوفق لتلاوة التدبر والتأمل حتى يأتي شفيعاً لنا يوم القيامة . طالما أن الله عز وجل جعل لقارئ القرآن أجراً ، الماهر بالقرآن مع الكرام البررة ، والذي يقرأ القرآن يتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران ، لكـــن الأجر درجات ، فهذا الذي يتتعتع قد يكون حاضر القلب مرهف الحس والمشاعر لكن يحس بالثقل في اللسان لعدم تعوده على لغة القرآن ورسمه أو لعدم معرفته لقواعد اللغة العربية وقد يكـــون القارئ طلق اللسان ولكن غافل

الجنان لا يتدبر ما في القرآن ولا يعتني بالعمل بمقتضاه ، قال تعالى : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) .

إنـــنا ندعو إلى قراءة القرآن بتدبر وتفكر مع تعظيمه واستحضار القلب لـــتلاوته بغـــض النظر عن طلاقة اللسان أو العجز عن قراءته طالما عجزاً مقدراً على الإنسان . وقراءة التدبر هي الترتيل المطلوب في قوله تعـــالى : (ورتـــل القرآن ترتيلاً أي اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبـــره فهكذا كانت قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما روت ذلك أم المؤمنيـــن عائشة رضي الله عنها حيث قالت : كان يقرأ السورة فيرتلها حتى تكون أطول من أطول منها . وعن أنس أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله علـــيه وسلم فقال : كانت مداً ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم بمد بسم الله وبمـــد الرحمن وبمد الرحيم ، وعن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قـــراءة رســـول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : كان يقطع قراءته آية آية . وفي الحديث يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلـــتك عـــند آخر آية تقرأها ، فالترتيل يعني التمهل والتأمل والتفكر وذلك يعين على الفهم دون ريب فيستنير القلب بنور معرفة الله عكس الإسراع في القراءة والترتيل والتدبر لا يتعارضان مع ترقيق الصوت ولهذا كان الصحابة علـــيهم رضـــوان الله يحاولون الجمع بين ترقيق الصوت وتجويد التلاوة فقد تلقوا هذا العلم من رسول رب العالمين فكان يستمع إليهم وينصت لتلاوتهم .

فمـــرة اســـتمع لعبد الله بن قيس رضي الله عنه وقال له كيف لو رأيتني الـــبارحة وأنـــا استمع لقراءتك فقال يا رسول الله : لو علمت ذلك لحبرته لك تحبـــيراً . وكان مرة معه عبدالله بن مسعود فقال له : " يا عبدالله اقرأ عليّ "

فقال : يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل ، قال : إني أحب أن أسمعه من غيري قال فقرأت عليه آيات من سورة النساء حتى وصلت إلى قول الله تعالى : (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً) فنظرت فإذا عيناه تذرفان الدمع . بأبي وأمي لقد كان يعيش معاني القرآن فيتدبره خير تدبر ويرتله ترتيلاً ، ولقد أشرف على تعليم أصحابه وتدريسهم القرآن وقد برزوا في القرآن وعلومه فأصبحوا أعلاماً أفاد بهم الله العباد والبلاد وقد روي أن عبد الله بن مسعود كان قارئاً ندي الصوت جيد التلاوة فإذا اجتمعت الموهبة الجيدة مع حسن التعليم والتلقي تفجرت عبقرية لا مثيل لها وللتلاوة الجيدة بالصوت الندي أثر عند القارئ والمستمع في فهم القرآن وأدرك أسراره في خشوع وضراعة كما روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال : " فمن أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه على ابن أم عبد يعني عبدالله بن مسعود . فالترقيق وجمال الصوت أو نداوته ليست مقصودة لذاتها . إنما المقصود أن يكون ذلك عوناً للقارئ في فهم القرآن وإدراك أسراره وعوناً للمستمع كذلك وإلا لخرجت القراءة مهما كانت درجة جودتها وتنغيمها عن دائرة الترتيل المطلوب للقرآن الكريم والذي أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ورتل القرآن ترتيلاً) وقد بين له الغرض من تلاوته وتلاوة المسلمين أجمعين في قوله تعالى : (كتاب أنزلناه مبارك ليدبروا آياته وليذكر أولي الألباب) ، ولقد وعى السلف الصالح وأدركوا أهمية تدبر القرآن والعمل به فعاشوا به وله وحملوه عقيدة في نفوسهم وواقعاً في حياتهم وسلوكهم ولقد كانوا ينتقدون من يقرأ القرآن ولا يعمل به فهذا الحسن البصري يقول : والله ما تدبروه بحفظ حروفه وإضاعة حدوده حتى إن أحدهم ليقول والله لقد قرأت القرآن فما اسقطت منه حرفاً . وقد اسقطه والله كله . ما يرى للقرآن عليه أثر في خلق ولا عمل .

إن جـــودة التلاوة وحسن التدبر تحملان الإنسان أن يعيش حياته مهتدياً بهـــدي القرآن ولكن فلنحذر من المبالغة في التجويد والتغني به فهذه المبالغة مذمومـــة لأن الخـــروج بالشـــيء عن حده ينقلب به إلى ضده ، لذلك الغلو والمـــبالغة في التنغيم والتطريب خاصة ما ابتدعه بعض من يلحن القرآن وقد ذكـــر ذلك الرافعي بقوله : وممن ابتدع في القراءة والأداء هذا التلحين الذي يقرأ إلى اليوم يتناقله المفتونة قلوبهم وقلوب من يصحبهم ويقرأون به على ما يشبه الإيقاع وهو الغناء ومن أنواعه عندهم في أقسام التنغيم " الترعيد " وهو أن يـــرعد القارئ صوته كأنه يرعد من البرد أو الألم " والترقيص " وهو أن يـــروم السكوت على الساكن ثم ينقر مع الحركة كأنه في عدو أو هرولة ، " والتطريب " وهو أ، يترنم بالقرآن ويتنغم به فيمد في غير موضع المد ويزيد المد إن أصاب موضعه " والتحزين " وهو أن يأتي بالقراءة على وجه حزين يكـــاد يبكي مع خشوع وخضوع . " والترديد " وهو رد الجماعة على القارئ في ختام قراءته بلحن واحد على وجه من تلك الوجوه .

إذا انقضـــى شـــهر رمضان فداوم على تلاوة القرآن دون انقطاع حتى تعـــيش بالقرآن قراءة وترتيلاً وتدبراً وتفهماً وتعمل به ، جعلنا الله وإياك من أهل القرآن الذين يقيمون حروفه وحدوده .. اللهم آمين .

ثمار العمل :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

فـــإن هذا الشهر الكريم شهر رمضان المبارك آذن بالرحيل ولم يبق من أيامـــه إلا القلـــيل فمن بدأ فيه العبادة بجد فعليه بالكمال والتمام فإن الأعمال بالخواتيم ومن فرط فيه فعليه أن يستدرك التقصير فينتبه بعد غفلة ويجتهد بعد الكسل فعسى أن يحظى بالقبول فيسعد في الدارين وينال جائزة الرب في آخر لـــيلة من رمضان كما بشر بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم أمته حيث قال فـــي حديث طويل : " فإذا كان آخر ليلة غفر لهم " قالوا : يا رسول الله أهي لـــيلة القـــدر ؟ قال : " لا ، إنما يوفى العامل أجره إذا وفى عمله " .. اللهم اجعلنا من المقبولين في هذا الشهر المبارك واجعلنا ممن وفق لقيام ليلة القدر برحمتك يا أرحم الراحمين .

لقـــد دل الرســـول صـــلى الله علـــيه وسلم أمته على كل ما فيه خيرهم وصلاحهم فقد أوضح لهم فضل تعجيل الفطر ، عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطـــر " متفق عليه ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال الله عز وجل : أحب عبادي إلي أعجلهم فطراً " رواه الترمذي . وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : قال رسول الله صـــلى الله علـــيه وسلم : " إذا أقبل الليل من ها هنا وأدبر النهار من ها هنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم " متفق عليه . فالصائم ما أمسك عن الأكل

والشراب إلا طاعة لله وامتثالاً لأمره وما أكل وشرب عند الغروب إلا امتثالاً لأمر الله فهو يسير في فعله وتركه بأمر الله . وهذا مما يعمق مفهوم العبودية عنده فهو عبد لله وممتثل لأمر الله لا يتصرف في أي أمر من أموره إلا على ضـــوء مـــنهج الله ســـبحانه وتعالى ، قال تعالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين) فالغاية من خلق الإنسان هي عبادة الله عز وجـــل ، قـــال تعالى : (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) ففي الصوم ترويض للنفس وتربية لها على معنى هذه العبودية . فمن يعجل الفطر طاعة لله وامتـــثالاً لأمـــره فهو من أحب عباد الله إلى الله وبهذه المحبة يكون خير الناس على الإطلاق وقد حدد المصطفى صلى الله عليه وسلم في حديث عمر رضـــي الله عنه الوقت الذي يفطر فيه وهو أن يقبل الليل من المشرق ويدبر النهار من المغرب وهذا توقيت من رسول الله لوقت الإفطار .

كمـــا دل الرســـول صلى الله عليه وسلم أمته على أفضل ما يفطر عليه الصـــائم فيفطر على تمر أو رطب أو ماء ، لأن في التمر من السكريات ما يفـــيد جســـم الصـــائم الذي كف طوال يومه عن الأكل بجميع مكوناته ، عن ســـلمان بـــن عامر الضبي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا أفطر أحدكـــم فليفطر على تمر فإن لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور " رواه أبو داود . وعـــن أنس رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفطـــر قبل أن يصلي على رطبات فإن لم تكن رطبات فتميرات فإن لم تكن تميرات حسا حسوات من ماء " . فمن رحمة الله عز وجل بأمة محمد صلى الله علـــيه وســـلم أنه ما جعل عليها في الدين من حرج ولم يؤاخذها بالنسيان والخطـــأ . قـــال صلى الله عليه وسلم : " رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما اســـتكرهوا علـــيه " ، ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ، فما أوسع فضله

سبحاه وتعالى ورحمته بعباده فلو وقع الصائم في نسيان فأكل أو شرب فليتم صومه ولا قضاء عليه . وهذا من التيسير على عباد الله المؤمنين ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا نسي أحدكم وأكل أو شرب فليتم صومه فإنما أطعمه الله وسقاه " متفق عليه . وإن المؤمن الحـــق الذي استوعب مبادئ التربية الإسلامية والذي يعرف أن الله لا يؤاخذ عباده بالنسيان فقد رفع عنهم الحرج في ذلك هذا المؤمن يتسامح ويصفح عن إخوانه المسلمين إذا أخطأ عليه أحد منهم أو نسي أو قصر في حق من حقوقه فمـــا أعظـــم هذا الدين الذي رسخ هذه المبادئ وصقل هذه الأخلاق وارتقى بالـــنفوس البشرية إلى درجات السمو والكمال الإنساني ، ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يتعلمون كل خير من نبيهم ومعلمهم ومربيهم عليه الصلاة والســـلام فهـــذا أحدهم يسأل عن كيفية الوضوء فيبين لهم الرسول صلى الله علـــيه وسلم كيف يكون إسباغ الوضوء . فعن لقيط بن صبرة رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله أخبرني عن الوضوء . قال : " أسبغ الوضوء وخلل بيـــن الأصـــابع وبـــالغ في الاستنشاق إلا أن تكون صـــائماً " رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح .

أخي الصائم . من السنة المبالغة في المضمضة والاستنشاق إلا إذا كنت صائماً فلا تبالغ في المضمضة والاستنشاق خوفاً من أن يدخل شيء من الماء إلى جوفك .

إن ممـــا يؤكـــد رفـــع الحرج عن المسلمين كثير من الأحاديث النبوية والآيات القرآنية ، ومن هذه الأحاديث ما روته عائشة رضي الله عنها قالت : كـــان رســـول الله صـــلى الله عليه وسلم يدركه الفجر وهو جنب من أهله ثم

يغتســل ويصوم . متفق عليه .. وكذلك ما روته عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما حيث قالتا : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنباً من غير حلم ثم يصوم . متفق عليه .

أيهــا المســلمون ها هو شهر رمضان آذن بالرحيل فلنودعه بألف تحية وســلام فكم عاش المسلمون في لياليه في سعادة بسمو أرواحهم وهم في ليله قيام وفي نهاره صيام قلوب المسلمين على فراقه تئن . فهو موسم عظيم من مواســم الخيرات والقرب والطاعات فعلى المؤمن الذي اعتاد العبادة في هذا الشــهر أن يداوم عليها بعد رمضان ويستمر على طاعة الله حتى يلقاه ، قال تعــالى : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ، واحذر أخي المسلم أن تكو ممن يعــبد الله فــي رمضان ثم يترك العبادة بعد رمضان ، وقد قال بعض السلف عن صنف من الناس لا يعبد الله إلا في رمضان : بئس القوم لا يعرفون الله إلا في رمضان .

إن من علامات القبول أن يتحسن حال الإنسان بعد رمضان ومن علامة قبول الحسنة الحسنة بعدها ، فالله عز وجل غني عن العالمين لا تنفعه الطاعة ولا تضــره المعصية ، لكن أخي المسلم قال الله تعالى : (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد) .

اللهــم اخــتم لــنا رمضان برضوانك والجنة واجعلنا من الفائزين الذين صاموا هذا الشهر وقاموه إيماناً واحتساباً ، اللهم أصلح أحوال المسلمين ورد عنهم كيد الكائدين واكفهم حسد الحاسدين .. اللهم آمين .

الصبر والشكر جناحا الإيمان :-

الحمد لله والصـــــلاة والســـلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. أما بعد :

إن المسلم في هذه الحياة الدنيا ومن حين خروجه من بطن أمه يسير في طـــريقه إلى الله عز وجل ويكتنفه في سيره هذا الخير والشر والضر والنفع والســـراء والضـــراء وأمام ذلك هو محتاج أن يقابل الشر والضراء بالصبر وحســـن اللجوء إلى الله ويقابل النعمة والسراء بالشكر والثناء على الله إنه إن فعـــل ذلـــك اطمأنـــت نفسه ورضيت بما قسم الله وشعر بالسعادة والطمأنينة والأمـــن وإن فاتـــه ذلـــك شعر بالضيق والحرج والشقاء والنكد وعاش حياة التعاسة والنكد ، قال صلى الله عليه وسلم : " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراء صبر فكان خـــيراً لـــــه ، ولـــيس ذلك لأحد إلا للمؤمن " ، فالصبر والشكر هما جناحا الإيمان كالطائر لا يطير إلا بجناحين فإذا قصف أحدهما تعذر الطيران عليه .

ولقد أوضح النبي الأمين صلوات ربي وسلامه عليه منزلة الصبر وأنه لابـــد مـــنه في مقابلة البلاء ووجه أمته إلى ما ينبغي فعله عند نزول البلاء والمصـــيبة ، عن أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صـــلى الله عليه وسلم يقول : " ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول ما أمره الله : إنـــا لله وإنـــا إليه راجعون ، اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خير مـــنها إلا أخلف الله لـــه خيراً منها " قالت : فلما مات أبو سلمة ، قلت : أي المســـلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه

وســـلم ؟ ثـــم إني قلتها . فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الحديـــث خرجه مسلم . في هذا الحديث جملة فوائد من أهمها أن المسلم في هذه الدنيا لا تخلو حياته من مكدرات ومنغصات ومصائب ونكبات وابتلاءات وكلمـــا ازداد إيمانـــه تعرض للبلاء كما ورد في الحديث : " أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل " ويبتلى الإنسان على قدر دينه ، قال تعالى : (الم أحســـب الـــناس أن يـــتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) ، وإنه أمام ذلك بحاجة إلى الصبر والاسترجاع قال تعالى : (والذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) .. نعم نحن ملك لله وعبيده يتصرف فينا كما يشاء ليس لأنفسنا تصرفاً في ذاتنا فهو يفعل بنا ما يشاء سبحانه وإننا راجعون إليه فالخلق خلقه والعبيد عبيده والملك له ، وكل ما يقدره لنا فهو الخير وإن ظهر لـــنا بخـــلاف ذلـــك ، يفعل بنا ما هو عين مصلحتنا ، فما أمامنا إلا الرضا بالمكتوب والتسليم بالقضاء والقدر .. وأمام هذا الاسترجاع علينا أن ندعو الله عـــز وجل بقلوب ملؤها الإيمان طالبين الأجر والعوض والخلف منه فإننا إن فعلـــنا ذلك عوضنا الله عز وجل وأخلف علينا خيراً مما أخذ منا وهذا توجيه نـــبوي كـــريم علمه النبي صلى الله عليه وسلم أمته ، وطبقته أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها وعوضها الله عز وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من الدنيا وما فيها ، فقد وعت الدرس وها هي تروي لنا درساً آخر عن رسول الله ، قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا أصاب أحدكم مصـــيبة فلـــيقل : إنـــا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم عندك أحتسب مصيبتي فأجرنـــي فيها وأبدلني خيراً منها " أخرجه أبو داود والنسائي ، وهذا الدرس وغيره من الدروس النبوية مثل ما روت فاطمة بنت الحسين عن ابنها رضي الله عنهما قالت : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من أصيب بمصيبة فذكر مصـــيبته فيّ فأحدث استرجاعاً وإن تقادم عهدها كتب الله له من الأجر مثله

يوم أصيب " أخرجه ابن ماجة .. ومثل ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه عـــن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الضرب على الفخذ يحبط الأجر والصـــبر عند الصدمة الأولى ، وعظم الأجر على قدر عظم المصيبة ، ومن اســـترجع بعد مصيبته جدد الله أجرها كيوم أصيب " .. أقول مثل هذا يجعل المؤمـــن فـــي خير دائم لأنه وكل الأمور إلى بارئها وسلم أمره إلى الله عز وجـــل ودعاه دعوة المضطر الذي لا ملجأ له إلا الله فنال بذلك رضا الله عز وجـــل فمـــن رضـــي فله الرضا ومن سخط فعليه السخط . وهذه من ضمن الـــدروس الإيمانية والتي نحن في أمس الحاجة إليها فكتاب الله عز وجل نور وهـــدى للـــناس يهـــدي بـــه الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمـــات إلى النور . قال عمر رضي الله عنه : نعم العدلان ونعم العلاوة . قال تعـــالى : (الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) .. والعدلان : الصلاة والـــرحمة ، والعـــلاوة الهدى ، فمن استرجع نال ثناء الله عليه عند الملائكة ورحمة الله له وهدايته إياه .

اللهم إنا نسألك التوفيق والهداية ونسألك المغفرة والرحمة والرجوع إليك عـــند المصـــائب ، اللهم اجعلنا من عبادك المتقين وحزبك المفلحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

في مرور الأيام والليالي عظة وعبرة :-

الحمـــد لله مصـــرف الأزمان ومقلب الليل والنهار جعل الليالي والأيام مخازن للأعمال ومراحل للآجال ، فالعباد يودعون هذه المخازن الأعمال فإن كانت صالحة فهي زاد العبد في الطريق إلى الله : (وتزودوا فإن خير الزاد الـــتقوى) وإن كانـــت غير ذلك وجدوه حاضراً وجوزوا عليه حاضراً (ولا يظلم ربك أحداً) ، وهي مراحل للآجال كل يوم يمر وكل ليلة يقطع بها العبد مـــراحل من عمره فما من يوم تشرق شمسه إلا وينادى : يا ابن آدم أنا خلق جديـــد وعلى عملك شهيد إن غربت شمسي ولم تدركني لن تدركني إلى يوم القيامة والصلاة والسلام على الهادي البشير والسراج المنير محمد بن عبدالله الذي ما من خير إلا ودل الأمة عليه وما من شر إلا وحذرها منه فصلاة ربي وســـــلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .. أما بعد :

فـــإذا انقضى بالأمس القريب شهر رمضان المبارك شهر الصيام والقيام شـــهر القرآن شهر البر والإحسان فقد عقبته وتلته مباشرة أيام فاضلة وشهور كريمة وهي أشهر الحج : شوال ، وذي القعدة ، وعشر من ذي الحجة ، قال الله تعـــالى : (الحـــج أشـــهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فســـوق ولا جدال في الحج) وهذه الأيام هي المواقيت الزمانية للحج الركن الخامس من أركان الإسلام أما مواقيته المكانية فقد حددتها السنة النبوية : ذو الحلـــيفة ، والجحفـــة ، وقرن المنازل ، ويلملم ، وذات عرق . على اختلاف فيها هل حددها رسول الله أم وقتها عمر بن الخطاب رضي الله عنه هن لهن

ولمـــن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج أو العمرة ، فمن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ حتى أهل مكة من مكة .

أخـــي الكـــريم .. فنحـــن في هذه الأيام المباركة نتعرف على أفضلية الأعمال فيها ففيها صيام الست من شوال ، وأفضلية الأعمال في آخرها وهي عشـــر ذي الحجـــة وقد ورد في ثواب العمل فيها أعني أيام عشر ذي الحجة أحاديـــث منها حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله علـــيه وسلم : " ما من أيام العمل الصالح فيها أحب إلى الله عز وجل من هـــذه الأيام – يعني أيام العشر – " قالوا : يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قـــال : " ولا الجهـــاد في سبيل الله ، إلا رجلاً خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء " رواه البخاري ، ولفظه في إحدى رواياته : " ما عمل أزكى عند الله ولا أعظم أجراً من خير يعمله في عشر الأضحى " الحديث .. ومنها حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال : " ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذي الحجة " فقال رجل : يا رسول الله هن أفضل أم عدتهن جهاداً في سبيل الله ؟ قال : " هن أفضل من عدتهن جهـــاداً في سبيل الله إلا عفيراً يعفر وجهه في التراب " رواه أبو يعلى بإسناد صـــحيح والـــبزار إلا أنـــه قال : " أفضل أيام الدنيا العشر " يعني عشر ذي الحجة ، قيل : ولا مثلهن في سبيل الله ؟ قال : " ولا مثلهن في سبيل الله إلا رجلاً عفر وجهه في التراب " .

ومـــنها حديث ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إلى الله العمل فيهن من أيام العشـــر فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير " رواه الطبراني

بإسناد جيد والبيهقي بإسناد لا بأس به إلا أنه قال : " فأكثروا فيهن من التهليل والتكبير وذكر الله وإن صيام يوم منها يعدل بصيام سنة والعمل فيهن يضاعف بسبعمائة ضعف " .. فهذا الحديث قد أوضح عظم أجر وثواب من يذكر الله فيها وفضل التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وفضل الصيام في هذه الأيام فحري بالمؤمن اغتنام هذا الموسم العظيم وتقديم الأعمال الصالحة التي تنفع في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، وهذا من فضل الله ومنه وكرمه أن جعل مواسم الخيرات تتوالى على عباده الصالحين حتى يتسابق في ذلك المتسابقون وينال فيها الفائزون الأجر العظيم .

ومما ورد من الأحاديث في فضلها وعظيم الأجر فيها ما خرجه البيهقي بإسناد لا بأس به عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كان يقال في أيام العشر لكل يوم ألف يوم ، ويوم عرفة عشرة آلاف يوم ، قال : يعني في الفضل وخرجه أبو الشيخ والبيهقي أيضاً عن الأوزعي قال : حدثني رجل من بني مخزوم عن النبي صلى الله عليه وسلم : " أن العمل في أيام العشر بقدر غزوة في سبيل الله وبصيام نهارها وبحرس ليلها إلا يحتضر امرؤ بشهادة " .

أخي المسلم إن العاقل هو الذي يغتنم العمر في طاعة الله فيتوجه إلى الله بالأعمال الصالحة ويتقرب إليه بفعل الطاعات وبالذات في الأيام الفاضلة والأيام العظيمة فالعمر محدود والأجل مقدر والعاقل من يسير بحساب وعلى هدى وبصيرة بما يصلح حاله ومآله ، ولقد جاء في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت

والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني " .. فالكيس : العاقل ، ودان نفسه : أي حاسبها ، فالعاقل هو الذي يجعل له مع نفسه وقفات محاسبة فـــإذا لحظ منها فتوراً وتقصيراً حاسبها حساباً دقيقاً وإذا لاحظ أن موسماً من مواســـم القرب والطاعات لم تشمر له عن ساعد الجد أخذ على يدها واطرها وروضـــها على العمل الصالح ، فاليوم عمل ولا حساب وغداً حســـاب ولا عمل .

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يجعلنا من عباده المتقين وحزبه المفلحيـــن الذيـــن لا خـــوف علـــيهم ولا هم يحزنون . اللهم وفقنا للطاعات واصـــرف عنا السيئات وخذ بنواصينا إليك ويسر لنا كل أمر عسير إنك ولي ذلك والقادر عليه .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

غاية التربية الإيمانية :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

فالتربية الإيمانية هي مجموعة الأعمال والأنشطة التي تمارس للمحافظة علـــى إيمـــان المربـــي بحيـــث يتوافق ما يكنه في قلبه ويعتقده مع ما يعلمه بجوارحـــه والتربية الإيمانية هي مسؤولية الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والســـلام . وغاية هذه التربية تكوين الإنسان المؤمن بالله ، الذي يطلب العلم الـــنافع ويحـــرص عليه ويقرنه بالعمل الصالح ، ويدعو غيره إلى هذا الخير ويصبر على الأذى في سبيله ، مستحضراً قول الله عز وجل : (والعصر إن الإنســـان لفـــي خســـر إلا الذيـــن آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصـــوا بالصـــبر) ، ومقـــتدياً بإمام المتقين المؤمنين سيد البشر أجمعين ورســـول رب العالمين محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم الذي كان قدوة في الخير والصلاح . والإنسان المؤمن الذي أوجدته هذه التربية يعيش حقيقة الطمأنينة أتدرون ما هي الطمأنينة ؟ وكيف يتذوق العبد حلاوتها ؟ إنها التي تصـــير بهـــا النفس مطمئنة فتطمئن في باب معرفة أسماء الله ونعوت كماله وتطمئن إلى خبره الذي أخبر به عن نفسه وأخبر به رسوله ، فتتلقاه بالقبول والتسليم والإذعان وانشراح الصدر له ، وفرح القلب به .

إن الطمأنيـــنة إلى أسماء الرب تعالى ، وصفاته ، نوعان : طمأنينة إلى الإيمـــان بهـــا وإثباتها واعتقادها ، وطمأنينة إلى ما تقتضيه وتوجبه من آثار العـــبودية ومـــن حق الله تعالى على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً : فالسجود والعبادة والتوكل والإنابة والتقوى والخشية والتحسب والتوبة والنذر

والحلـــف والتسبيح والتكبير والتحميد والاستغفار ، والطواف بالبيت والدعاء كـــل ذلك محض حق لله لا يصلح ولا ينبغي لسواه ، من ملك مقرب ولا نبي مرسل ، والأصل في ذلك حديث معاذ رضي الله عنه الذي يرويه عن رسول الله صـــلى الله عليه وسلم قال : " يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد . وما حق العباد على الله ؟ " قلت : الله ورسوله أعلم . قال : " حق الله على العباد أن يعـــبدوه ولا يشـــركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشـــرك بـــه شـــيئاً " .. وإذا أدى العـــبد هذا الحق لله تعالى شعر بالطمأنينة والإيمـــان ، لأن الإيمـــان كمـــا فهمـــه السلف الصالح هو ما وقر في القلب وصـــدقته الأعمـــال ، ومـــن مقتضـــى هذا الإيمان حفظ اللسان والجوارح وخطـــرات القلب عن كل ما يسخط الله ، وأن تسخر لكل ما يحبه الله ، ومن مقتضـــى الإيمان أيضاً الاستحياء من الله حق الحياء ، والاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ، إن ما هو معلـــوم أن الحـــواس مـــتركزة في الرأس ، فمن حافظ عليها ولم يرتكب بها محـــرماً فقد حفظها كما أن المؤمن مطالب بأن يحفظ بطنه من أكل الحرام ، وفرجه من ارتكاب المحرم .

والتربـــية الإيمانـــية مـــن أهم أهدافها سعادة الإنسان وصلاحه في دنياه وأخـــراه ، لأن الله تعـــالى هو محبوبه وغاية مراده ، وليس صلاح الإنسان وسعادته إلا بذلك ، بل وكذلك الملائكة والجن وكل حي لا صلاح له إلا بأن يكون الله وحده إلهه ومعبوده وغاية مراده .

إن للتربـــية الإيمانية في الإسلام وسائل متعددة من هذه الوسائل البنائية للإيمـــان ، والوقائـــية ، والعلاجية وهي مترابطة ترابطاً شديداً ، لأن الغاية

واحـــدة وإن تعددت الوسائل وتنوعت فمن الوسائل البنائية : النظر في دلائل القـــدرة الإلهية وعظمة الخالق سبحانه وحكمته وهي دلائل ماثلة في آيات الله الكونية على صفحة الوجود ، وفي آياته في الأنفس وفي آياته المتلوة وشرعه المـــنزل ، ومـــن هذه الوسائل لفت النظر إلى ظاهرة الموت والحياة ، ومن أهمها العبادات سواء القلبية أو غيرها ، يقول ابن القيم وهو يحث على النظر فـــي دلائل القدرة الإلهية تأمل العبرة في موضع هذا العالم وتأليف إجرائه ، ونظمهـــا على أحسن نظام وأدلة على كمال قدرة خالقه وكمال علمه ، وكمال حكمته وكمال لطفه . انتهى كلامه رحمه الله . ولقد أمر الحق سبحانه وتعالى بالـــنظر والـــتأمل في الآيات الكونية ، فقال سبحانه : (قل انظروا ماذا في الســـموات والأرض ومـــا تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون) ، وقال تعـــالى : (وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون) ، وعاب الله عز وجل على الذين لا يمعنون النظر في مخلوقاته سبحانه وتعالى ، فقال عـــز مـــن قائل : (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعـــت ، ،وإلـــى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت) ومن الأمـــور البدهيـــة أن كل صنـــعة لابد لها من صانع ، وكل فعل لابد له من فاعل ، وأن إتقان الصنعة تدل على حكمة صانعها ، فهذا الكون بما أودع الله فـــيه مـــن مخلوقات متعددة بدل على أن لـــه خالقاً وموجداً . ونظامه البديع والدقة المتناهية التي يسير بها تدل على حكمته سبحانه وتعالى (الذي أعطى كـــل شيء خلقه ثم هدى) ، (والذي قدر فهدى) سبحانه وتعالى ، يقول ابن القـــيم رحمـــه الله : كـــل موجود سوى الله هو مستند في وجوده إليه استناد المصنوع إلى صانعه ، والمفعول إلى فاعله ، ويقول أيضاً ، وأنه ليس شيء وحده يستقل بالفعل إلا الله ، وكل ما سواه لا يفعل شيئاً إلا بمشارك ومعاون وله ما يعاوقه ويمانعه .

هناك من المخلوقات بما فيها من دلائل القدرة الإلهية يغفل عنها كثير من الناس ، فالليل والنهار وما يحصل فيهما من المصالح لعباد الله من جملة هذه المخلوقـــات ، قال تعالى : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والـــنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ، وما أنزل الله من ماء فأحـــيا بـــه الأرض بعـــد موتهـــا ، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) فالنظر المقترن بالتفكر والتدبر يعود على القلب بالإيمان الراسخ والطمأنينة والسعادة .

وفقـــنا الله وإياكم إلى ما يقوي الإيمان به سبحانه وتعالى إنه نعم المولى ونعم النصير .

زيادة الإيمان ونقصه :-

الحمـــد لله والصـــلاة والســـلام على رســـول الله وآله وصحـــبه ومن والاه .. وبعد :

فـــإن لتنمـــية الإيمان وسائل ، فالإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ومـــن الطاعـــة الـــتفكر في دلائل القدرة الإلهية المتمثلة على صفحة الوجود وآياته في الأنفس والأفاق والنظر في الآيات المتلوة في القرآن الكريم ، ولقد كان معاذ رضي الله عنه ينادي أصحابه فيقول لهم : " اجلسوا بنا نؤمن ساعة فكـــانوا يجلسون مجالس الإيمان ويقومون منها وقد ازدادت قلوبهم إيماناً كما أن الذنـــوب والمعاصي تضعف جذوة الإيمان في القلب ، قال تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) أي من الذنوب والمعاصي ، فالإنسان إذا أذنـــب ذنـــباً نكـــت في قلبه نكتة سوداء فإما أن تزال بالتوبة والاستغفار ويصـــقل القلـــب منها وأما أن تبقى وتضاف إليها أخرى فإذا توالت الذنوب والمعاصي تغلف القلب فعندئذ يصبح القلب منكوساً لا يسمع داعي الحق ولا يســـتيطيع الإجابـــة ولا يرى طريق الخير فيتبعه ، ومما يزيد الإيمان تلاوة كـــتاب الله بـــتأمل وتدبـــر والـــنظر في شرع الله المنزل ، فقد وضع أحكم الحاكمين شرائع دينه دالة عليه وشاهدة له بكمال علمه وحكمته ولطفه بعباده وإحسانه إليهم .

وإذا كانـــت آيـــات الله المشاهدة وآياته المتلوة وشرعه المنزل تدل على قدرتـــه وعظمته وشفقته وحكمته فإن من يعتبر بذلك هو صاحب القلب الحي

الذي قال الله فيه : (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) ، أما صاحب القلب الغافل فإنه لا يستفيد من ذلك فهو بحاجة إلى من يوقظه من غفلته ويبصره ويهده ، ولابن القيم كلام مفيد يذكر فيه كيف يكون تنبيه القلب من رقدته فيقول رحمة الله عليه [آيات الرب تبارك وتعالى تبصرة وذكرى يتبصر بها من عمى القلب ويتذكر من غفلته فإن المضاد للعلم الجهل وزواله بالتبصر وأما غفلته وزواله بالتذكر ، والمقصود تنبيه القلب من رقدته بالإشارة إلى شيء من بعض آيات الله] انتهى كلام ابن القيم .

وهذا يذكرنا بفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم عندما كانوا يتفقدون إيمانهم ويحافظون على قلوبهم من الغفلة بتذكر عظمة الله وجلوسهم لذلك ، ويرون في هذا زاداً إيمانياً لهم يتقوون به على طاعة الله ، إن ظاهرة الموت توقظ القلب من غفلته ، يقول صلى الله عليه وسلم : " كفى بالموت واعظاً " ، ويقول : " تذكروا هاذم اللذات " الموت . فالإنسان في غمرة هذه الحياة وما تتطلبه من جهد وما تستنزفه من وقت ينسى نفسه ويغفل عن مصيره الذي ينتظره ونهايته الحتمية ، ولا يظن الإنسان أنه أعطي ضماناً من الموت ، كما أنه لا يضمن أن الموت هو نهاية الرحلة والطريق الذي يسير فيه ، فالموت ما هو إلا انتقال من حال إلى حال ، فالعاقل هو الذي يستعد للآخرة ويتزود بزاد التقوى ، قال تعالى : (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) والحالات التي يعيشها الإنسان هي الحياة الدنيا من حين ولادته إلى أن يلقى الله عز وجل ، والحال الثانية ، حياته في البرزخ وعالم القبور ، وتبدأ من إدخاله القبر إلى النفخة الثانية في الصور ، والحالة الثالثة والأخيرة ، تبدأ من النفخة الثانية في الصور التي يقوم على

إثـــرها الناس من القبور ، ويحشرون للحساب ، في هذا اليوم لا ينفع الإنسان إلا ما قدم من خير في دنياه ، بل الإنسان في هذا اليوم محاسب ومجزى بما قـــدم ، قـــال تعـــالى : (كل نفس بما كسبت رهينة) ، فالناس في هذا اليوم صنفان فريق في الجنة وفريق في السعير ، وهم أيضاً صنفان بالنسبة لتناول الكتب وصحف الأعمال ، فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ، ومنهم من يأخذ كتابه بشـــماله فقد بين الحق سبحانه وتعالى جزاء كل من هذين الصنفين ومصيره وحالـــته ، قال تعالى : (فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه إنـــي ظننـــت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانـــية كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الخالية ، وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه ياليتها كانت القاضية ما أغنى عنـــي ماليه خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين فليس له اليوم ها هنا حميم ولا طعام إلا من غسلين لا يأكله إلا الخاطئون) .

إن الإنســـان العاقل والحصيف هو الذي يفكر في خاتمة المطاف لرحلته على هذه الأرض فالإنسان سيرحل يوماً ما من هذه الدنيا وهذا أمر لا يختلف عليه اثنان ، فما منا إلا وقد فارق صديقاً له حميماً ، وإنه سيلحق بهم في يوم مـــن الأيام وعليه أن يفكر في الخاتمة الحسنة ، فيعمل في هذا الدنيا بما أمره الله عـــز وجـــل ويعـــيش الطاعة ولذة العبادة فيسعد في هذه الدنيا بالطمأنينة والإيمـــان والتقوى والإحسان فينال بذلك معية الله له ، قال تعالى : (إن الله مـــع الذين اتقوا والذين هم محسنون) ويستحق نصرة الله ودفاعه عنه ، قال تعـــالى : (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) وينال كثرة الرزق ، من طرق لا يلقـــي لها بالاً ولا تقع في حسه ، قال تعالى : (من يتق الله يجعل له مخرجاً

ويـــرزقه مـــن حيث لا يحتسب) ، فالله عز وجل سيجعل لهذا المؤمن فرجاً ومخـــرجاً مـــن كـــل هم ومن كل كرب ويفتح لـــه وســـائل الرزق وأبواب الخـــيرات ، أما في الآخرة فسعادة هذا الإنسان المؤمن بالله والمتقي لا يعدلها ســـعادة في يوم تشيب منه الوالدان وتذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها ، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شـــديد ، فـــي هذا اليوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، في هذا اليوم ينادى منا فريق في الجنة وفريق في السعير ، في هذا اليوم تشخص الأبصار وتشرئب الأعـــناق ولا يكـــون فـــي الأمن والطمأنينة والسلام إلا الذين أنعم الله عليهم بالإيمـــان فـــي الدنيا فعاشوا به سعيدين وماتوا مرضياً عنهم فيدخلون الجنة ويـــرون الله عز وجل كما يرون البدر ليلة تمامه لا يضامون في رؤيته هذا الســـعادة فـــي الدنيا وهذا الفوز في الآخرة يقتضي منا أن نحيا حياة الإيمان ونلتزم طاعة الرحمن.

وفقـــنا وإيـــاكم لما فيه سعادة الدارين ، وجعلنا وإياكم ممن يستمع القول فيتبع أحسنه إنه ولي ذلك والقادر عليه .

ثمار الإيمان في شهر الصيام :-

الحمـــد لله مصرف الليل والنهار أحمده حمداً كثيراً طيباً وأصلي وأسلم على الهادي البشير محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه .. أما بعد :

إن مواســـم الخيرات فرصة للمؤمن يتزود فيها بزاد الإيمان والتقى ومن هـــذه المواسم شهر رمضان المبارك ، فمن صامه إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، عن أبي هريرة رضي الله عن النبي صلى عليه وسلم قـــال : " من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر لـــه ما تقدم من ذنبه " متفق عليه . ولكـــن ينبغي للصائم الذي يؤمل هذا الأجر ويحرص على المغفرة أن يحفظ صـــيامه ويقـــف عند حدود الله ، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبـــي صلى الله عليه وسلم قال : " من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ منه كفر ما قبله " رواه ابن حبان .

فمـــن عرف حقوق الصيام وما ينبغي أن يكون عليه الصائم وتحرج من ارتكـــاب الذنـــوب فهو الصائم الحقيقي أما من ظن أن الصيام هو الكف عن الطعام والشراب فقط دون التحفظ عن المحرمات فإنه قد أتعب نفسه ولم يكن لـــه من صومه إلا الجوع والعطش ، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يـــدع طعامه وشرابه " ، وقد أوصى النبي صلى الله عليه وسلم بأن يملك نفســـه عند الغضب حتى ولو سابه أحد أو شاتمه فليقل إني صائم ، ولقد كان الســـلف رحمهم الله يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم رمضان كما يدعون الله

ســـتة أشـــهر أن يتقـــبله منهم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : دخل رمضـــان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن هذا الشهر قد حضركم وفيه ليلة خير من ألف شهر من حرمها فقد حرم الخير كله ولا يحرم خيرها إلا محروم " رواه ابن ماجة بإسناد حسن وشهر الصوم هو شهر الصبر لأن جميع أنواع الصبر تحصل للمؤمن ، ففيه صبر على طاعة الله ، وصبر عن معاصيه بكف الجوارح عن كل محرم ، وصبر على أقداره المؤلمة والصبر ثوابـــه الجـــنة فهو مدرسة تربوية فالإرادة تقوى فيرى العبد المؤمن شهوات النفس وملذاتها ولكنه يضبط إرادته ويشحذ عزيمته لأن الله يراه لذلك جاء في الحديث القدسي قوله عز وجل : " كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به ، يترك شهوته وطعامه مـــن أجلي ... " ، فالصيام سر بين العبد وربه فلو أن رجلاً أكل وشرب في حال الخفاء ما علم الناس بشأنه لكن أمره لا يخفى على علام الغيوب ، وشهر رمضـــان أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار وفيه ليلة العبادة فيها خير من ألف شهر فيما سواها وهي ليلة القدر ، قال تعالى : (إنا أنزلناه فـــي لـــيلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر تنزل الملائكـــة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر) وفـــي هذا الشهر يمن الله على عباده المؤمنين بالرحمة والمغفرة والرضوان وتفـــتح فـــيه أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب النيران وتصفد الشياطين ومردة الجـــان ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـــال : " إذا جـــاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين " رواه البخاري ومسلم ، وفي رواية لمسلم : " فتحت أبواب الرحمة وغلقت أبواب جهنم وسلسلة الشياطين " قوله صفدت أي شدت بالأصفاد وهي الأغلال والسلاسل وخرج أحمد والبزار بإسنادهما عن أبي هريرة رضي الله

عـــنه قال : قال رسول صلى الله عليه وسلم : " أعطيت أمتي خمس خصال فـــي رمضان لم تعطهن أمة قبلهم : خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المســـك ، وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ، ويزين الله عز وجل في كل يوم جنته ثم يقول : يوشك عبادي الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة ويصبروا إليك وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون فيه إلى ما كانوا يخلصون إليه فـــي غيره ويغفر لهم في آخر ليلة " قيل : يا رسول الله ، أهي ليـــلة القدر ؟ قـــال : " لا ولكـــن العامل إنما يوفى أجره إذا قضى عمله " . وعن ســـلمان رضـــي الله عنه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر يوم من شعبان فقال : " يا أيها الناس قد أظلكم شهر عظيم مبارك شهر فيه ليلة خير مـــن ألـــف شـــهر جعل الله صيامه فريضه وقيام ليله تطوعاً من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه ومن أدى فريضة فيه كان كمـــن أدى ســـبعين فريضة فيما سواه وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وشهر المواساة وشهر يزاد فيه في رزق المؤمن من فطر صائماً كان مغفرة لذنوبـــه وعـــتق رقبته من النار وكان لـــه مثل أجره من غير أن ينقص من أجـــره شيء " ، فحري بك أيها المؤمن أن تغتنم هذا الموسم العظيم فتتقرب إلى الله فيه بالطاعات وتبتعد عن الذنوب والسيئات وتجعل هذا الشهر فرصة لتهذيـــب الـــنفس وتقوية الإيمان وزيادة التقوى ، قال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون) .

اللهم إنا نسألك أن تبلغنا رمضان وأن توفقنا للعمل الصالح وأن تتقبل منا صالح العمل .. اللهم آمين .

فضل الصيام وفوائده :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

فـــإن الله عـــز وجل قد تكرم على هذه الأمة بشهر رمضان شهر القيام شـــهر تنزل فيه الرحمـــات فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حـــرم ، لقـــد أنعم الله على عباده المؤمنين في هذا الشهر العظيم فوفقهم فيه للتسبيح والتهليل والقيام والصيام والزكاة والصدقات والبر والإحسان ولا شك أن هذه الأعمال لها تأثيرها البالغ في تربية النفس وصفاء الفكر وصحة البدن ونقاء العقل وعندما يؤذن رمضان بالرحيل فإن العاقل الحصيف وهو يودعه بلهفـــة وحـــزن يحرص على محاسبة النفس لتستقيم بعده على طريق الخير والصلاح ومن المنسب أن يسأل نفسه بعضاً من الأسئلة هل قام في رمضان بمـــا ينبغـــي أن يقوم به ؟ هل يشعر أن هناك تغيير في مجرى حياته نتيجة للتأثـــير الذي حصل عليه في هذا الشهر المبارك ؟ وهل أخلص النية لله في العمـــل ؟ وهل هذب الصوم نفسه ؟ وهل عقد العزم على استمرارية التوبة ؟ مـــا هـــي العبر والعظات والدروس والفوائد التي تزود بها في حياته الدنيوية والأخـــروية هل أدبه الصوم بالإقلاع عن خطيئته التي أعادها قبل الصوم ؟ هل هو عازم على الاستمرار في الطاعة والإقلاع عن المعصية ؟ .. إذا كان أخي المسلم قد تحقق لك ذلك فعليك أن تحمد الله الكريم المنان صاحب الفضل والإحســـان أرحم الراحمين الذي يفرح بتوبة عبده ويبسط يده بالنهار ليتوب مســـيء اللـــيل ويـــنادي فـــي آخر الليل هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ الذي جعل سبحانه شهر رمضان شهر رحمة ومغفرة وعتق من النار .

هـــا هـــو رمضان قد أذن بالرحيل . فالعزاء للمسلم تحوله من حال إلى حال أحسن .. فالأثر الحسن والمعنوي لشهر رمضان يشتملان على كثير من المـــثل العليا التي يتحول بها العاصي إلى تائب ويتحول المخطئ إلى مصيب وتـــندحر الـــرذيلة وتنتشر الفضيلة وتصفد الشياطين وتفتح للصائمين أبواب الـــرحمة ويـــتحول المســـيء إلـــى محسن والظالم إلى بار وناصر للمظلوم والمسرف إلى متزن ومعتدل والبخيل إلى كريم والجحود إلى عبد شكور .

إن اســـتمرار المسلم في الطاعة سواء في رمضان أو غيره يعتبر مكسباً مـــن مكاســـب شهر رمضان والثبات على طاعة الله بعد التوبة والإقلاع عن المعصية مكسب من مكاسب رمضان ، وليكن وداعك لرمضان وداعاً طيباً لا يعقـــبه تهـــاون بالصلاة ولا تقصير في الطاعة والعبادة ولا ظلم لمخلوق ولا سفر في معصية . ولا تعقبه سفاهة أو جهالة ، فإذا كان شهر رمضان تودعه قلـــوب المؤمنين بالحزن على الفراق ، لكن السلوة للمسلم أنه استفادة دروساً تـــربوية ومكاسب باقية في القلوب وأعمالاً في الخير وصدقات مستمرة طول الحـــياة على الفقراء والمحتاجين والشكر على النعم والإقرار بالنعم والفرحة عـــند الفطر وعند لقاء ربه ومن الصدقات زكاة الفطر التي فرضت في ختام هذا الشهر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين من إخراجها قبل صـــلاة العـــيد فهي زكاة ومن أخرجها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات صاع من بر من شعير أو صاع من تمر أو صاع من زبيب أو صاع من إقط علـــى الذكر والأنثى والصغير والكبير والحر والعبد ويستجيب إخراجها عن الحمـــل ، وهـــي أن من علامة قبول العمل تحسن حال العامل بعده ، فيا من كنـــت بـــالأمس تحرص على الصلاة جماعة وتشهد لك بيوت الله بعمارتها فعلـــيك أن تستمر على هذا وتشكر الله على التوفيق وما توفيقي إلا بالله . يا

مـــن كنت تحرص على تلاوة القرآن ، اجعل لك ورداً قرآنياً من ليل أو نهار ولا تهجر كتاب الله الذي فيه سر سعادتك ، وتجعله خلف ظهرك نسياً منسياً ، واجعل قول الله تعالى : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أمام عينيك فاستمر علـــى طاعـــة الله مدى الحياة حتى تلقاه وأنت قرير العين قد رضي الله عنك وأرضـــاك . قال تعالى : (يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي) ، وتأكد أن الله عز وجل غني عن العالميـــن ، لا تـــنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي ، واحرص جهـــدك على مراقبة الله عز وجل في السر والعلانية وراقب نفسك التي بين جنبـــيك واحملهـــا على طاعة الله وروضها على فعل الخيرات وتأكد أنه ما ينتهـــي موســـم مـــن مواســـم الخيرات إلا ويعقبه موسم آخر ، فها هو شهر رمضـــان قـــد آذن بالرحـــيل وتأتي بعده أشهر الحج : شوال ، وذو القعدة ، وعشر من ذي الحجة ، وفيها أنواع من الطاعات أجرها عظيم وفضلها كبير . فصـــيام ســـت من شوال دبر شهر رمضان يعدل صيام الدهر لأن الله من فضـــله على عباده يضاعف لهم الأعمال الصالحة الحسنة بعشر أمثالها فشهر رمضـــان يعـــدل صـــيامه بعدد عشرة أشهر ، وصيام ست من شوال تعدل شهرين فحافظ أخي المسلم على هذا الأجر العظيم ، عن أبي أيوب رضي الله عـــنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من صام رمضان ثم أتبعه ســـتاً من شوال كان لصيام الدهر " رواه مسلم . وعن ثوبان رضي الله عنه عـــن رســـول الله صلى الله عليه وسلم قال : " جعل الله الحسنة بعشر امثالها فشهر بعشرة أشهر وست أيام بعد الفطر تمام السنة " رواه النسائي واللفظ له وابـــن ماجة وابن خزيمة ، وفي رواية للنسائي وابن خزيمة : " صيام شهر رمضان بعشرة أشهر وصيام ستة أيام بشهرين فذلك صيام السنة " .

وخـــرج الطبرانـــي بإســـناده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم : " من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه " .

اللهـــم اخـــتم لنا شهر رمضان برضوانك والعتق من نيرانك ، اللهم كما وفقتـــنا فيه للصيام والقيام وفقنا فيه للقبول ، وكما سلمت لنا رمضان فتسلمه مـــنا متقبلاً مبروراً ، واغفر لنا في جميع الأمور واجعلنا ممن وفق فيه لليلة القـــدر واخـــتم لنا بالصالحات ، اللهم إنا نسألك رضاك والجنة ونعوذ بك من ســـخطك والـــنار ، اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنا ، اللهم احشرنا في زمرة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين برحمتك يا أرحم الراحمين .

وآخـــر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أهمية الزهد والورع في تصفية النفس :-

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد :

فإن الزهد في الدنيا من الأمور المحمودة ولا يزهد فيها إلا العظماء من الناس وفرق بين الزهد والعجز فإن الزهد في الشيء هو احتقاره وعدم الرغبة فيه مع القدرة على الحصول عليه وهو بعكس العجز عن الحصول عليه والعجز منهي عنه والزهد مرغب فيه . والزهد في الدنيا وعدم الرغبة فيها عدولاً إلى الآخرة وإقبال عليها ، قال الحق سبحانه وتعالى : (قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى وتظلمون فتيلاً) ، وقال تعالى : (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) ، وقال تعالى : (وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) ، وقال تعالى : (يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار) .. ولقد عرف الرسول صلى الله عليه وسلم قيمة هذه الدنيا فزهد فيها وحث أصحابه على الزهد فيها بلسان حاله ومقالة عن عائشة رضي الله عنها قالت : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وما في بيتي شيء يأكله ذو لبد إلا شطر شعير في رف لي فأكلت منه حتى طال علي فكلته ففنى . متفق عليه . وعنها رضي الله عنها قالت : ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم من خبز وشعير يومين متتاليين حتى قبض . متفق عليه .

ففي هذا بيان للحالة المعيشية التي كان يحياها رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أن الله عز وجل قد خيره بأن يحيل له جبال الدنيا ذهباً أو أن يعيش

حياة الزهد فاختار عليه الصلاة والسلام أن يجوع يوماً ويشبع يوماً ولقد ربى أصحابه رضوان الله عليهم على هذا الزهد وبين أنهم خير القرون على الإطلاق . عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " خيركم قرني ثم الذين يلونهم – قال عمران : فما أدري قال النبي صلى الله عليه وسلم مرتين أو ثلاثاً – ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر منهم السمن " . متفق عليه .

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يعيش حياة الزهد لأن قلبه لم يكن معلقاً بالدنيا وحطامها وهكذا أصحاب الهمم العالية لا تستعبدهم الدنيا ولا يقيمون لها وزناً فهذه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها توضح لنا كيف كانت حياتهم ومستوى معيشتهم فتقول رضي الله عنها : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند يهودي في ثلاثين صاعاً من شعير . متفق عليه . بل إنه عليه الصلاة والسلام كان يدل أصحابه على الطرق التي تكون سبباً في حب الله لهم بلك إنهم كانوا يحرصون على سؤال رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يكون سبباً في حب الله لهم وحب الناس . عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبني الناس . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس " رواه ابن ماجة . ولو أردنا أن نستنبط من هذا الحديث قولاً تربوياً فإننا نجد من أهمها حرص الصحابة والسلف الصالح على السؤال فيما يفيدهم ويصلح حالهم وينمي معلوماتهم . فالسؤال مفتاح التعليم ، والحق سبحانه وتعالى يقول : (فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون) ثم نجد أن

السؤال موجه إلى معرفة الأسباب التي ينال العبد بها حب الله وحب الناس ، ومـــن أهـــم الوسائل والأسباب بعد أداء أوامر الله واجتناب نواهيه الزهد في الدنيا وترك الميل إليها واحتقارها وعدم الرغبة فيها عدولاً إلى الآخرة والثقة بمـــا عـــند الله من نعيم الدنيا والآخرة ولا ينون الزهد من العبد بعد معرفته التامة بقيمة الدنيا وقدرها عند الله فلو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء .

كما أن الزهد فيما عند الناس يؤدي إلى حب الناس وتقديرهم فمن يتعفف يعفه الله ومن يستغني يغنه الله .. ولقد عرف السلف رحمهم الله معنى الزهد وقاموا بتحقيق معناه وتطبيق مقتضاه على حياتهم العملية فهذا سفيان الثوري رحمـــه الله يعرف لنا الزهد فيقول : [الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس يأكل الغلـــيظ ولا بلـــبس العباءة] وهو بهذا يرد على أناس كانوا يظنون أن الزهد يحـــتم عليهم لبس الخشن من الثياب وأكل الغليظ من الطعام ونسوا أو تناسوا قـــول الله عز وجل : (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " اصلحوا رواجلكم ، اصلحوا ثيابكم لـــتكونوا كالشامة بين الناس ... " فالزاهد الحقيقي هو الذي لا يذم الدنيا ولا يمدحهـــا ولا يفـــرح بها إذا أقبلت ولا يحزن عليها إذا أدبرت ولا ينظر إليها نظرة إجلال وتعظيم .

إن الزهاد هم الذين ساسوا النفوس بطاعة الله واعتلوا على حظوظ الدنيا وحطامها وهم خير البرية وأفضل الخلق على الإطلاق ، سئل ابن المبارك .. مـــن الـــناس ؟ قال : العلماء . وسئل من الملوك ؟ قال : الزهاد . وسئل من الســـفلة ؟ قال : الذين يعيشون بدينهم . رحم الله ابن المبارك فقد عرف قيمة

العلـــم ومكانـــته عند الله وقدر العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فهم الناس حقاً كالـــنجوم يقـــتدى بها هم زينة البرية كما تزين النجوم السماء . يدلون الناس علـــى الخـــير والشر فيحثونهم على اتباع الخير وسلوك سبله ويحذرونهم من الشـــر ومهالكـــه ، إنهم الناس بحق وكل البرية بحاجة إلى علمهم لذا فالعالم الربانـــي يســـتغفر لـــه كل من في السماء والأرض حتى الحيتان في البحر والوحوش في البرية والحجر والمدر .

إن الذيـــن يزهدون في الدنيا ينالون حب الله ومرضاته والذين يزهدون فـــيما عند الناس يحظون بحب الناس لهم وتقديرهم إياهم هم أصحاب النفوس الكبيرة والطموحات العظيمة ملكوا زمام أنفسهم فهم الملوك قدرهم عظيم عند الله وقدرهـــم عظـــيم عند الناس إنهم بعكس من يعيشون بدينهم ويتاجرون به الـــذي اشتروا هذا العرض الزائل وفضلوه على الآخرة التي هي الحيوان لو كـــانوا يعلمون . لم يستفيدوا من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة أصحابه رضوان الله عليهم حيث عاشوا حياة الكفاف والزهد ، عن ابن عباس رضـــي الله عنهما قال : قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على حصير فجلست فإذا عليه إزاره وإذا الحصـــير قد أثر في جنبه وإذا أنا بفضة من شعير نحو الصاع وقرص فـــي ناحية من الغرفة وهو حب معروف كالعدس وإذا اهاب معلق أي جلد . فابـــتدرت عيـــناي أي ذرفت بالدموع . قال : " ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ " فقلـــت : يـــا نبـــي الله وما لي لا أبكي وهذا الحصير قد أثر في جنبك وهذه خزانـــتك لا أرى فـــيها إلا ما أرى وذاك كسرى وقيصر في الثمار والأنهار وأنت نبي الله وصفوته وهذه خزانتك ؟ قال : " يا بن الخطاب أما ترضى أن تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا " ، بأبي أنت وأمي يا رسول الله . ما أعظم قدرك

عـــند الله إنـــك ارتفعـــت عن حظوظ الدنيا والتعلق بها ، إنك القدوة والأسوة والمعلم المربي صلوات ربي وسلامه عليك .

نعـــود ونؤكـــد ونقول : بأن هذا الذي نتحدث عنه لا يعني الانزواء عن الدنـــيا وحياة الرهبنة بل إنه يثبت أن رسول الله كان يأكل الحلوى ، ويتطيب ويظهـــر أمـــام الوفود والزوار بالمظهر اللائق لكن ما نعنيه هو عدم الركون إلـــى ملذات الدنيا وشهواتها وعدم التكالب عليها وجعلها الشغل الشاغل والهم الذي لا ينقطع .

نسأل الله الكريم رب العرش العظيم أن يلهمنا الرشد والسداد ويوفقنا إلى كل خير .

فضل ليلة عيد الفطر :-

الحمد لله المنعم المتفضل والصلاة والسلام على الهادي البشير والسراج المنير .. أما بعد :

فحـــول شهر رمضان وثواب من قامه إيماناً واحتساباً وما أعده الله عز وجـــل لعباده المؤمنين من الأجر العظيم والمثوبة والرضوان فعن أبي هريرة رضـــي الله عـــنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضـــان مـــن غـــير أن يأمرهم بعزيمة ثم يقول : " من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه " وعن عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صـــلى الله علـــيه وسلم ذكر رمضان بفضله على الشهور " من قام رمضان إيمانـــاً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه " رواه النسائي . وفي رواية له : " أن الله فرض صيام رمضان وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيماناً واحتساباً خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه " .

وخرج أبو الشيخ والبيهقي بإسنادهما عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الجنة لتبخر وتزين من الحول إلـــى الحول لدخول شهر رمضان فإذا كانت أول ليلة من شهر رمضان هبت ريـــح مـــن تحت العرش يقال لها المثيرة فتصعق ورق أشجار الجنان وحلق المصارع فيسمع لذلك طنين لم يسمع السامعون أحسن منه فتبرز الحور العين حـــتى يقفـــن من شرف الجنة فينادين هل من خاطب إلى الله فيزوجه ثم يقلن الحـــور العيـــن يا رضوان الجنة ما هذه الليلة فيجيبهن بالتلبية ثم يقول : هذه

أول لـــيلة من شهر رمضان فتحت أبواب الجنة على الصائمين من أمة محمد صـــلى الله علـــيه وسلم . قال : ويقول الله عز وجل يا رضوان افتح أبواب الجنان ويا مالك أغلق أبواب الجحيم ويا جبريل اهبط إلى الأرض فصفد مردة الشياطين وغلقهم بالأغلال ثم اقذفهم في البحار حتى لا يفسدوا على أمة محمد حبيبي صلى الله عليه وسلم صيامهم . قال : ويقول الله عز وجل في كل ليلة من شهر رمضان لمناد ينادي ثالث مرات هل من سائل فأعطيه سؤله هل من تائب فأتوب عليه هل من مستغفر فأغفر له ؟ من يقرض المليء غير العدوم والوفي غير الظلوم ؟ قال : ولله عز وجل في كل يوم من شهر رمضان ألف ألـــف عتـــيق مـــن النار كلهم قد استوجب النار فإذا كان آخر يوم من شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بقدر ما أعتق من أول الشهر إلى آخره وإذا كانـــت لـــيلة القـــدر يأمر الله عز وجل جبريل عليه السلام فيهبط كوكبة من الملائكـــة ومعهم لواء أخضر فيركز اللواء على ظهر الكعبة وله مائة جناح مـــنها جـــناحان لا ينشرهما إلا في تلك الليلة فينشرهما في تلك الليلة فيجاوز المشرق إلى المغرب فيحدث جبريل الملائكة في هذه الليلة فيسلمون على كل قـــائم وقـــاعد ومصل وذاكر ويصافحونهم ويؤمنون على دعائهم حتى يطلع الفجـــر فـــإذا طلـــع الفجر ينادي جبريل عليه السلام معاشر الملائكة الرحيل الرحـــيل فيقولون : يا جبريل ما صنع ربنا في حوائج المؤمنين من أمة أحمد صلى الله عليه وسلم نظر الله إليهم في هذه الليلة فعفا عنهم إلا أربعة . فقلنا : يا رسول الله منهم رجل مدمن خمر وعاق لوالديه وقاطع رحم مشاحن ، قلنا: يـــا رســـول الله ما المشاحن ؟ قال : المصارم أي المقاطع . فإذا كانت ليلة الفطـــر ســـميت تلك الليلة ليلة الجائزة . فإذا كانت غداة الفطر بعث الله عز وجـــل الملائكة في كل بلاد فيهبطون إلى الأرض فيقومون على أفواه السكك فيـــنادون بصوت يسمع من خلق الله عز وجل إلا الجن والإنس فيقولون : يا

أمة محمد اخرجوا إلى رب كريم يعطي الجزيل ويعفو عن العظيم فإذا برزوا إلـــى مصلاهم يقول الله عز وجل للملائكة ما جزاء الأجير إذا عمل عمله ؟ قـــال فيقول الملائكة : إلهنا وسيدنا جزاؤه أن توفيه أجره قال : فيقول : فإني أشـــهدكم يا ملائكتي إني قد جعلت ثوابهم من صيامهم شهر رمضان وقيامهم رضـــائي ومغفرتي . ويقول : يا عبادي سلوني فوعزتي وجلالي لا تسألوني الـــيوم شـــيئاً فـــي جمعكـــم لآخرتكم إلا أعطيتكم ولا لدنياكم إلا نظرت لكم فوعزتـــي لأســـترن علـــيكم عثراتكم ما رغبتموني فوعزتي لا أخزيكم ولا أفضحكم بين أصحاب الحدود انصرفوا مغفور لكم فوالله رضيتموني ورضيت عنكم . فتفرح الملائكة وتستبشر بما يعطي الله عز وجل هذه الأمة إذا أفطروا من شهر رمضان .

أرأيـــتم هذا الفضل العظيم في هذا الشهر الكريم من الله عز وجل الذي تفضل على عباده وفتح لهم أبواب الخيرات فالبدار البدار لاغتنام ما بقي من أيامـــه ولياليه فإنه يمر سريعاً .. فنسأل الله فيه القبول والرضوان والعفو من النيران اللهم وفقنا للصيام والقيام وأعنا على ذكرك وشكرك .

من ثمار التربية الإيمانية :-

الحمد لله الذي عليه يتوكل المتوكلون ، أحمده حمداً كثيراً وأصلي وأسلم على إمام المتقين وقائد الغر المحجلين محمد بن عبدالله صلوات ربي وسلامه عليه .. أما بعد :

فـــإن المؤمـــن الحق ينبغي أن يكون في أعلى درجات اليقين والإيمان بقضـــاء الله وقدره وأن يكون متوكلاً على الله حق التوكل معتمداً عليه دون ســـواه فـــإن فعل ذلك فالله عز وجل سيكفيه كل شر ويحفظه من كل مكروه ويعطيه كل ما سأل وعلى الله فليتوكل المؤمنون . وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يتوكل عليه فقال عز من قائل : (فتوكل على الحي الذي لا يموت) وقال سبحانه في وصف المؤمنين : (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون) ، والرســـول صلى الله عليه وسلم قد ربى أصحابه على هذا اليقين وهذا التوكل ومـــا أمـــام الواحد منهم إذا رأى ما يكره أو حلت به مصيبة أو حاق به مكر الحاقديـــن وكيد الحاسدين إلا أن يقول حسبنا الله ونعم الوكيل ، هذا ما عمله المصـــطفى صـــلى الله عليه وسلم لأصحابه رضوان الله عليهم ورباهم عليه بقولـــه وفعله ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا (إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) . رواه البخاري .

وقـد كان صلى الله عليه وسلم من دعائه كما روى ابن عباس : " اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت وبك خاصمت ، اللهم أعـوذ بعـزتك لا إلـه إلا أنت أن تضلني أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنـس يموتـون " متفق عليه . وقد علم أصحابه رضوان الله عليهم دعاءً يقوله أحدهم إذا خرج من بيته فيحفظه الله من الشيطان ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من قال – يعني إذا خرج من بيته – بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، يقال له هديت وكفيـت ووفيت ، وتنحى عنه الشيطان " رواه أبو داود والترمذي والنسائي وغـيرهم ، قال الترمذي حديث حسن ، زاد أبو داود : فيقول يعني الشيطان لشـيطان آخـر كيف لك برجل قد هدى وكفى ووقي . وفي التوكل على الله والاعـتماد علـيه طمأنينة للنفس وراحة للضمير فالمتوكل على الله يعلم علم اليقيـن أن مـا قـدره الله كائن وأن ما كتبه لله من رزق سيحصل علـيه لا محـالـة ، ولكـن هـذا ينبغي أن لا يصده عن الأخـذ بالوسائل والأسباب المشـروعة ، عن عمر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صـلى الله عليه وسلم يقـول : " لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطـير تغدو خماصاً وتروح بطاناً " رواه الترمذي وقال حديث حسن . معناه تذهـب أول النهار خماصاً أي ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بطانـاً أي ممتلـئة البطون . إن هذا التوضيح للنبي في هذا الدرس التربوي لـيدل دلالة واضحة على أن دين الإسلام دين جد وعمل . يحذر من البطالة والكسل والاتكالية فهذه الطيور لم تبق في أوكارها لتنتظر الرزق الذي يسوقه إلـيها بل خرجت من أوكارها باحثة وآخذة بأسباب طلب الرزق ففي غدوها ورواحها هي تبحث عن رزق الله لها وهذا يعطي الدليل القاطع الذي لا شك

فـــيه أن الأخـــذ بالوسائل المشروعة لا يتنافى مع التوكل على الله والاعتماد عليه .

فـــي دراســـة الســـيرة النبوية بيان لهذه المعاني فالرسول عليه الصلاة والســـلام فـــي هجـــرته من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة سلك جملة من الوسائل والأسباب التي تعمى على المشركين خطته في الهجرة . فقد نام علي رضي الله عنه في فراشه والمشركون يحاصرونه من كل جانب فقد كان قبل ذلـــك عـــبأ رفيق السفر وأعد الراحلة وأخذ العدة واختبأ بغار ثور وكلف من يأتـــي لـــه بالأخبار ويزوده بالطعام وهيأ دليل الطريق وقبل ذلك وبعده هو متوكل على الله ومعتمد عليه .

ومـمـــا يؤكد هذا اليقين وذاك التوكل ما رواه أبو بكر الصديق رضي الله عـــنه حيـــث قـــال : نظـــرت إلى أقدام المشركين ونحن في الغار وهم على رؤوسنا فقلت : يا رسول الله لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا . فقال : " ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما " ، وأنزل الله تعالى في هذا قرآناً يتلى إذ قال سبحانه وتعالى : (إذ أخرجه االذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذا يقـــول لصـــاحبه لا تحزن إن الله معنا) ، فعلى التاجر المسلم أن يعلم أن بـــتوكله ويقينه تطمئن نفسه وتقنع بما كتب الله لها فيرضى بما أكسبه الله من رزق فلا يحسد أحداً على ما آتاه الله ولا يحمل نفسه فوق طاقتها ظناً منه أنه ســـيحوز ربحـــاً كثيراً بهذا الجري وهذا الجهد ، وعلى طالب العلم أن يأخذ بوسائل كسبه ويتوكل على الله ويعتمد عليه ويوقن بأن النجاح والفشل بيد الله ســـبحانه وتعـــالى وكذلك كل فرد من أفراد المجتمع المسلم أخذ بمبدأ التوكل

علـــى الله واليقيـــن بمـــا عـــنده لاستقامت أمور المجتمع وصلح الأفراد فيه واستقامت الأسر .

أسأل الله أن يكسبنا اليقين والتوكل عليه وأن يجعلنا هداة مهتدين إنه ولي ذلك والقادر عليه .

من وسائل بناء الإيمان الاجتهاد في الطاعة والعبادة :-

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .. أما بعد :

فإن من المعلوم لكل مسلم أن الله خلقنا للعبادة وأمرنا بطاعته والتمسك بهديه وشريعته وهذا يتطلب ترويض النفس ومجاهدتها حتى تألف الطاعة وتنفر من المعصية وهذه المجاهدة وذاك الترويض بحاجة إلى صبر ومصابرة . فالجنة قد حفت بالمكاره والنار قد حفت بالشهوات قال تعالى : (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين) ، والرسول صلى الله عليه وسلم هو أمامنا وقدوتنا كان يجتهد في العبادة ويقوم من الليل حتى تتفطر قدماه عليه الصلاة والسلام لأن الله عز وجل أنزل عليه قوله : (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) ، وقوله : (واذكر ربك وتبتل إليه تبتيلاً) ، وقد كانت عائشة رضي الله عنها ترى من شدة اجتهاده في العبادة ما أثار استغرابها فأخذت تسأله عن ذلك فيجيبها مبيناً لها الغاية السامية التي يسعى لتحقيقها . عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقالت له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : " أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً " متفق عليه .

فالمسلم الذي قد جعل هذا النبي الكريم هو قدوته يحرص حريصاً شديداً على امتثال أمر الله سبحانه وتعالى كما أنه يؤمل الأجر والمثوبة العظمى من

الله سبحانه وتعالى لأنه بطاعته لربه قد أصبح من أوليائه وحزبه الذين يؤيدهم بتأييده ويمدهم بعونه وينصرهم بنصره ويوفقهم بتوفيقه حبيبه وصفيه إن دعاه استجاب له وإن استغفره غفر له وإن سأله أعطاه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله تعالى قال : من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعوذنه " رواه البخاري . إن ولي الله هو المطيع له الممتثل لأمره الذي يخافه ويتقيه ، فالله سيتولاه بالحفظ والنصرة وسيكون معه معية خاصة : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون) ، (من يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب) ، (ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً) ، وكثرة النوافل والقرب والطاعات تكون سبباً لمحبة الله للعبد ومحبة الله للعبد تجعله قريباً منه وبه يبصر وبه يتحرك ويتصرف ويستعمل حواسه وجميع قواه في طاعة الله ومرضاته ، فإن سأله أعطاه وأن استعاذ به أعاذه ، والله عز وجل يقبل من عبده المسلم القليل من العمل ويثيبه الكثير من الأجر بفضله ومنه وعطائه ورحمته سبحانه وتعالى .

عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن به عز وجل قال : " إذا تقرب إلي العبد شبراً تقربت إليه ذراعاً وإذا تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً وإذا أتاني يمشي أتيته هرولة " رواه البخاري . وهذا من باب التمثيل في الجانبين . والمعنى والله أعلم : من أتى شيئاً من الطاعات ولو قليلاً قابلة الله عز وجل بأضعاف من الإثابة والإكرام وكلما زاد

فـــي الطاعة زاد لـــه الله في الثواب وإذا كان إتيانه بالطاعة على التأني كان عطـــاء الله بالـــثواب على السرعة ، هذا التمثيل هو من باب تقريب المعنى والفهـــم إلـــى الذهـــن والتمثيل من الوسائل التربوية في التربية الإسلامية ، والمسلم ينبغي أن يستغل كل وقته في طاعة الله ونيل مرضاته ويستعمل قوته في هذه الطاعة ولا يتبادر إلى الذهن .

بهـــذا القـــول إن المســـلم ينعزل عن الحياة الدنيا وينصرف إلى االعبادة بمفهـــوم البعض إن العبادة هي الشعائر بل ما نقصده أن كل قول أو فعل أو حركة وسكون تصدر من المسلم ينبغي أن تكون وفق ما أمر الله فيكون بذلك مطيعاً له سبحانه وتعالى حتى الأمور المباحة تغدو طاعة الله إذا توجهت النية فـــيها لله ، قـــال تعـــالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالميـــن) ، فمن هذا لو أضاع المسلم وقته وصحته في غير طاعة الله فهو مغبون .

عن ابن عباس رضي الله عنهما قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ " رواه البخاري . أي نعمتان عظيمتان مغبون فيهما فيهما أي من الغبن وهو الشراء بأضعاف الثمن والبـــيع بدون ثمن المثل . شبه النبي صلى الله عليه وسلم المكلف بالتاجر ، والصـــحة في البدن والفراغ من الشواغل عن الطاعة برأس المال لأنهما من أسباب الأرباح ومقدمات نيل النجاح .

فمـــن عامل الله تعالى بامتثال أوامره وابتدر الصحة والفراغ يربح ومن أضاع رأس ماله ندم حيث لا ينفع الندم .

وهذا يؤكد أن ضرب الأمثال من وسائل التربية وقد كان المربي الأعظم علـــيه الصلاة والسلام يفعل ذلك ليضرب لأصحابه المعنى المراد بفعل ذلك بأسلوبه البليغ وفطنته التربوية النادرة فصلوات ربي وسلامه عليه .

من وسائل بناء الإيمان الإحسان في فعل ما أمر الله به :-

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى .. أما بعد :

إن للتربـــية الإسلامية وسائل عدة للتهذيب الروحي وتعميق الإيمان بالله عـــز وجل ومن أهم هذه الوسائل قيام الليل نعيماً دائماً وجنات وعيون لأنهم كـــانوا محســـــنين مـــع أنفســـهم يحملها على الطاعة والعبادة وإبعادهم عن المعصـــية . ومحسنين مع غيرهم من جميع الناس وجميع المخلوقات وكانوا قليلاً من الليل ما يهجعون – ما ينامون – قال تعالى : (إن المتقين في جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين كانوا قليلاً من الليل مـــا يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون) ، إن قيام الليل يهذب الروح ويقوي الإرادة ويـــنور القلـــب لكنه يحتاج إلى صبر ومكابدة وترويض للنفس على الطاعة ، قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : كابدوا قيام الليل فلا ينامون من الليل إلا أقله ونشطوا فمدوا إلى السحر حتى كان الاستغفار بالسحر .

وأصحاب الليل يعالجون النفس ويحملونها على الطاعة وترك لذاتها من الـــنوم الهانـــئ والفـــراش الوثـــير والغطاء الدافئ فاستحقوا وصف الله لهم بالخشـــوع ورقـــة القلب والسجود والتسبيح بحمد ربهم عند ذكر آياته وعدم التكـــبر ، قـــال تعـــالى : (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجداً وســـبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهـــم خوفـــاً وطمعاً) يعني بذلك قيام الليل وترك النوم والاضطجاع على الفـــرش الوطيئة دافعهم إلى ذلك طلب مرضاة الله وإجابة هادي الأرواح إلى

بـــلاد الأفراح إلى النعيم الدائم وقرة العين التي لا تنقطع أعظم بها من حياة وأعظم بها من أعمال صالحات تحقق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة .

إن المؤمنيـــن المتقيـــن يدعون الله ويتقربون إليه بفعل الطاعات وترك المعصـــية خوفـــاً من عقابه وطمعاً في جزيل ثوابه ، قال تعالى : (يدعون ربهـــم خوفـــاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون) إنهم يفعلون ذلك قدوة بحبيبهم ورســـولهم محمـــد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم الذي كان يقوم الليل حتى تـــتورم قدماه صلى الله عليه وسلم ، وتقول لـــه عائشة رضي الله عنها : يا رسول الله لم تفعل ذلك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فيقول : " يـــا عائشة أفلا أكون عبداً شكوراً " ، لقد كان بأبي هو وأمي سيد الشاكرين وإمـــام المتقيـــن ورسول رب العالمين القدوة في العبادة والمعاملة لذا ينبغي للمؤمنيـــن أن يـــتخذونه رمـــزاً ومـــثالاً يسيرون على منهجه ويتبعون سنته ويترسمون خطاه ، قال تعالى : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر) وربط الحق سبحانه محبته في اتباعه صلى الله عليه وسلم قال تعالى : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فمحبة الله باتـــباع رســـوله الـــذي كانـــت حياته كلها تعليماً وتربية لهدي هذا الدين صـــلوات ربي وسلامه عليه ، فإن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم هم خير الأمـــم وجزاؤهم عند الله عظيم وقد وعدهم الله بهذا ، قال تعالى : (فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون) ، أي فلا يعلم أحد عظمـــة ما أخفى الله في الجنات من النعيم المقيم واللذات التي لم يطلع على مثلها أحد ، لما أخفوا أعمالهم كذلك أخفى الله لهم من الثواب جزاء وفاقاً فإن الجـــزاء من جنس العمل ، قال الحسن البصري رحمه الله تعالى : أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر .

إن عـــباد الـــه المتقيـــن يحيون الليل بالعبادة والطاعة فعلوا ذلك حباً لله وطـــاعة لـــه وتلذذاً بمناجاته فاستحقوا بذلك وصف الله لهم بقوله تعـــالى : (والذيـــن يبيـــتون لـــربهم ســـجداً وقـــياماً) ، أي يحيون الليل بالعبادة فهم مستيقظون حيث ينام الناس ومنتبهون حيث يغفل الناس . لأنهم أخلصوا الحب لله تبارك وتعالى فتلذذوا بمناجاته .

وفي قيام الليل وإفشاء السلام وإطعام الطعام سعادة عظمى ودخول جنة الخلـــد . عن عبدالله بن سلام رضي الله عنه قال : عن النبي صلى الله عليه وســـلم قال : " أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام " ففي هذا الحديث بين المصطفى صلى الله عليه وسلم أن قـــيام الليل سبب من أسباب دخول الجنة .. فالمسلم الواعي الذي يحرص علـــى ذلك فإنه مفتاح لدار السعادة والفوز برضوان الله .. وصلاة الليل فيها فضـــل عظـــيم ، فهي أفضل من صلاة النهار لأنها تكون أقرب إلى الخشوع والإخـــلاص . لـــذا قال صلى الله عليه وسلم : " أفضل الصيام بعد رمضان شـــهر الله المحـــرم ، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل " لأنه موسم لتـــنزل الـــرحمات ونزول رب الأرض والسموات وهو منن أفضل الأوقات فعليك باغتنامه .

فالله عز وجل ينزل في ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا فيقول هل من مســـتغفر فأغفر لـــه ؟ هل من سائل فأعطيه ؟ ... وفي الليل ساعة لا يوفقها مســـلم يدعـــو الله فيها إلا أجاب الله دعاءه ، فعن جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " إن في الليل لساعة لا يوافقها

رجـــل مسلم يسأل الله تعالى خيراً من الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه وذلك كـــل لـــيلة " رواه مسلم .. فليالي السحر العبادة فيها خير والأجر فيها عظيم فعلينا أن نغتنمها في طاعة الله سبحانه وتعالى .

نســـــأل الله الكـــريم رب العـــرش العظيم أن يوفقنا لطاعته وأن يهدينا صـــراطنا المستقيم وأن يستعملنا في طاعته ويعيننا على ذكره وشكره وحسن عـــبادته .. اللهـــم اجعلنا ممن يستمع القول فيتبع أحسنه واجعلنا من عبادك المتقين وحزبك المفلحين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون .

وصـــلى الله وسلم وبارك على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه والتابعين .

البـــــاحث

د . حسن بن علي الحجـــــــاجي

من مدينة الطـــــــــائف المأنوس

المملكة العربية السعودية

فهرس سلسلة التربية الإسلامية
٨- التربية الإيمانية

مقدمة : بقلم الدكتور حسن بن علي الحجاجي	٢
١- من وسائل بناء الإيمان	٤
٢- مفهوم التقوى وثمارها	٨
٣- مقتضى شعيرة الحج	١٣
٤- التورع عن كل ما يسخط الله عز وجل	١٧
٥- الإخلاص شرط في قبول العمل	٢١
٦- أعداء المؤمن : النفس ، الهوى ، الشيطان	٢٥
٧- مقتضى أداء الشعائر التعبدية	٢٩
٨- أيام التشريق عيدنا أهل الإسلام	٣٣
٩- فضائل شهر رمضان	٣٧
١٠- أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة	٤١
١١- الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر	٤٥
١٢- الإخلاص شرط لقبول الأعمال	٥٠
١٣- أجر الصائمين	٥٤
١٤- حقيقة التوكل على الله	٥٨
١٥- كيف تكون الدنيا مزرعة للآخرة	٦٢
١٦- من وفق إلى الطاعة فليحمد الله	٦٦
١٧- ثواب الأعمال الصالحة	٧٠
١٨- الصوم جُنة	٧٣
١٩- أسباب المغفرة	٧٧
٢٠- المداومة على الاستغفار	٨١
٢١- فوائد الاستغفار	٨٤
٢٢- فضل الذكر وفوائده	٨٨
٢٣- قراءة القرآن ومدارسته والعمل فيها كل السعادة	٩١

٢٤- وسائل بناء الإيمان	٩٤
٢٥- اغتنام الأوقات في طاعة الله	٩٨
٢٦- التوبة من وسائل التربية الإيمانية العلاجية	١٠٢
٢٧- فوائد زيارة المريض	١٠٦
٢٨- التعوذات حصن المؤمن	١١٠
٢٩- كفى بالموت واعظاً	١١٤
٣٠- استغلال الأوقات في طاعة الله	١١٨
٣١- اليقين والتوكل يرسخان الإيمان في النفس	١٢٢
٣٢- الصيام مدرسة لبناء الإيمان	١٢٦
٣٣- الرضا بالقضاء والصبر على البلاء بناء للإيمان	١٣٠
٣٤- الذكر والدعاء من وسائل بناء الإيمان	١٣٤
٣٥- المؤمن تواب أواب	١٣٩
٣٦- اليقين والتسليم من أسباب تقوية الإيمان	١١٨
٣٧- فوائد التقوى ومكانتها من الإيمان	١٤٦
٣٨- من وسائل تعميق الإيمان النظر في آيات الله الكونية	١٥١
٣٩- المؤمن دائم على عبادة الله حال السراء والضراء	١٥٥
٤٠- من ثمار التربية الإيمانية	١٥٩
٤١- فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ودورها في بناء الإيمان	١٦٣
٤٢- التوجيه المسلكي	١٦٧
٤٣- التوجيه المسلكي	١٧٢
٤٤- أنواع الصبر وفوائده	١٧٦
٤٥- من الإيمان التسابق في فعل الخير	١٨١
٤٦- التوكل على الله والأخذ بالأسباب	١٨٥
٤٧- من وسائل بناء الإيمان الاستمرار على الطاعة	١٨٩
٤٨- الشعائر التعبدية وبناء الإيمان	١٩٢
٤٩- ثمار التقوى وآثارها	١٩٧
٥٠- ثمار التقوى وآثارها	٢٠٢
٥١- التوكل على الله والأخذ بالأسباب	٢٠٧

٥٢- ثمار التقوى وآثارها ٢١٠
٥٣- مدارسة القرآن وبناء الإيمان ٢١٤
٥٤- ثمار العمل ٢١٨
٥٥- الصبر والشكر جناحا الإيمان ٢٢٢
٥٦- في مرور الأيام والليالي عظة وعبرة ٢٢٥
٥٧- غاية التربية الإيمانية ٢٢٩
٥٨- زيادة الإيمان ونقصه ٢٣٣
٥٩- ثمار الإيمان في شهر الصيام ٢٣٧
٦٠- فضل الصيام وفوائده ٢٤٠
٦١- أهمية الزهد والورع في تصفية النفس ٢٤٤
٦٢- فضل ليلة عيد الفطر ٢٤٩
٦٣- من ثمار التربية الإيمانية ٢٥٢
٦٤- من وسائل بناء الإيمان الاجتهاد في الطاعة والعبادة ٢٥٦
٦٥- من وسائل بناء الإيمان الإحسان في فعل ما أمر الله به ٢٦٠